إعداد
محمد رفعت أحمد زنجير

أهمية الإيمان
وآثاره في بناء الفرد والمجتمع

تقديم
الشيخ سيد سابق
الشيخ عبد الله علوان

١٤٠٩ هـ

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى العلماء العاملين من أمة الإسلام وأخص منهم هؤلاء :

سعيد بن جبير الـذى وقـف أمـام الحجـاج يخاطبـه قائـلاً : (اختـر لـنفسك ياحجاج فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها فى نار جهنم) .

والإمام ابن تيمية الذى يقول : (إن سجنـي خلـوة وقـتلى شهـادة ونفيـي من بلدي سياحة) .

والإمام العز بن عبد السلام الـذى يقـول : (استـحضرت هيبـة الله فوجـدت السلطان أمامي قطاً) .

إنهم نماذج فريـدة رباهـا الإيمان واختارهـا الـرحمن ففـاقت على الأقـران وذاع صيتها في كل مكان فإلى أرواحهم الطاهرة أهدي هذا البحث .

الباحث

المقدمة :

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله علوان رحمه الله .

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحقّ ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فكل مسلم يعلم أن أركان الإيمان الأساسيّة هى : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء خيره وشرّه من الله تعالى .

ومن المسلّم به كما تدلّ عليه النصوص ، وكما أجمع عليه المجتهدون والفقهاء وعلماء التوحيد سلفاً وخلفاً .. أن الإيمان بهذه الأركان هو من الركائز الأساسية في قبول الأعمال والدّخول فى الإسلام .. بل أعمال الإنسان مهما كانت إنسانية ونافعة .. لا قيمة لها ولا اعتبار في ميزان الله عز وجلّ إن لم تكن مبنيّة على التّصديق القلبى بها ، والاعتقاد اليقينى بركنيّتها .. مصداقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءًا منثوراً** ﴾[1] وقوله فى آية أخرى : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] .

وهنا يرد هذا السؤال : **لماذا سُمّيت هذه الحقائق الإيمانيّة الستّة أركاناً ؟**
من المعلوم يقيناً أن أىّ بناء حين يقوم لا يقوم إلا على أعمدة وأركان .. فبها ترتفع اللّبنات ، وبسببها يكتمل البنيان!!

---

(١) الفرقان يّة : ٢٣ .

(٢) النساء آية : ٤٨

ومما لا يختلف فيه آثنان أن هذه الأعمدة والأركان إذا وضعت فى الأساس رخوة ضعيفة ، ثم قام عليها البنيان فإن البنيان سرعان ما يتداعى ويتساقط ، ويصبح في النهاية خراباً يباباً .. والعكس بالعكس أنّها إذا وُضعت على أساس صُلْبٍ متين فإنّ البنيان يبقى على مدى الزمان ثابتاً قويًّا راسخاً .. لا يمكنه بحال أن يتأثّر بالعوادى والعواصف والأنواء ..

بعد هذه التقدمات تظهر للقارىء الكريم سرّ التسمية بالأركان ، وعرف ما يراد منها .. ظَهرَ له أن أركان الإيمان الستّة إذا ترسّخت في النفس الإنسانية صنعت الأعاجيب ، وَعَرفَ أنّ المراد من ترسيخها وتعميقها صياغة المؤمن على قيم الإسلام ، وخُلق القرآن .. فمدار هذا كله هو الإيمان بهذه الثوابت والأركان!! .

نعم أقول إن مدار هذا كلّه هو الإيمان بهذه الثوابت والأركان وذلك للحقائق التالية :

- **فركنيّة الإيمان بالله الواحد الأحد** : إذا تعمقت وترسّخت فى نفس المؤمن اعتقد في أعماق مشاعره أنّ الله سبحانه معه يسمعه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. فبهذا الاعتقاد وبهذا الشعور .. يتحرّر المؤمن من ربقة الهوى ، ونزعات النّفس الأمّارة ، وهمزات الشياطين ، وفتنة المال والنساء ، ويتحلّى بالمراقبة لله ، والإخلاص له ، والاستعانة به ، والتسليم لحكمه في كلّ ما ينوب ويروع ، ويندفع بكلّيته إلى العمل بأمانة وجدّية وإتقان .. بل يكون إذا مشى في الناس كالمَلَكِ يمشي على الأرض طهراً وصفاءً ، وعفّة وسموّاً .. فحيث سار أشير إليه بالبنان .
- **وركنيّة الإيمان بالملائكة** : إذا تأصّلت فى بؤرة شعور المؤمن اعتقد أن لله ملائكة لهم وظائف مكلفون بها ، ولا يستنكفون عن أدائها .

من هذه الوظائف : قبض الأرواح ، ومنها : إحصاء ما يفعله العبد في الدنيا من خير أو شر ، ومنها : سؤال ملكين بعد الموت ، ومنها : القيام على أمر

جهنم ، ومنها .. ومنها ..

فبهذا الاعتقاد بوظائف الملائكة ، وبهذا الشعور فيما كلّفوا به يعلم المؤمن أن ملكاً موكّلاً عليه لقبض روحه ، وأنّه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، وأنّ هناك ملكين يسألانه بعد موته في قبره ، وأنّ للنار زبانية يسوقونه إن فسق إليها ، وأنّ .. وأن ..

فلابد أن يتأثر نفسياً ، ويترقّى روحياً ، ويزداد خشية ورهبة من الله .. فينعكس آثار ذلك على سلوكه وأخلاقه ، وسائر تصرّفاته ، فيظهر كأنّه شامة في الناس ..

● **وركنيّة الإيمان بالكتب** : إذا تركّزت في عقل المؤمن اعتقد أن الله سبحانه أنزل لعباده فى كل عصر منهجاً يتلاءم مع واقعية النّاس ، ويفي بحاجة البشر ، هذا المنهج إن أخذ النّاس به ، وساروا عليه كان سبباً في درء مفاسدهم ، وتأمين مصالحهم في الدّين والدنيا والآخرة .. وفى ذلك مرتقاهم السامي ، وعزّتهم السامقة ، وسلامهم الآمن .. فبهذا الاعتقاد ، وبهذا المنهج العملي التطبيقي يصل المؤمن إلى أوج السعادة ، وذروة الكرامة ويتحقّق بتوازن الشخصية .. ويصبح إسلاماً نموذجيًّا متحرّكاً يراه النّاس ..

● **وركنيّة الإيمان بالرسل** : إذا تبلورت في قلب المؤمن وتعمقت في أحاسيسه ومشاعره اعتقد جازما أن الله سبحانه اصطفى من عباده رسلاً ليَكونوا أداة إصلاح ، ووسيلة هداية ، ومصدر إشعاع .. لمن أرسلوا إليهم .. وتيقّن كذلك أنهم النماذج البشريّة الفريدة المتكاملة الذين يجب أن يأخذ الناس عنهم ويتأسّوا بهم .. وآمن أيضاً أن هؤلاء الرسل المبلّغون عن الله ، لا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ، وأن أظهر أوصافهم : الصدق ، الأمانة التبليغ ، الفطانة ، العصمة ، السّلامة من العيوب المنفرة ..

فبهذا الشعور وبهذا التيقّن يرتبط المؤمن بالقدوة الصالحة ، فمنها يتلقّى ، وعنها يأخذ ، وبواسطتها يتخلّق ، وبسببها يتحلّى بمعالي الأمور ، وبالسير على نهجها يصل إلى المرتقى السّامي .. وهكذا يرتقى حتى يصبح نموذجا فريداً في

الناس .

● **وركنيّة الإيمان باليوم الآخر** : إذا تجسّدت فى مخيّلة المؤمن تصوّر بشريط ذهنه البعث وحتميّته ، والموقف وهوله ، والصّراط ودقّته ، والميزان وقسطه ، والكتُب ونشرها ، والشمس وقربها ، والأعضاء وشهادتها ، وجهنّم وزبانيّتها ..

وكذلك تصوّر أيضا الأبرار الذين يظلّهم الله في ظلّه ، ويحيطهم برحمته ، وييسّر لهم سبيل الحساب ، ويُسهّل عليهم اجتياز الصّراط ، ويثقل لهم بعدله الميزان ، ويؤتيهم بأيْمانهم الكتاب ، ويدخلهم الجنَّة بسلام ..

فالمؤمن إذا تصور هذا ، وتصوّر ذاك ، فبهذا الشعور والتّصوّر يتحلّى بالفضائل ، ويتخلّى عن الرزائل ، ويسلك سبيل الحقّ ، ويتنكّب طريق الباطل ، ويتزوّد بالتقوى والعمل الصالح وينفر من الإثم ويدع قول الزور .. وهكذا يتحلى ويتخلّى ، ويتسامى ويرتقى .. إلى أن يبلغ مراتب الأبرار، ومنازل الأخيار .. بل يصبح قدوة حسنة حين يسير في النّاس .

● **وركنية الإيمان بالقضاء خيره وشره** : إذا تغلغلت في كيان المؤمن آمن صادقاً مخلصا أنّ أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمّة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوه بشيء لم يضرّوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وأن الآجال بيد الله والأرزاق بيده ، وكلّ شيءٍ يسير بقَدَره.

فبهذا الإيمان الشعورى الانبعاثى يتحرّر المؤمن من الخوف والجبن والهلع ، ويتحلّى بالصبر والشجاعة والاقدام ، ويمضى إلى غايته براحة نفس ، واطمئنان قلب ، ويقول كلمة الحقّ ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يبيتنّ إلّا مرتاح البال .. ويصبح الشخصيّة الفذّة في الرضى والاستسلام في كل ما يصيبه إذاراه النّاس ، هل عرفت ـــ أخى القارىء سرّ الإيمان بهذه الثّوابت والأركان ؟ وهل علمت أثر ذلك في صياغة المؤمن على قيم الاسلام ، وخلُق القرآن ؟ وهل أدركت معى دور الإيمان ككلّ فى تربية الفرد والمجتمع ؟

إذا عرفت كل هذا ادخُلْ مدرسة الإيمان بعزم وإخلاص لتجعل من نفسك الأتم الأمثل في السلوك والأخلاق والتربية ، والله سبحانه مع العاملين الصادقين .

هل يكفي الإيمان بهذه الأركان أم ماذا ؟

نحن نعلم أن أركان أيّ بناء يقوم بعد أن تثبت قواعدها في الأرض لابد أن تأتي مرحلة البناء ، فالبيت في هذه المرحلة يبدأ بالارتفاع شيئاً فشيئاً إلى أن يكتمل ، ويصبح بنياناً شامخاً عظيماً يسرّ برونقه وجماله النّاظرين ..

فأركان الإيمان كما سبق الحديث عنها تبدأ بالإيمان بالله تعالى .. وتنتهي بالإيمان بالقضاء خيره وشرّه . أما أركان الإسلام فهي خمسة — كما هو معلوم : الإقرار بالشهادتين ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا .

فأركان الإيمان والإسلام بجملتها هي بمثابة الأركان الأساسية ، والأعمدة الثّوابت لبناء الإسلام الضخم الشامخ .. فما بناء الإسلام في الحقيقة إلا خصيصة التشريع في أحكامه ومبادئه ، وأوامره ونواهيه ، وربّانيته وشموله ، وعطائه وتجدّده .

ومن المسلّمات لدى أهل العقول والبصائر : أن أركان الإيمان بمجموعها إذا ترسخت في نفسيّة المؤمن وأن أركان الإسلام إذا قام بوظائفها ، وأدّاها حق أدائها .. عدا عن أنها جعلت منه مؤمنا مثاليا في السلوك والأخلاق ، والتربية والمعاملة .. فإنّها أيضاً ولّدت فيه الانبعاث الذّاتي ، والاستعداد النّفسي لأن يتقبّل شريعة الله ، ويعمل بأحكامها ومبادئها ، ويستسلم لأوامرها ونواهيها دون أن يجد في نفسه أيّ حرج أو غضاضة .. اعتقاداً منه أنّ شخصيّته الإسلامية لا تكتمل ، ولا يتحقق لها مصالحها الدنيويّة والآخرويّة إلا بتثبيت أركان الإيمان في نفسه ، والعمل بأركان الإسلام على مدى الأيام وفي سائر تطوّرات حياته ، وتنفيذ شريعة الله بدقّة وإحكام إلى يوم وفاته .. ومن هنا نعلم أن الإيمان بأركان الإيمان وحدها لا يكفي للاعتراف بالمسلم على أنه مسلم ، بل لابد أن يستتبعها العمل بأركان الإسلام ، وتطبيق شريعة الله تطبيقاً شاملاً على أنّها منهج حياة .. فإذا اعتبر

الإيمان بأركان الإيمان والإسلام معاً هو أساس البناء الإسلامي فإن البناء للإسلام هو مجموعة المبادىء والأحكام ، والأوامر والنّواهي في كلّ ما يرتبط بشريعة الله ، والله سبحانه لا يقبل إيمان مسلم حتى يكون تنفيذه لأنظمة الإسلام قولاً وعملاً ، ورغبة وطواعية . دون أن يكون أيّ انفصام بين نظام ونظام ، ومنهج ومنهج . ذلك لأن انفصام الإسلام في أنظمته ، وتجزئته في مناهجه والإيمان ببعضه دون البعض الآخر يوقع صاحبه في الرّدة لا سمح الله « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب..**»[1] . .. والمسلم الذي خالط الإيمان بشاشة قلبه لا يتصور منه ذلك ، بل هو النموذج الحيّ للمسلم الملتزم العامل الذى يأخذ الإسلام ككلّ على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ..

ماذا يقول الملحدون عن الإيمان والتديّن ؟

يزعمون أن الدين أفيون الشعوب ، وأنّ الإيمان بالله مخدر لشخصية الإنسان ، وأن التديّن في الأمّة علامة التخلّف والرّجعية .. « **ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون** »[2] .

ونحن لا نريد أن نردّ على هؤلاء الخرّاصين الأفاكين إلّا في نطاق ما ذكره العلم ، وما أفصح عنه المتخصّصون في مجال علم النفس والتربية والأخلاق في العالم ، ليوقن القارىء في ضوء الاستشهادات العلميّة ، والتجارب الواقعيّة أنّ مازعموه وما تقوّلوه باطل في باطل

وإليكم نماذج ممّا وصل إليه المتخصصون من تجارب في بناء الشخصية الإنسانية على أساس التديّن والإيمان :

- سجل الطبيب النفّسي الأمريكى الكبير المشهور الدكتور « هنرى لنك » في

(١) سورة البقرة : ٨٥ :

(٢) التوبة آية : ٣٠ .

كتابه « العودة إلى الإيمان » وقد طبع كتابه إلى ما قبل سنوات (٤٧) مرة فى أمريكا ، وقد أجرى أكثر من « ثلاثة وسبعين ألف » اختبار نفسي على عشرة آلاف نفس ، خرج منها بنتيجة هامة هي : « **أن كل من يعتنق ديناً ، أو يتردّد على دار العبادة .. يتمتّع بشخصيّة أقوى ، وهو أفضل ممن لا دين له ، ولا يزاول أيّة عبادة ...**» .

● من هذا النماذج : ما قرّره الدكتور « كارل لونج » في كتابه « الرجل العصرى يبحث عن روح »: إنه لا يجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر ، **لا ترجع في أساسها إلّا عن افتقاد الإيمان ، والخروج على تعاليم الدّين ، ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلّا حين استعاد إيمانه ، واستعان بأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة** » .

● ومن المؤيدات : ما قاله الفيلسوف الأمريكي الشّهير « وليم جيمس » : « **إنّ أعظم علاج للقلق هو الإيمان حقًّا ولا شك** » .

● ومما يدعم هذا : ما نقله « ديل كارينجى » عن الدكتور « أ.أبريل » قوله : « **إن المرء المتديّن حقًّا لا يُعانى عرضاً نفسيًّا قط** » ، ويعقّب على ذلك « كارّينجي » نفسه بقوله : « وعندي أنّ أطبّاء النّفس ليسوا إلا وعّاظاً من نوع جديد ، فهم لا يحضّوننا على التمسّك بالدين توقّياً لعذاب الجحيم في الدّار الآخرة فحسب وإنما يوصوننا بالدين توقّياً للجحيم المنصوب في هذه الدنيا : جحيم قرحات المعدة ، والانهيار العصبي ، والجنون ، والانتحار .. » .

ومما ينسف الإلحاد من القواعد : أن الإنسان حين يولد يولد على فطرة التوحيد الخالص ولكنّ عوامل البيئة والتربية والتلقين الفاسد ممّا يلوّث الفطرة ويشككها ويحرفها عن الأصل .. ومع كلّ هذا فأحيانا تستيقظ الفطرة من رقادها ، وتنتفض ممّا تراكم عليها ، وتعود إلى أصالتها .. فلا يجد صاحبها بدأ إلّا أن يقرّ بالإلّه الواحد المعبود .. **ومما يشهد لهذا** أنّ مجلة الحج المكّية في سنتها الثالثة والعشرين في العدد الثالث منها ذكرت على لسان « **سوتيلانا** » بنت استالين قولها : (إن السبب الحقيقي لهجر وطنى وأولادي هو الدين ، فقد نشأتُ في بيت

ملحد لا يعرف أحد من أفراده الربّ .. ولما بلغتُ سنّ الرشد وجدت في نفسي — من غير أيّ دافع خارجي — إحساساً قويًّا بأن الحياة من غير الإيمان بالله ليست حياة ، كما لا يمكن أن يقام بين الناس أيّ عدلٍ أو إنصاف من غير الإيمان بالله ، وشعرتُ في قرارة نفسي أنّ الإنسان في حاجة إلى الإيمان كحاجة الماء والهواء)أ.هـ .

فدعوى القائلين بأن الدين أفيون الشعوب ، وأن الإيمان مخدر للشخصية الانسانية ، وأن التديّن عنوان التخلّف والرجعية .. هي دعوى باطلة لئيمة حاقدة لا قيمة لها ولا اعتبار وفي ميزان العلم ، والتجارب الواقعيّة ، ومنطق الفطرة السّليمة !! (**فبأيّ حديث بعده يؤمنون**)[(١)] .

ولم يكن التأثير الإيماني قاصراً على معالجة القلق والانتحار والجنون وسائر الآفات النفسيّة في الإنسان — كما سبق ذكر ذلك من تجارب العلماء المتخصّصين — وإنّما يتجاوز ويتعدّى حتى يشمل إصلاح النفس الإنسانية من جميع جوانبها ، ويشمل اصلاح المجتمع في شتّى فئاته واتّجاهاته ..

وقد كتب الدعاة الإسلاميّون ، وعلماء الإسلام المتخصّصون .. الكثير والكثير عن أثر الإيمان في التربية الفرديّة ، والتّربية الاجتماعيّة ، وأفصحوا عن مدى التأثير الذى يتركه الإيمان في النفس البشريّة ، وفي أبناء المجتمع ..

ومن الذين أسهموا في هذا المجال ، وأدلى دلوه في الدّلاء .. الشابّ الأخ محمد رفعت زنجير » وقد أطلعني — وفقه الله — على كتابه : « **أهمية الايمان وآثاره في تربية الفرد والمجتمع** ،وقد دفعه إليَّ قبل طبعه لأكتب له مقدّمة،وقد استجبتُ لمطلبه—بالرغم مما أعانيه من أمراض—وقد مررتُ على الكتاب مرور الكرام من فاتحته إلى خاتمته فوجدت أن الأخ الكريم قد عالج البحث من جميع جوانبه معالجة موضوعيّة تتفق ومنهج البحث العلمي وقد جاءت المعالجة بأسلوب

---

(١) الأعراف : ١٨٥ .

واضح ، وعبارة جذّابة .. تشدّ القارىء إلى متابعة القراءة وإلى الاستزادة منها .. وقلّما نجد ذلك في رجال الفكر الإسلامي من يجمع في بحوثه بين جزالة التعبير ، ومناهج البحث .

وعلى كلّ الأحوال : فإنّ بحث المؤلف الشّاب على العموم هو بحث جيّد في منهجيّته وأسلوبه وتبويبه وفصوله ومعالجته .. فإذا قلنا إنّ هذا .. هو أول إنتاج فكري له فإنه مؤشر كبير بأن إنتاجه الجديد في المستقبل سوف يكون أعمق معالجة ، وأدق إحكاماً ، وأسمى أسلوباً ، وأحسن منهجيّة وشمولاً ..

فإلى الأمام يا ولدى الشاب محمد رفعت ، وإلى المزيد من الإنتاج في ميدان التأليف والفكر ، سائلا المولى سبحانه أن يجعلك جندياً من جنود الإسلام ، وداعية من دعاة الحقّ والهدى .. توعى المسلمين بقلمك وفكرك ، وترشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم بعملك ودعوتك إنّه خير مسؤول ، وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

د . عبد الله ناصح علوان

تفضل الشيخ العلامة المربي الأستاذ السيد سابق ــ حفظه الله ــ فكتب هذا التقديم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وبعد :

فإن الحضارة مكونة من عنصرين أساسيين .

١ ــ عنصر مادى .

٢ ــ وعنصر إيمانى وأخلاقي .

والعنصر الثانى هو جوهر الحضارة وروحها وبه تكون الحياة وبفقده يكون الموت،والحضارة الغربية بالرغم مما أحرزته من تقدم مادى لم يعرف له مثيل فإنها فقدت حقيقة الإيمان وفضائل الأخلاق .

فلا معرفة لها بالله ولا عبادة له .

ولا أخلاق ولا مكارم ولا آداب ، وإنما استرسال في المطامع والشهوات وأثرة وأنانية وظلم وجور وزنا وخمر وقمار واحتكار وكسب حرام وبعد عن التسامح والرحمة .

وجل اهتمام الحضارة الغربية بالمعرفة المادية واتخاذ أسباب القوة التي تمكنها من قهر الشعوب واستذلالها واستغلال طاقاتها وخيراتها ، والحضارة الغربية لم تتجه إلى تربية الانسان كخليفة لله على الأرض ، ولم تتجه إلى الجماعة البشرية لتحقق الاخاء العالمي ، والسلام العام ، وحماية حقوق الإنسان ، وتوزيع خيرات الله على عباده على أساس القسط والمعدلة ، إن هذه الحضارة إذا استمرت في مسيرتها وسارت فى طريقها التي تنتهجه الآن فإنها ستنتهي كما انتهت الحضارات

التي سبقتها قال الله تعالى .

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد الذي طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد ﴾ .[(١)]

إن هذه الحضارة التي قدمت للانسان الكثير من الخيرات المادية ويسرت له وسائل الحياة ، يجب الحفاظ عليها ، وتطهيرها من عوامل الفساد وتخليصها من أسباب التدمير ، ولا يتم ذلك إلا بالإيمان الصحيح الذى يتبعه عمل صالح ، والخلق المتين والعودة إلى الإيمان .

فالإيمان هو الذى يفجر المشاعر الطيبة ويوجه إلى المكارم ويعصم من التحلل الخلقى ويحفظ الانسان من نفسه الأمارة بالسوء التي هي مصدر الشر والفساد ، وهذا هو السبب الذى دعا كثيراً من ذوى البصائر ودعاة الإصلاح إلى التحذير من مخاطر الحضارة الغربية واتقاء سلبياتها ، والدعوة إلى الايمان وفضائل الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، وتعاليم رسل الله وفي ظليعتهم محمد ﷺ الذي جاء بالهدى ودين الحق .

فهذا وحده طريق الخلاص **﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ﴾**[(٢)]

وها هو المؤلف الشيخ محمد رفعت أحمد زنجير يدلى بدلوه ويسهم بعلمه وقلمه في هذه القضية فقد قرأ كثيراً ، ورأى الصراع بين الحق والباطل والهدى

---

(١) سورة الفجر ـ الآيات ٦ ـ ١٤ .

(٢) الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦ من سورة طه .

والضلال والإيمان والكفر ، وانتهى إلى النتيجة التي انتهى إليها . كثير من كبار علماء الغرب وفلاسفة العصر ، من ضرورة العودة إلى الإيمان ، فهو الذى ينير معالم الطريق ، ويهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

فقدم هذا الكتاب القيم الذي عالج فيه هذه القضية من جميع جوانبها مستهدياً بالاسلام ومعتمداً على أقوال العلماء الذين نشأ وا في أرض الحضارة الغربية ، وعرفوا خيرها وشرها . وذاقوا حلوها ومرها ،

ولم يكن تأليف الكتاب على الطريقة التي درج عليها مؤلفوا العقائد من كتاب المسلمين ، وإنما جاء بمنهج عصري موضوعي ، وبإسلوب بديع مقنع .

فاستحق بذلك التقدير والتكريم وجميل الحمد وحسن الثناء جزى الله المؤلف خيرا ونفع به الاسلام والمسلمين .

السيد سابق

رئيس قسم الدراسات العليا الشرعية

فى كلية الشريعة بجامعة أم القرى

يوم ١٤٠٧/١٠/٢٢هـ **الموافق ١٩٨٧/٦/١٨م**

خطة البحث

قسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول كما يلي :

أولاً : الفصل الأول : ويشمل : ضرورة الإيمان للفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء ويتكون من :

١ ـــ تمهيد .
٢ ـــ الحضارة في غياب الإيمان .
٣ ـــ المجتمع الشيوعى وغياب الغقيدة الدينية .
٤ ـــ المجتمع الغربي وغياب العقيدة الدينية .
٥ ـــ الإيمان والصحة النفسية .
٦ ـــ حاجة الإنسان إلى الإيمان .
٧ ـــ حاجة المجتمع إلى الإيمان .
٨ ـــ حاجة الأمة إلى الايمان .

ثانيا : الفصل الثانى : ويشمل أساليب وآثار تربية الإيمان للفرد وللمجتمع .

١ ـــ كيف يربى الإيمان المجتمع .
٢ ـــ معالم على طريق التربية الإيمانية .
٣ ـــ خصائص التربية الإيمانية .
٤ ـــ الرسول ﷺ هو إمام المربين .
٥ ـــ أثر الإيمان في تربية الفرد .
٦ ـــ أثر الايمان في تربية المرأة المسلمة .
٧ ـــ أثر الإيمان في تربية المجتمع .
٨ ـــ أثر الإيمان في تربية الأولاد .

٩ ــ أثر الإيمان فى الأسرة المسلمة .
١٠ ــ دور الأسرة في حياة الفرد .
١١ ــ نماذج مؤمنة رباها الإيمان وخلدها التاريخ .

ثالثاً : الفصل الثالث وفيه :

١ ــ الخاتمة .
٢ ــ الملاحق .
٣ ــ المراجع .
٤ ــ الفهرس .

الفصل الأول

ضرورة الإيمان للفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء :

١ ــ تمهيد .

٢ ــ الحضارة في غياب الإيمان .

٣ ــ المجتمع الشيوعي وغياب العقيدة الدينية .

٤ ــ المجتمع الغربي وغياب العقيدة الدينية .

٥ ــ الإيمان والصحة النفسية .

٦ ــ حاجة الإنسان إلىٰ الإيمان .

٧ ــ حاجة المجتمع إلى الإيمان .

٨ ــ حاجة الأمة إلىٰ الإيمان .

١ ـ تمهيد :

نحن في عصر الحضارة ، وصلنا إلى القمر ، تكلمنا بالراديو والتلفزيون ، الطب يتقدم بسرعة ، أصبح بالإمكان استبدال كلية بكلية ، وعظم بعظم ، ودم بدم ، وقلب بقلب .

نحن في عصر الذرة والكمبيوتر والإنسان الآلي ، فما حاجتنا إلىٰ الدين .. ألا يمكن إيجاد بديل عنه مثل المسرح أو الغناء أو الرياضة أو اللهو .. ألا يمكن إشباع رغبات الإنسان في شتى الطرق ؟ ألا يمكنه ترك الإيمان حيث إن الدول المتقدمة ، نبذت الأديان وأعلنت الإلحاد والعلمانية والوجودية شعارات لها .

فلماذا الدين ؟ ولماذا نرجع إليه ؟ أسئلة كثيرة تطرح هذه الأيام ، حيث فتنت أوربا عقول الناس ، وأفئدة الناس وعواطفهم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

نعم نحن في عصر الحضارة والعلم والتكنولوجيا والذرة .
نعم إن العلوم تقدمت وتطورت تطوراً هائلا .

نعم إن أوربا تخلّت عن الدين وانطلقت إلى غير رجعة في بحر **الإباحية** والجنس والمخدرات .

هذا حاصل كله ، لكن هل نستغني عن الدين ؟ وهل انتهىٰ دوره في الحياة ؟ وهل العودة إلى الدين هي عودة للوراء؟! .
والجواب علىٰ هذا كله كلا .

فالدين لا يمكن الإستغناء عنه أبداً لا فى الماضى ولا فى في الحاضر ولا فى المستقبل لأن الدين ضرورى للإنسان مثل الهواء والماء والشمس والغذاء .. فالإنسان في حاجة دائماً وأبداً لما يغذيه بالإيمان ويقوى له الصلة مع خالقه وهذا لا يتم إلا من خلال الدين .

لسنا نحن الذين نجيب عن هذا بكلا فقط ، فالغرب بعد رحلة الشطط أدرك هذا تماماً وبين أيدينا الشواهد الكثيرة عن معظم علماء الغرب الذين أدركوا أن الحضارة من غير دين هي حضارة ساقطة سيلفظ فيها الإنسان أنفاسه الأخيرة وليس مستغرباً أن القرن الواحد والعشرين سوف يكون قرن الإسلام كما توقع جارودي ومن قبله العقاد ومن قبلهما الفيلسوف الشهير برناردشو » .

فالحضارة الصناعية تعاملت مع الإنسان علىٰ أنه جسد فقط ، فحاولت إشباعه من هذه الزاوية وتجاهلت جانب الروح وتجاهلت أنه إنما كان إنساناً بعقله وروحه لا بجسده وبشهواته فحسب ، فلا عجب أن نرىٰ النقد اللاذع يصبه علماء الغرب علىٰ هذه الحضارة

واضطرت الحضارة المعاصرة إلى أن تحافظ على بعض معالم الدين حيث أنه لابديل لديها يمكن أن يغني عن الدين ، وهكذا يبقى الدين ما بقي الإنسان علىٰ هذه الأرض .

أما القول بأن الدين قديم فهذا لا يبرر تركه وعدم التمسك به ، فليست حياة البشرية إلا سلسلة يتصل فيها الجديد بالقديم ولا يمكن أن تنفصل حلقات هذه السلسلة فالذين ينعتون المتدين بالرجعية ويطلقون علىٰ أنفسهم لقب التقدم هم علىٰ جانب كبير من الغباوة والجهل ..

فنحن لا نقدر على العيش من دون القديم .. فالشمس والقمر والنجوم كلها وجدت قبل الإنسان .. من الذي يقول بأنها غير جميلة وقد فقدت قيمتها . إذن (....الماضى ليس تاريخاً ميتاً ، إنه المادة الحية التي يصنع الإنسان منها نفسه **ويبنى مستقبله**)[1] .

فالإحساس بالتاريخ لا غنىٰ لأمة من الأمم عنه ، بل إن أية أمة ترتقي على قدر ما تتصل بالتاريخ بحيث تستطيع من خلال هذا التاريخ أن تدرك نفسها ، وتتطلع نحو المستقبل وكلما ازداد الإنسان تطوراً ازداد حباً لتاريخه وتمسكاً به ، اللهم إلا إذا تنكر لأمته وراح يلعن أمجادها ، ويكفر بأيامها وتاريخها ودينها .

---

(١) انسانية الانسان لرينية دبو . تعريف نبيل طويل ص ٢٧٨ .

إن الحضارة بحاجة إلى الدين .. وبالتحديد إلى الإسلام .. الإسلام وحده هو القادر علىٰ إنقاذ البشرية فيما لو أرادت البشرية لنفسها أن لا تنتهي إلى الدمار

يقول الفيلسوف الأمريكى (جون ديوي) : إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها ولا تثق بقوة هذا العلم في خلق قيم جديدة تدمر نفسها بنفسها[١] .

إن رغبات الإنسان وروحه وقلبه وكل ذرة فيه محتاجة إلى الإيمان ، وأما إنكار دول أوربا والإلحاد الشرقي للدين وانجرافهم وراء العلمانية والإلحاد ، فالقوم أراد الله لهم الهلاك،فليسوا حجة لنا ، قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾[٢] .

وقال تعالى :﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾[٣] فلا ينبغي ترك الدين اقتداء بهم وهم أمم ضالة ، أما أن يكون المسرح بديلاً عن الدين فإن المسرح حينما وجد عند الأمة اليونانية إنما وجد لخدمة الدين ، وأوربا التي عرفت المسرح من أيام أرسطو لم تترك دينها وتتحول إلى المسرح ، فلا يمكن أن يكون المسرح بديلا عن الدين لأنه في الغالب يستعمل الآن للتسلية فوظيفته غير وظيفة الدين أساساً ، وقد ينقل لنا الحياة كما هى بينما الدين يقول لنا كيف يجب أن تكون ، وأما اللهو والغناء والملذات الحسية فهى تشبع جانب الشر في الإنسان إذا أطلقت ولا تشبع جانب الخير فهي تُبقي الإنسان قلقاً نزقاً تعباً كما هو حال الإنسان الأوربي والأمريكي .

أما كوننا في عصر العلم فنحن لم نؤتَ من العلم إلا قليلا ، قال تعالىٰ : ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[٤] .

والعلم الذي يبدِّل كلية بكلية وقلباً بقلب .. عاجز عن أن يخلق خلية

(١) إنسانية الإنسان ص ٥ .
(٢) سورة الإسراء الآية : ١٦ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ٤٤ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

واحدة بل عاجز عن أن يخلق ذرة ، فلا ينبغي الغرور بالعلم وإنما ينبغي على العالم كلما ازداد علماً أن يزداد خشية وتواضعاً وإخباتاً لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء ﴾[1]. ولهذا نجد أصحاب كتاب ﴿ الله يتجلىٰ في عصر العلم ﴾ وهم من أئمة العلوم المادية في الغرب ، نجدهم يعترفون ويقرّون بجلال الله وعظمته جاء في كلمة د. ميريت ستانلي كونجدن ــ عالم طبيعي وفيلسوف ــ في مقالته (درس من شجيرة الورد) : (إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها ، حتىٰ باستخدام الطريقة الإستدلالية ، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيدي الله وعظمته ، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرىٰ آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته)[2] .

ويقول ادوارد لوثر كيسيل : (أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة علىٰ وجود اللهزيادة على الأدلة الفلسفية التقليدية ، ونحن لا نقصد من ذلك أن الأدلة الجديدة لازمة أو لا غنىٰ عنها ، فقد كان في الإثبات القديمة ، ما يكفي لإقناع أي إنسان يستطيع أن ينظر إلىٰ الموضوع نظرة مجردة عن الميل أو التحيز ، وأنا بوصفي ممن يؤمنون بالله أرحب بهذه الأدلة الجديدة لسببين : فهي أولاً تزيد معرفتنا بآيات الله وضوحاً .

وهي ثانياً تساعد على كشف الغطاء عن أعين كثير من صرحاء الشكيين حتى يسلموا بوجود الله[3] .

ويقول روبرت هورتون كاميرون ــ أخصائي في الرياضيات : إن رجال العلوم

---

(1) سورة فاطر ــ الآية ٢٨ .

(2) الله يتجلى في عصر العلم ص ٢٠ .

(3) المرجع السابق ص ٢٦ .

يعتمدون على التجربة ، وأنا أعتقد بوجود الله اعتقاداً يستند إلى أدلة تجريبية ولكنها تجارب شخصية صرفة ، ومع ذلك هي أقوى لدي من كل دليل ، وأشد إقناعاً لي من أي برهان رياضي ، لقد لمست هذا الدليل في نفسي منذ اثنتين وثلاثين سنة عندما كنت بحجرتي في القسم الداخلي بجامعة كورنل يوم جاء في البرهان وأغدق الله على قلبي نور الإيمان ، لقد أصبح الله لدي أكبر من كل ما سواه حتى إنني أرضى أن أفقد كل شيء في هذا الوجود ، ولا أرتد إلى حالتي السابقة . .

لقد كان هو سبحانه صاحب الفضل فى هذا البرهان ، فهو الذى أنزله على قلبي وجعلني أعتقد في وجوده[1] .

أما القول بأن الدين عودة للوراء فهذا محض افتراء ، فالدين قد دعانا إلى السير في الأرض وطلب العلم وعمران الحياة ، والتناسل والتكاثر ، ونهى عن العودة إلى الوراء ، وليس وراء الإيمان إلا الكفر وليس بعد الحق إلا الضلال .

لقد كانت البشرية دائماً ترتكس في الشرك الذى هو حضيض التخلف ، وكانت تقع في المظالم وتغرق في الجرائم ولم يكن دور الدين إلا إنقاذ البشرية مما هي فيه والسعي بها نحو عالم أفضل يسوده الإيمان ويعمره الحب والإخاء .

إن كل مظاهر الانحراف عن الدين هي في حقيقتها مظاهر تخلف ترجع إلى الجاهلية الأولى التي انقذنا الله منها ودعانا إلى مافيه صلاحنا وخيرنا فقد قال تعالى : ﴿ **وقَرْنَ فِي بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾[2] فالتبرج عودة إلى الجاهلية الأولى .. أما الحجاب فهو التقدم الذي جاءت به الشريعة .. وحتى لو سلمنا جدلاً أنها عودة للوراء ـــ أعني قضية الإيمان ـــ فلا ضير في ذلك فليس كل وراء متروكاً ومهجوراً ، ألا يترك الإنسان بيته وأولاده وراءه أول النهار ويعود إليهم في آخره .. ويترك وطنه ويعود إليه .. ليس معنى التدين أن نعود فنركب الجمل ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٢) سورة الاحزاب ـــ الآية ٣٣ .

ونترك السيارة والطائرة لم يقل هذا أحد ، وإن ما يروجه المغْرِضون بهذا الصدد ما هو إلا جناية على الحقيقة .. وقد تعودنا الجناية عليها في كتابات كثير من الصحف التي تتظاهر بالاشفاق على أمة العرب والمرأة العربية والمجتمع العربي ، جاء في مجلة عربية تصدر بباريس ما يلي : (هناك سباق للأرانب البشرية في مصر يأكل كل نسب التنمية ، هناك مليون طفل مصري كل عشرة شهور ، لكن الدولة لا تجرؤ على التعقيم ، أو على الأقل لا تجرؤ على تنظيم حملات لتوعية المواطن بمخاطر انفلات التناسل . لماذا ؟ لأن القيم السلفية والتقاليد الإجتماعية والريفية السائدة تحارب الإجهاض وتؤمن بأن البركة في الوفرة العددية لا في النوعية) .

ويتابع صاحب المقال قائلا (المرأة العربية المتعلمة ما زالت تعيش أسيرة التقاليد السائدة ، والقيم السلفية ، تتخرج الفتاة من الثانوية أو الجامعة لتلتزم البيت في إنتظار فارس الأحلام ليعيلها ، المرأة في مجتمعات عربية كثيرة تكاد تكون محرومة من العمل ، ومفصولة تماماً عن حركة المجتمع طاقة مهملة ومعطلة إلا للذة الإنجاب .. فلماذا نلف المرأة في هذا الكيس الأسود العازل الذي يحرمها من النظرة المتفائلة للحياة ، ولا نلف الرجال فيه أيضاً حماية للمرأة من فتنته .

لماذا لا نسقط الحجاب على وجوه الرجال لكي تكون المعاملة بالمثل وبالمساواة بينهم وبين المرأة ؟ لا ؟ لأننا نعيش في المجتمع الشرقي في عالم من صنع الرجال ، إنه الرجل الذى يفرض قيمه وأفكاره وتصوراته على المرأة ، لأنها الأضعف في مجتمع يؤمن بالقوة ويفلسف فيه الوصاية على نصفه الأضعف)[1] .

وكتب أنيس منصور في إحدى مقالاته في أخبار اليوم أنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى هنالك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة ، قال : فقلت في نفسي : متى أرى ذلك المنظر في

---

(١) مجلة الوطن العربي ـــ العدد ٤٨٥،ص٢٩ مقال غسان الأمام . .

جامعة أسيوط لكي تراه عيون أهل الصعيد وتتعوّد عليه[1] .

وكتب إحسان عبد القدوس : إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها ، وتذهب إلى أبيها وتقول له : هذا صديقي[2] .

ونحن نرد على هؤلاء بكلمات للأستاذ محمد قطب يقول فيها : لقد « فرض الحجاب في عهد رسول الله ﷺ ونفّذ في عهده واستمر بعد ذلك ثلاثة عشر قرناً متوالية .. وما من مسلم يؤمن بالله ورسوله يقول إن المرأة في عهد رسول الله ﷺ مظلومة ، فإذا وقع الظلم بعد ذلك حين تخلف المسلمون عن عقيدتهم الصحيحة ومقتضياتها فلم يكن الحجاب — بداهة — هو منبع الظلم ولا سببه ولا قرينه لأنه كان قائماً في خير القرون على الإطلاق والتي قال عنها رسول الله ﷺ : « **خيركم قرني** » وكان قرين النظافة الخلقية والروحية ، وقرين الرفعة الإنسانية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية ولكن المطلوب هو نزع الحجاب !

المطلوب هو السفور !
المطلوب هو التبرج!
المطلوب هو أن تخرج المرأة في النهاية عارية في الطريق !

ذلك ما تطلبه مؤتمرات المبشرين ، وما يطلبه الصليبيون الذين يخططون[3] .

ولم يقتصر الهجوم على الحجاب — بل امتد ليشمل التراث كله .

وهناك من الكتاب العرب من يدعو إلى نبذ تراثنا العربي الإسلامي كله بحجة أن هذا التراث كله بالنسبة إلى عصرنا قد فقد مكانته ، لأنه يقوم أساساً

---

(١) واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ٢٩٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

على محور العلاقة بين الانسان والله ، على حين أن ما نلتمسه اليوم في لهفة مؤرقة هو محور تدور عليه العلاقة بين الانسان والانسان[1] .

دعوات فى منتهى الصراحة فى الهجوم على الدين والإيمان ، علما أن أصحابها بأسماء إسلامية !

ألا يعجب الإنسان أشد العجب حين يرى عقلاء الغرب يدعون إلى الدين ويدركون أهميته بعد أن فقد الإيمان فى مجتمعاتهم ، بينما هناك فى الشرق ناس ينكرون أثر الدين ويدعون للإلتصاق فى أوربا واللحاق فى ركابها فى مجال الشر والخير معا .

وإذا خرج الغرب عن دينه فلأن دينه يختلف عن الدين الإسلامى ، فالمسيحية المحرفة وقفت ضد الحياة ، وضد العلم ، خلافاً للإسلام ، الذى سار مع الحياة وأيد العلم وفى هذا تقول زيغريد هونكه فى كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) :

لقد أوصى محمد ﷺ كل مؤمن رجلاً كان أو امرأة بطلب العلم وجعل ذلك واجبا دينياً ، فهو الذى يقول للمؤمنين (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)[٥] ويرشد أتباعه إلى هذا فيخبرهم بأن ثواب التعلم كثواب الصيام وأن ثواب تعليمه كثواب الصلاة[٣] وكان محمد ﷺ يرى فى تعمق أتباعه فى دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق ، وكان يرى أن المعرفة تنير طريق الإيمان مردداً عليهم (أطلبوا العلم ولو فى الصين)[٤] والرسول يلفت

(١) تجديد الفكر العربي لزكي نجيب محمود ــ دار الشروق ــ دار الشروة ــ الطبعة السابعة .

(٢) لم أجد هذا الحديث فى المصادر التى رجعت إليها .

(٣) ورد فى العلم أن (التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام) ضمن حديث طويل رواه معاذ وأخرجه ابن عبد البر النمرى وقال هو حديث حسن ولكن ليس له إسناد قوى وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً كذا قال رحمه الله ورفعه ، غريب جداً والله أعلم ، أنظر الترغيب والترهيب للمنذرى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج ١ ص ٧٤ نشر دار الفكر بيروت .

(٤) رواه البيهقى والخطيب وابن عبد البر والديلمي وغيرهم عن أنس وهو ضعيف بل قال ابن حبان باطل ، وذكره ابن الجوزى في الموضوعات . أنظر كشف الخفاء للعجلونى تحقيق أحمد قلاش ١٥٤/١ الطبعة الثالثة .

أنظارهم إلى علوم كل الشعوب ، فالعلم يخدم الدين ، والمعرفة من الله ، وترجع إليه ، لذلك فمن واجبهم أن يصلوا إليها ، أياً كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر .

وعلى النقيض تماماً يتساءل بولس الرسول قائلاً : (ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة) ، مفهومان مختلفان ، بل عالمان منفصلان تماماً حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم فى الشرق والغرب ، وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة ، وبين المعرفة السطحية المعاصرة فى أوربا حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها ؟[1] إذاً فالاسلام دين يبارك العلم ويؤيده ، وبشهادة غير المسلمين لأن العلم قوانين الله في الخلق والأشياء ومعرفة هذه القوانين لا يناقض الدين ، بل تتفق مع الدين فكلاهما من مصدر واحد وعليه فلا ينبغى طرح الدين بحجة العلم بل إن العلم هو سبيلنا إلى الدين ، وحينما ابتعدت هذه الأمة عن دينها وانتشرت فيها مذاهب الهدم والفساد ، نزلت عند ذلك بنا الكوارث ، وقد تحدث عن جانب منها أحد الكتاب بقوله :

الشعب الفلسطينى حوصر عربياً وضربت ثورته فى الظهر من هنا وهناك . حتى أن أكثر من أربعة أخماس شهدائها سقطوا برصاص عربى ، والحرب الأهلية ازدادت اشتعالا فى لبنان . المواطن العربي تضاعفت القيود على حركته وحريته .

إسرائيل باتت أكثر شراسة وعدوانية تحت مظلة كامب ديفيد عما كانت عليه منذ قامت في العام ١٩٤٨م .

مستقبل الوطن والمواطن غارق في الظلام .. والعربى بات يهرب من العربى أو يلهث وراءه فى سبيل قتله ، فإذا لم ينجح على أرض الوطن طارده خارج الحدود فى المهجر .

ويتساءل الكاتب قائلا : إلى متى يظل العرب أعداء أنفسهم ، فاقدي التوجه ، مصرّين على الإنتحار الجماعي ببلاهة لم يعرفها التاريخ الإنساني من

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٦٩ . الفصل الرابع .

قبل[1] .

والجواب العلمي الوحيد على هذا السؤال ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) .

ولو درسنا تاريخ هذه الأمة وحاولنا معرفة نقاط الضعف ونقاط القوة في هذا التاريخ ، وتفسير ذلك من خلال تصور علمى دقيق نجد أن عهود الضعف والإنحطاط كانت مرتبطة بالانحراف عن الدين بينما نجد عهود القوة والإنتصار مقترنة بالتمسك بالدين ، فالدين هو مكون هذه الأمة وعمادها فإذا ابتعدت عنه ولو قليلا .. فإنها لن تجني من هذا الابتعاد إلا الويل والدمار بمقدار هذا الابتعاد .

ومن هذا المنطلق كان وجود الصحوة الإسلامية ظاهرة منطقية بعد أن وجدت الأمة الإسلامية نفسها فى أدنى درجات الضعف ، ويطوقها أعداؤها من كل جانب ، وإذا كانت الصحوة الاسلامية تبشر ببداية فجرٍ جديد .. فإن هذا لا يعني أن أعداء الدين غافلون عنها .

فهناك جهات كثيرة تسعى إلى تحويل المسلمين عن دينهم . قال تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾[2] ومثل هذه الجهات تستعمل كل الأساليب الممكنة لتطويق أي عمل إسلامى جاد ، يمكنه أن يعيد مجد المسلمين ووحدتهم ، ويسعى هؤلاء إلى أى نشاط إسلامى بالترغيب ، تارة وبالترهيب أخرى خشية أن يعود مجد الإسلام من جديد ، وأقوالهم في ذلك أكثر من أن تحصر فهذا بأول شمتز يضع كتاباً بعنوان : (الإسلام قوة الغد العالمية) حذّر فيه أوربا من مستقبل الإسلام ودعاها إلى السرعة في القضاء عليه ، فكان مما قاله (.. وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق ، عوداً على بدء ، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام ، وستظهر هذه القوة التى تكمن فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية ، وستُثبت هذه القوة

---

(١) الوطن العربي العدد ٢٧٢ ص ١٧ من مقال لطفى الخولي .

(٢) سورة النساء الآية ٧٩ .

وجودها ، إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والإستفادة منها[1] .

ويختم شمتز كتابه بكلمات تقطر حقدًا وأسى يقول فيها : (إن إنتفاضة العالم الإسلامى صوت نذير لأوربا ، وهتاف يجوب آفاقها يدعو إلى التجمع والتساند الأوربي لمواجهة هذا العملاق الذى بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه .
هل يسمعه أحد ؟ .
هل من مجيب ؟!.[2]

وكأن شمتز لا يكفيه هذا التسلط الهائل الذي تمارسه أوربا على العالم الإسلامي حيث ألهبته حروباً وفتناً وأنهكته بالفقر والحرمان .. فهو يدعوها إلى مزيد من ممارسة القهر والضغط فى وجه المسلمين والسبب في ذلك هو خشيته من عودة الإسلام من جديد ومثل هذه الكلمات التى يطلقها رجال الغرب يجب أن تثير انتباهنا، لنعرف من خلالها كيف يتحرك المسلمون في الوقت الراهن ، والمرحلة القادمة . إذ لابد من وعى كبير للأخطار التى تواجه أمتنا ولابد من معرفة أفضل الطرق لمواجهة هذه الأخطار .. وأعتقد أن الايمان هو أعظم الوسائل التي يمكن أن نتسلح بها فى المرحلة الراهنة .

من هنا تنبع أهمية هذا البحث .. فالإيمان ضروري جداً لنا في هذه الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا ، فهو مفتاح الحل لمشاكلنا المستعصية بعد أن فشلت كل الوسائل الأخرى فالإيمان طريقنا إلى النصر ، يقول تعالى : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[3] .

والايمان طريقنا إلى العزة ، قال تعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** »[4] .

---

(١) الإسلام قوة الغد العالمية لباول شمتز . ترجمة د. محمد شامة ص ٣٢٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٥٦ .
(٣) سورة الروم الآية ٤٧ .
(٤) سورة المنافقون الآية ٨ .

والإيمان طريقنا إلى الحب ، قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً** ﴾[1] .

والإيمان طريقنا إلى الرخاء ، قال تعالى : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾[2] .

والإيمان طريقنا إلى الخلود ، قال تعالى : ﴿ **وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾[3] .

والإيمان طريقنا إلى القدس ، وطريقنا إلى المجد ، وطريقنا إلى الحياة ، قال تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾[5] .

والإيمان طريقنا إلى الخلاص من مكر أعدائنا ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾[6] . وقال أيضاً : ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** ﴾[7] .

والإيمان هو ثروة لا تقدر بثمن . ويمكن للجماهير أن تتحمل كل المصائب في سبيل إيمانها والحفاظ عليه مهما استخدم الالحاد من طرق وحشية فى محاربة المؤمنين والقضاء عليهم . وفى هذا يقول آرثركستلر : (قد يبدو الكذب والإفتراء ، ولو كانا ضروريين ، وإرهاب الجماهير وتخويفها لمنعها من الوقوع في الخطأ ، والتصفية الضرورية للجماعات المعارضة والطبقات المعادية ،

---

(١) سورة مريم الآية ٩٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

(٣) سورة ابراهيم الآية ٢٣ .

(٤) سورة محمد الآية ٧ .

(٥) سورة الآية

(٦) سورة الحج آية ٣٨ .

(٧) سورة آل عمران آية ١٦٠ .

والتضحية اللازمة بجيل كامل فى سبيل الجيل الذى يليه قد يبدو كل ذلك فظيعاً هائلاً ، إلا أن تقبّله يسير على من يسير فى درب الإيمان ولا يعرف درباً غيره)[1] .

نعم إن المؤمن ليصبر ويتلقى كل الأذى فى سبيل إيمانه لأن الإيمان أغلى شيء عنده فإذا فقد هذا الإيمان لم يعد هناك مبرر لوجوده في الحياة .

ونستطيع أن نلاحظ أثر الإيمان فى جميع أوجه النشاط الإنساني من خلال :

١ ــ الفرد المؤمن فى فكره وقلبه وسلوكه وعمله وطموحاته .

٢ ــ المجتمع المؤمن فى اقتصاده وعاداته وتقاليده وقيمه ومبادئه .

٣ ــ الأمة المؤمنة التى تقيم شرع الله وتجتنب الطاغوت .

وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في بحثنا هذا ، بعد أن خصصت الفصل الأول لإثبات ضرورة الإيمان للفرد والمجتمع ، ولتبيان عوج الإلحاد وفشل الحضارة الحديثة نتيجة بعدها عن الإيمان وأثبتنا هذا من خلال أقوال الغربيين وشهاداتهم أنفسهم على هذه الحضارة ، حتى لا يقال إن المسلمين يتجنون على هذه الحضارة عندما يرفضون ما فيها من شر وفساد .

فنحن فى عصر تعصف فيه رياح الكفر من الشرق والغرب وعلينا أن نبذل كل جهودنا لتثبيت جذور الإيمان فى الفرد والمجتمع ولمحاربة ما دب إلينا من فساد الأمم الأخرى .

إن الإيمان هو الذى سيحول حياة الناس من جحيم إلى جنة ومن هزيمة إلى نصر ومن كسل إلى نشاط ، ومن أمة مستهلكة إلى أمة مصدرة ، ومن أمة مستضعفة إلى أمة قوية .

ولا نعنى بالإيمان هنا مجرد ألفاظه وإنما الإيمان هو ما وقر في القلب

---

(١) الصنم الذى هوى عربه فؤاد حمودة ص ٧٥ .

وصدقه العمل ، أو الإيمان على أساس أنه قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان . هذا هو الإيمان الذى يحقق المعجزات ويحلُّ المشكلات ، بإذن الله .

٢ ـ الحضارة فى غياب الإيمان :

ماذا يحدث عندما يغيب الإيمان عن مسرح الحياة ؟

ماذا يحدث عندما تصبح المادة هى أساس الفكر والحياة ؟

ماذا يحدث عندما يكون المجتمع بأسره منحلاً بعيداً عن العقيدة والأخلاق ؟

ماذا يحدث عندما ينادى بعض الناس بـ (العلمانية) أو (الوجودية) أو (الإلحاد) أو (الرأسمالية) أو (فصل الدين عن الدولة) أو غير ذلك من الأفكار والعقائد والرايات ؟ .

فى الحقيقة إن الذى يحدث هو فساد الدنيا وخسران الآخرة ، قال تعالى : **﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾**[١] .

قال ابن كثير : من أعرض عن أمر الله وتناساه فإن له حياة ضنكاً في الدنيا ، فلا طمأنينة له ولا إنشراح لصدره ، بل صدره ضيق حرج لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وسكن حيث شاء وأكل ما شاء ، فإن قلبه في قلق وحيرة وشك[٢] .

هذا جزاء الإعراض عن الشريعة فى الدنيا فهل حصل هذا فى عالمنا فى القرن العشرين .

فى الواقع إنّ ما نراه من حروب ومجاعات وتطاحن وفوضى وخراب فى هذا العالم المنكوب إنما هو بسبب البعد عن الإيمان ومحاربة الدين . وسوف نعرض هنا ما يدل على ذلك من شهادات العلماء الغربيين أنفسهم وهذه بعضها :

---

(١) سورة طه الآية ١٢٤ .

(٢) تجريد البيان لتفسير القرآن ج ١ ، ص ٦٩٥ .

١ ــ يقول رينيه دوبو ــ حامل جائزة نوبل فى العلوم ــ فى كتابه (إنسانية الإنسان) ما يلي :

(فالتوسع الفوضوى غير المتماسك ، الذي تقوم به المجتمعات التكنولوجية في العقود الأخيرة سيأتي حتماً على نهاية الحياة الإنسانية إذا استمر لمدة أطول .

فالزيادة فى الإنتاج بزيادة تسارعه لا تسهم فى سعادة الإنسان ولا فى إدراك معنى الوجود ، وفي الماضى أضرَّ الإزدهار الكبير فى أغلب الأحيان بالقيم الإنسانية وولد سأماً وضجراً ، وأزمة البيئة فى العالم المعاصر تشير كذلك إلى أن الإزدهار ، إذا ما أسيء استعماله ، قد يؤدى إلى تدمير شامل لحياة الإنسان . ولقد أشار (رالف ولدو إمرسن) فى القرن التاسع عشر إلى أن البحبوحة الاقتصادية تقود بصورة عامة إلى سخافة باطلة ، فلقد تنبأ في مجلته أن الإزدهار الأمريكي سينتهي بالجنون .

وهناك كثير من الناس يعتقدون أن الحياة العصرية فى المدن الكبيرة تقترب بصورة خطيرة من حالة الجنون[١] .

ويقول الكاتب فى موضع آخر :(نحن نشكو تجريد الإنسان من إنسانيته ، ويخبرنا علم الأجناس أن الإنسان يكتسب مشاعره الإنسانية خلال صلاته الحميمة بالأحياء الآخرين من حوله ، وأن كل أطوار نموه متكيفة دائماً بالإثارات الاجتماعية التي يتلقاها خلال فترة حياته ، فعلينا أن ننشيء الآن علماً للرجل المعاصر لا يعتبر الإنسان مادة ، وعلينا أن ندرس علاقات الإنسان بالأناس الآخرين فى حالات انفعالاته العاطفية العميقة خلال لقاءاته الفردية وصلاته الإجتماعية العادية ، أثناء لقاءاته العامة التى لا تتطلب عمقاً عاطفياً كبيراً)[٢] .

---

(١) انسانية الانسان عربه نبيل طويل ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠

ويتحدث الكاتب عن المجتمعات المادية ومشكلاتها فيقول : (والمشاكل التى يثيرها الضبط الإجتماعي للتكنولوجيا هى واحدة في المجتمع الرأسمالى أو الإشتراكي أو الشيوعي ، وبغض النظر عن الفلسفة السياسية ، يجب اكتشاف صيغ جديدة للتخطيط الإجتماعي بحيث تكون التكنولوجيا فى خدمة حاجات الإنسان القيمة فعلاً بدل السماح للتكنولوجيا بالنمو لذاتها أو كأداة للتوسع الإقتصادي القومي[١] .

مما سبق نلاحظ عدة أمور منها :

١ ــ إن الزيادة فى الإنتاج لا تسهم فى سعادة الإنسان وحدها .

٢ ــ إن إساءة استعمال الإزدهار تؤدي إلى تدمير الحياة .

٣ ــ علينا أن ننظر للإنسان نظرة متكاملة ولا نكتفى بالنظرة المادية الجزئية إليه .

٤ ــ التقدم التكنولوجي ليس غاية وهدفاً وحده .

٥ ــ وإن الطريق الوحيد أمام العالم هو الإيمان ، فالإيمان هو غذاء للروح والنفس وبدونه يبقى الإنسان قلقاً ضائعاً تائهاً لا قيمة لوجوده مهما بلغ تطوره الصناعي والتكنولوجي فالإنسان قلب وروح وفكر وهذا سر عظمته وتفرده أما باقي الأمور من تناسل وطعام فهو شريك للحيوان فيها

٦ ــ يرى (توينبى)أن عالم اليوم بوجه خاص يعانى أخطر الأزمان التى تعرض لها فى وجوده كله .

ويضيف (توينبى) :

إنه فى دور انحلال الحضارات يدب الفساد فى أرواح الناس ، ويطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها تغيير جذري ، ويحل محل الصفات الباهرة

---

(١) إنسانية الإنسان ، ص ٢٦٨ .

والقوى المبدعة التي كانت تزخر بها ذواتهم في دور النمو الحضاري ثنائية من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة ، ثنائية في السلوك تتقاذف نفوس الأفراد ، وثنائية في الشعور تتقاذف قلوب الناس ، وثنائية في الحياة تتقاذف وجود الناس وفي هذا الدور يتعرى الفساد الروحي أيضاً عن موصوفه ، تعم فتفسد الأخلاق والعادات ، وانحطاط يسود الآداب ، ومن هنا ــ من عمق الإحساس بالمأساة المتوقعة ثار قلق توينبي على مصير الإنسان والإنسانية السائرة فى موكبه .

لقد حسب هيجل أزمة العالم سياسية فحاول حلّها بالدعوة إلى تحقيق الدولة المثلى ، واعتقد (ماركس) أنها أزمة اقتصادية فحاول حلّها بالدعوة إلى تحقيق النظام الاشتراكي ، أما (توينبى) فأيقن أن حقيقة الأزمة ليست سياسية ولا اقتصادية ولكنها أزمة روحية قبل كل شيء[1] .

إن الأزمة فى نظر (توينبى) أزمة روحية ، والإنسان بما هو فعل وحرية مسؤولة ، وإيمان ومحبة ، وبما هو في جوهر إنسانيته تلك الطاقة الروحية الخلاقة القادرة أن تولد وأن تسخر ، وبالتالي جميع ما ينبثق عنها من النشاطات العقلية والمادية فى سبيل تحقيق الغاية المثلى من وجودها ، هو المسئول وهو المستطيع أن ينتصر على الأزمة وأن يخرج منها أقوى وأكمل . وكذلك يلح (توينبى) عليه ، ويبصره بماهيته العظيمة ويدله على طريق الحق والحياء ــ طريق الله ــ ليسلكها ويرتقي عبر القلق وعبر التناقض إلى الغاية من وجوده ومن وجود العالم معه[2] .

٣ ــ ويقول برتراندرسل : (.... بيد أننا بلغنا لحظة في التاريخ البشري أصبح فيها لأول مرة ، مجرد بقاء الجنس البشري يعتمد على مدى ما تستطيع الكائنات البشرية أن تتعلم كيف تجعل تصرفاتها متفقة مع الإعتبارات الأخلاقية ، فإذا واصلنا السماح للإنفعالات المدمرة بميدان تعمل فيه ، فإن مهارتنا المتزايدة ستنتهي حتماً بنا جميعاً إلى كارثة ومن ثم فإن الإنسان يجب عليه أن يأمل ، بقدر

(١) الانسان وصحته النفسية د. مصطفى فهمى ص ٨٤ و ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ ــ ٨٦ .

ما يستطيع من ثقة فى أنه حتى ونحن على حافة الكارثة الدهماء النهائية ، سيتوقف الجنس البشرى ليفكر فى الأمر وليدرك أن أي ثمن ندفعه للبقاء ، ولو كان هذا الثمن هو خير من نكرههم ، هو ثمن غير مرتفع(١) .

ويتحدث المؤلف رسل عن حالة التمزق الذى تعيشه البشرية فيقول : (إن الإنفعالات المدمرة لم تجلب على البشرية أية سعادة حقيقية فأولئك الذين كانوا يملكون العبيد عاشوا فى رعب من ثورات العبيد والشعوب المسلحة المتخاصمة تعيش فى ظل الخوف من الهزيمة فى الحرب ، وجميع من يستفيدون من وراء عدم العدالة عليهم أن يكبتوا عواطفهم الأكثر كرماً ، وأن يظلوا جاهلين لبعض المتع التى تهيئها الحياة البشرية . علينا أن نبحث لماذا استعمل الناس حتى الآن ذكاءهم فى صنع عالم لا يستطيع التمتع به سوى قلة وينطوي بالنسبة لغالبية من يهمهم الأمر على حياة أكثر بؤساً من حياة الحيوانات المتوحشة وأن نفهم لماذا حدث ذلك(٢) .

ويتحدث رسل عما يمكن أن يحلّ من الدمار الشامل للحياة الإنسانية إذا ما استمر الإنسان فى مسيرته البائسة ثم يقول : (ومن المستحيل أن يتكهن المرء بحدود الضرر الذى يستطيع الناس أن يلحقوه ببعضهم البعض بمساعدة المبتكرات العلمية ، وليس هناك حتى الآن ما يدل على أن الإنسان قد يحجم عن أقصى تطرف فى عملية الإفتاء المتبادل ، فعلى جانبي الستار الحديدي تصنع القنابل الهيدروجينية بأقصى سرعة ممكنة ، وكل من الجانبين يأمل أن القنبلة الهيدروجينية ستكون حاسمة ، وحتى الآن لا يرى الرجال الأقوياء الذين يوجهون سياسات الأمم أي بديل لهذا السباق نحو الإنتحار المتبادل . أليس هناك لدى الجنس البشرى من الإدراك السليم ما يكفى لتجنب هذه الكارثة التى لا يريدها أحد! .

---

(١) المجتمع البشرى في الأخلاق والسياسة لبراتندرسل ترجمة عبد الكريم أحمد ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩ .

فإذا قيض للناس أن ينجوا من نتائج مهاراتهم الساذجة ، فعليهم أن يتعلموا فى كل البلاد القوية فى العالم ، أو على الأقل في أمريكا وروسيا ألا يفكروا في الناس باعتبارهم جماعات ، بل أن يكون تفكيرهم فى « الإنسان » ولم يسبق للإنسان أبداً باعتباره نوعاً أن تعرض للخطر ، ولم يسبق أبداً أن هدد التنافس بين جماعات العالم كله بالفناء ، وقد أصبح التفكير فى السياسة على أساس احتمال النصر كطلب المستحيل)[1] .

٤ ـــ جاء فى كتاب (الأخوة الزائفة تأليف جاك تني وهو عضو مجلس الشيوخ الأمريكي : (لا توجد علاقة بين الأخلاق والسياسة ، كما لا توجد بين الأخلاق والحرب .. إنني لا أعني بذلك أن هذا هو عين الصواب ، ولكن ذلك هو الأمر الواقع فى هذا العالم ، وكذلك تعتبر الصراحة والأمانة والنزاهة صفات نقص خطيرة فى شخصية السياسي فى هذا العصر ، ولو حدث أن نال سياسي يتحلى بهذه الصفات مركزاً هاماً ، وأصرّ على التعلق بهذه الخرافات التى عفى عليها الزمن ، فلن يقدر له الفوز فى الانتخابات التالية ، هذا إذا لم يفقد منصبه قبل المدة المقدرة له .. فالناس لا يهتمون كثيراً بهذه الفضائل ، لأنهم يكرهون الحقيقة إذا تدخلت لإعاقة أحلامهم ، ويسوؤهم أن يواجهوا بحقائق الحياة الكريهة .. لقد أصبحت جماهير تستثيرهم العاطفة والمصالح الخاصة والطمع الشديد ، ويعرف رجال الدعاية هذا الأمر ، ولم يعد يوجد فى سوقهم أى مكان للمنطق والعقل والإعتبار العلمي والحقائق الواضحة[2]).

هذا هو العالم بلا إيمان ، إنه غابة يأكل فيها القوى الضعيف ، وينتصر الشرّ على الخير ، ويضيع فيه الأمل ، وتتمزق فيه الأعصاب ، ويحار فيه الإنسان ، وتنهار فيه القيم ، وتضطرب فيه معتقدات الناس ، هذا هو عصر الرعب والإرهاب والتدمير والقلق والوحشية ، إن ما يحدث فى عالمنا ما هو إلا بسبب الإبتعاد عن

---

(١) المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ص ١٨٦ .

(٢) الأخوة الزائفة . ترجمة أحمد البازوري ص ٢٠٠ : ٢٠١ .

الإيمانَ والغرق فى أحضان الشيطان والإلحاد ، إننا فى حيرة وهلاك لا ينقذنا منهما إلا الإيمان .. الإيمان بالله وملائكته وأنبيائه واليوم الاخر وإنه لواجب على الأمة المسلمة أن تكف عن تقليد الغرب واتباعه .. وأن تعود لمنهج الحق وتحكيم الهدى وإلا فإننا سنخسر كثيراً إذا ما بقينا فى اتباعنا الأعمىٰ للغرب . حيث إننا نتبعهم حتى بالأزياء والملابس والمظاهر العامة للحياة ، بل إن تأثير أوربا قد امتد إلى عقولنا وأرواحنا .. فأصبح الذى يتبع الغرب يسمونه تقدمياً .. والذى يتبع الشرع يسمونه رجعياً،وليتنا اتبعناه أي الغرب بما ينفع من العلوم .. أما أن نتبعه في الأخلاق والقيم والعقائد فهذا ما نستعيذ بالله منه .. إذ أنه مسخ لهذه الأمة ..

إن الأمراض النفسية والعصبية والأيدز والزهرى بدأت تغزو المسلمين فهل يتعظ المسلمون ويعودون إلى إيمانهم هذا الإيمان الذى لا يقدر بثمن ولا يوزن بمقدار .

ولماذا لا نقوم بنشر عقيدتنا فى هذا العالم المضطرب الحائر ونهديه إلى شاطيء السلام والبر والإيمان ؟!

يقول الفيلسوف الإسلامى محمد إقبال :

إن هذا العصر ليل فأنر أيها المسلم ليل الحائرين

وسفين الحق فى لج الهوىٰ لا يرىٰ غيرك ربان السفين[1]

إن المسلم المعاصر عليه مسئولية ضخمة فى هذا العالم التائه فهو الذى يملك من البصيرة ومفاتيح الخير ما يجعله جديراًبأن يكون المنقذ الوحيد لهذه الإنسانية المعذبة ، فيما لو تمسك بدينه ، وتزود من العلم ما يجعله مؤهلا إلى توصيل الدعوة إلى الناس بأفضل الطرق المحببة إليهم .

٥ ــ ويقول البروفسير يونج عالم النفس الشهير عن تجاربه عن الأمراض النفسية .

« طلب منى أناس كثيرون ، من جميع الدول المتحضرة ، مشورة لأمراضهم

---

(١) نشيدنا ص ١٢٢ .

النفسية في السنوات الثلاثين الأخيرة ، ولم تكن مشكلة أحد من هؤلاء المرضى — الذين جاوزوا النصف الأول من حياتهم وهو ما بعد ٣٥ سنة — إلا الحرمان من العقيدة الدينية ويمكن أن يقال : إن مرضهم لم يكن إلا لأنهم فقدوا الشيء الذى تعطيه الأديان الحاضرة للمؤمنين بها فى كل عصر ، ولم يشف أحد من هؤلاء المرضى إلا عندما استرجع فكرته الدينية[١] . »

٦ — يقول نورتون : ان مستقبل أوربا مظلم جداً وبالنسبة لي فيبدو الأمر وكأننا مقبلون على مرحلة جديدة تماما من مراحل التاريخ[٢] .

٧ — ويقول الأستاذ (كريسي موريسون) رئيس أكاديمية نيويورك سابقاً :

« إن الاحتشام والإحترام ، والسخاء ، وعظمة الأخلاق والقيم والمشاعر السامية وكل ما يمكن اعتباره « نفحات إلهية » لا يمكن الحصول عليها عن طريق الإلحاد .

فالإلحاد نوع من الأنانية ، حيث يجلس الإنسان على كرسي الله . لسوف تقضي هذه الحضارة بدون العقيدة والدين . سوف يتحول النظام إلى فوضى سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك . سوف يتفشى الشر فى كل مكان إنها لحاجة ملحة أن نقوى صلتنا وعلاقتنا بالله[٣] .

مما تقدم نجد أن الحضارة الغربية على وشك الإنهيار بل إن هناك من كتب كتباً ضخمة عن فشل الحضارة مثل أشبنغلر في كتابه (تدهور الغرب)[٤] كتب (كولن ولسون) كتابه القيم : (سقوط الحضارة) . وعلى أية حال فإن

---

(١) الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان ، ص ١٨٨ .

(٢) فائدة الشعر وفائدة النقد — اليوت ، ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٨ .

(٤) نقله إلى العربية أحمد الشيباني ونشره بعنوان (تدهور الحضارة الغربية) والكتاب مطبوع فى بيروت مطبعة مكتبة الحياة .

أسباب سقوط هذه الحضارة يعود إلى أمور كثيرة منها :

١ — فقدان الإيمان لا سيما فى الدول المتقدمة تكنولوجيا .

٢ — تحطم القيم الدينية والأخلاقية والإجتماعية فى أغلب المجتمعات .

٣ — التعامل مع الإنسان على أنه جسد حيواني لا روح فيه .

٤ — ظهور النزعات الإلحادية والمذاهب الهدامة .

٥ — إن السلاح متركز في يد قوى الشر والإلحاد .

٦ — إنهماك المجتمعات فى مستنقع الشهوات .

٧ — اضطراب شخصية الانسان في جريه وراء الحسيات وهجرانه للمعنويات .

٨ — الغرور بالعلم حتى عبده بعض الناس ، علما أن العلم وسيلة للحقيقة ، ولا ينبغي أن يتخذ العلم ذريعة إلى الإلحاد والغرور والغباء وإنكار الإيمان . لأن الإيمان هو الحقيقة الكبرى في هذا الوجود .

٩ — السرعة والأنانية واللامبالاة والسلبية عند الفرد تجاه المجتمع .

وإذا كانت الحضارة الغربية تسير باتجاه السقوط — بسبب خلوها من الإيمان ، فإن على الأمم الأخرى أن تتعظ من تجربة الغرب ولا تنزلق فيما انزلق الغرب فيه .

إن الغرب متطور فعلا ولكن في مجال الصناعة فقط ، ويا حبذا لو نافسناه فى ذلك .

أما فى مجال الفكر والعقيدة فإنه يعيش فى فوضى عارمة ولم يجد كثير من كتابه وأدبائه وعلمائه سبيلا إلا الدين كى ينقذهم من المصير المحتوم ، فهذا ت.س اليوت يدعو إلى كتابه أدب ملتزم مسيحي : (إذ أن الشعر كفيل بإنقاذنا والشعر قادر على انقاذنا كما يقول ريتشاردز . وذلك عندما يسير الشعر فى ركاب الدين[1]).

(١) فائدة الشعر وفائدة النقد — اليوت — ترجمة يوسف نور عوض ص ١٢٦ .

(فحين يرينا موقع الحقيقة الأخلاقية والأصالة الخارقة فسينقذ الدين الشعر من عبث التصديق بأنه قد قدر له أن يطور الأخلاق والحياة ، هنا سينقذ الدين الشعر من الغرور)[1] .

وإنه لمن الواجب على كتابنا وأدبائنا فى الشرق العربي المسلم أن يزرعوا القيم والأخلاق ، ويدفعوا الشكوك والإلحاد عن مجتمعنا لكي لا نقع فيما وقع فيه غيرنا ، لا سيما أننا أصحاب الرسالة الربانية الخالدة الخاتمة ، فيجب أن نتعظ من حال الغرب أولا ، ويجب أن نحاول أن ننقذ غيرنا ثانياً .

إن الأمم والشعوب فى أمس الحاجة إلى تعاليم ديننا والدخول في إسلامنا وإذا استطعنا يوما ما أن نتجاوز مشاكلنا وأخطاءنا فسوف نؤدي للعالم أعظم خدمة إذا نشرنا فيه الاسلام من جديد .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ .

٣ ـ المجتمع الشيوعي وغياب العقيدة الدينية :

الشيوعية فكرة إلحادية أسسها ودعا إليها اليهودي كارل ماركس ، فالجذر الأساسي للشيوعية صهيوني يهودي وهذا معروف مشهور فى كتب المسلمين وغيرهم ومن هذه الكتب .

١ ـ جذور البلاء للأستاذ عبد الله التل .

٢ ـ الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام للأستاذ عبد الله التل .

٣ ـ بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة خليفة التونسى وتقديم العقاد .

والوثائق فى هذا أكثر من أن تحصر ، نكتفى هنا أن نقدم كلمة أخرى من كتاب جاك تنى ، والمسمى (الأخوة الزائفة) ، يقول المؤلف :

[إن الشيوعية اليهودية لابد أن تسيطر يوماً على الشيوعية الأممية ولن ينصهر الصهاينة في الشيوعية الدولية أكثر من انصهارهم في أي تجمع آخر فالشيوعية ليست إلا اختراعاً يهودياً ، تماماً كما اخترعوا الرأسمالية ، وقد استخدم الاختراعان وسيواصل استخدامهما لنفس الأهداف اليهودية][1] .

ولا يخفى أن هدف اليهود من نشر الإلحاد هو تحطيم الأديان الأخرى ـ لا سيما الإسلام ـ فهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، ولا يحق لغيرهم أن يتخذ ديناً فجميع الخلق ماعدا اليهود بهائم وحيوانات يحل قتلهم ويجوز استغلالهم إلى غير ذلك مما ورد فى عقيدتهم العدوانية التى صورها التلمود خير تصوير .

إن المجتمع الشيوعي فى الأول والآخر هو مجموعة من التناقضات والأمراض والأخطاء . ولعل رواية (عائد من الجحيم) لأنطوان دومازه هى من أصدق الروايات التى تصور مأساة الإنسان وراء الستار الحديدي .

وهناك كتاب اسمه (الصنم الذى هوىٰ)[2] وفيه يتحدث ستة من كتّاب

(١) الأخوة الزائفة ص ٢٠٠ .

(٢) عربة فؤاد حمودة .

أوربا الكبار عن إيمانهم بالشيوعية ورحلتهم إليها .. ثم عن رحلة العودة بعد أن يئسوا منها وهؤلاء الستة هم :

١ — رتشارد رايت .
٢ — آرثر كستلر .
٣ — أكناز سيلوني .
٤ — أندريه جيد .
٥ — ستيفن سبندر .
٦ — لويس فيشر .

ويقول فيه لويس فيشر عن الإتحاد السوفيتى : ﴿ لا حرية في الدكتاتورية لأنه لا توجد هناك حقوق ثابتة ، فإن قوة الدكتاتور من الضخامة وقوة الفرد من الضآلة بحيث يستطيع الديكتاتور أن يسترد أي حق يمنحه للناس ، إن حق العمل مثلاً قد يعني اليوم حق العمل فى مصنع بأجر ثم يعني غداً الضرورة الملحة للعمل فى مراكز التجميع من أجل جرايات لا تكاد تمسك الرمق ولا يستطيع المواطن أن يطالب بتعويض أو رد للحقوق لأن الدكتاتور هو المشرع وهو المنفذ وهو القاضي ، إن الشعوب السوفيتية الدؤوبة الموهوبة تستحق أفضل من هذا ، وتعرف أفضل من هذا ولكنها لا تملك من أمرها شيئاً ، وفي كل يوم يزداد الإرهاب قسوة .

إن تأييدي السابق للنظام السوفيتي قادني إلىٰ خطأ آخر حين ظننت أن نظاماً يقوم على قاعدة (الغاية تبرر الواسطة) يمكن في يوم من الأيام أن يخلق عالماً أفضل أو إنساناً أفضل[1] .

إن الواسطة الفاجرة لا تؤدي إلا إلى غاية فاجرة وأفراد فجرة سواء في النظام البلشفي أو الرأسمالي[2] .

ويتحدث الكاتب عن القبضة الحديدية للنظام الشيوعي فيقول : وليس هناك

أيضاً أي دليل بأن هذه الدولة البوليسية في طريقها إلىٰ الزوال ، بل إن العكس هو الصحيح ، فإن كل تطهير يقع يبعد مجموعات جديدة ويستلزم تطهيراً جديداً ، وبهذا يصبح التطهير سلاحاً دائماً في يد الدكتاتور ضد الشعب[1] .

ويقول آرثركستلر : إن روسيا حقا جنة الكاتب ، ولكنها جنة من الأشجار المحرمة يحرسها ملائكة غلاظ شداد ذوو سيوف حداد[2] .. ويتابع قائلا : كنت أتحدث الروسية بطلاقة ، إلا أنني رغم أنني كنت أسافر وحدي ، نادراً ما كنت أجد المناسبة لأتحدث مع أحد من غير الموظفين الرسميين ، فإن المواطن الروسي العادي يدرك أن رؤية الناس له وهو يتحدث مع أجنبي أمر خطير كلمس المجذوم ، أما من تحدث منهم معى فعلاً في المطاعم أو في صالون القطار فقد كانوا يستعملون « الكليشات » المحفوظة التي تستعملها جريدة البرافدا ، حتىٰ ليخطر فى بال الإنسان أنهم يقرأون من كتاب فى أساليب الإنشاء الحديث[3] .

وإن السبب في ظهور الشيوعية كما يقول أندريه جيد هو المسيحية فقد قال : إنني أرىٰ أن المسيحية قد أفلست بسبب تساهلها وتركها الحبل على الغارب وقد كتبت من قبل ، ولا زلت أومن أشد الإيمان ، أن المسيحية لو نفذت تعاليم المسيح حقا وطبقها الناس فى حياتهم لما كان هناك من حاجة إلىٰ الشيوعية ، بل لما كان هناك مشاكل إجتماعية على الإطلاق[4] .

إذاً فالمسيحية انحرفت ولو أنها كانت استمرت صادقة ويؤمن بها أبناؤها لما جاءت الشيوعية . فالشيوعية جاءت نتيجة تفسخ المجتمع المسيحي الرأسمالي وإفرازه لآلاف الأمراض الإجتماعية والنفسية والإقتصادية .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٠ .

إن مشكلة الشيوعية أنها تتعامل مع الإنسان كالآلةِ .. فهو مادة فقط ، والكون والأفكار وكل شيء مادة ، والقيم والأخلاق والأديان خرافة .. هذه هي المفاهيم الشيوعية الخاطئة والتى جعلت هدف الإنسان ثلاثة أشياء وهي : ــ

١ ــ الغذاء .
٢ ــ المسكن .
٣ ــ الجنس .

علماً أن الإسلام جعل الغذاء والمسكن والجنس وسائل وضروريات فى الحياة ، فهو يؤمنها للإنسان كأوليات لتساعده فى بلوغ أهداف أكمل وأعظم وأهم وهي استخلاف الإنسان في الأرض .. والإسلام نظام رباني رشيد ليس فيه تحطيم للفطرة والأخلاق والقيم مثلما تفعل الشيوعية .

إن الشيوعية في ظاهرها حرب بين الفقراء والأغنياء ، وفي حقيقتها حرب بين الشيطان وكل القيم الفاضلة .

إن الذين يعيشون في الجحيم الشيوعي يدركون فقدان نعمة الإيمان ويبكون عليها ويعانون آلاف المشاكل في حياتهم .

إن الشيوعية نظام قذر لا يؤمن بالإنسان ولا قيم الإنسان بل إن الشيوعية تمارس أخسَّ أنواع التعذيب مع المؤمنين بصفة خاصة . ومن هذه الوسائل :

١ ــ دق مسامير في الرأس حتى تصل إلى المخ .
٢ ــ إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه .
٣ ــ جعل المسجون هدفاً لرصاص الجنود يتمرنون عليه .
٤ ــ حبس المسجونين في سجون لا ينفذ إليها هواء ولا نور وتجويعهم إلى أن يموتوا .
٥ ــ وضع خوذات معدنية على الرأس وإمرار التيار الكهربائي فيها .
٦ ــ ربط الرأس فى طرف آلة ميكانيكية وباقي الجسم في ماكينة أخرى ، ثم تدار كل من الماكينتين في اتجاهات متضادة، فتعمل كل واحدة مقتربة

من أختها أحياناً ومبتعدة أحياناً أخرى فإما إن يقرَّ المعذب وإما أن يموت .

٧ ــ دق مسمار حديدي أو إبر الجراموفون في الجسم .

٨ ــ صبُّ زيت مغلي على جسم المعذب .

٩ ــ كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة إلى درجة الإحمرار .

١٠ ــ تسمير الأظافر بمسمار حديدي حتى يخرج من الجانب الآخر .

١١ ــ ربط المسجون على سرير ربطاً محكماً ثم تركه لأيام عديدة .

١٢ ــ إجبار المسجون على أن ينام عارياً فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء .

١٣ ــ نتف كتل من شعر الرأس بعنف ، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .

١٤ ــ تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .

١٥ ــ صب المواد الحارقة والكاوية في فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم بعد ربطهم ربطاً محكماً .

١٦ ــ وضع صخرة على ظهر المسجون بعد أن توثق يداه إلى ظهره .

١٧ ــ ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة .

١٨ ــ ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه ، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين .

١٩ ــ إحداث ثقب في الجسم وإدخال حبل ذي عقد واستعماله بعد يومين كمنشار لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل .

٢٠ ــ ولكي يضمنوا أن يظل المسجون واقفاً على قدميه طويلاً يلجأون إلى تسمير أذنيه بالجدار .

٢١ ــ وضع المسجون في برميل مملوء بالماء في فصل الشتاء .

٢٢ ــ خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضها إلى بعض .

٢٣ ــ والنساء حظهن من مثل هذا العذاب أن يعرين ويضربن ضرباً مبرحاً على

أثدائهـن وصدورهـن،أمـا بقيـة تعـذيب الـنساء فإننـا نمسك عنـه لأن المواقـع التـي اختاروهـا من آجسامهـن والطـرق الدنيئـة التـي استعملوهـا تجعلنـا نستحي من ذكرها وكتابتها »[1] .

تلك هي الشيوعيـة . وبهذه الحماقـة تتعامـل مع المواطـن وتلاحـق المؤمـن . من هنا ندرك أن أي عقيـدة لا تؤمـن بالله والأديـان هي عقيـدة إجراميـة قذرة مهمـا ادعت أنها مع الكـادحين والفقـراء فهـذا محض كذب وافتـراء وكم هو الفـرق بين الإسلام المتسامح مع خصومه وبين الشيوعية الفاجرة المتوحشة في معاملتها للخصوم .

إن الإسلام لم يعامل خصومه معاملة وحشيـة قاسيـة ولم يقـم بحمـلات تطـهير ضد خصومـه واقتـلاع جذورهـم . ثم إن الإسلام عامـل باقي الذمـيين والمستأمـنين معاملة لا تعاملهم إياها أرقىٰ الديمقراطيـات في العـالم ، فهـو لا يؤمـن بإكـراه النـاس على الدخول فيـه فلا مقارنـة أصلاً بين الديـن الربـاني المجيـد، وبين الشيوعيـة الضالـة الهدامة ، من هنـا يتضح أن الشيوعيـة رغـم اعتمادهـا على الحديـد والنـار لم تفلـح في إقناع شعـوبها من الصين إلى أوربـا الشرقيـة ، لم تفلـح في إقنـاع هذه الشعـوب بتـرك أديانها واعتناق الإلحاد .

فالإسلام باق بين شعوب الإتحاد السوفيتي وشعوب الـدول الشيوعيـة الأخـرى وهو ينتشر سراً ، وهناك دعاة مؤمنـون ثابتـون يدعـون إليـه دون أن تعرفهـم مخابـرات الحزب الشيوعـي ، وحتـىٰ إذا عرفتهم فإن الله يبـعث غيرهـم ، والقافلـة تسير رغـم خناجر الملحدين وسيوفهم .

أما بالنسبة للمسيحيين فإن هناك طقوساً تقـام بالسر وكـذلك بالنسبـة لبقيـة الأديان .

إن العلاقـة بين الإنسان وخالقـه لن يقـدر على قطعهـا أحـد ، فالإنسان مذ

---

(١) عن كتاب (دراسات إسلامية) لسيد قطب ص ٢٠٤ ــ ٢٠٦ وقد نقلها عن كتاب (المسلمون وراء الستار الحديدى) للأستاذ عيسى يوسف آلب تكين الذى فرَّ من وراء الستار ! .

وجـد هو عبـد الله مؤمـــن به ويدعـــوه في البـــأساء والضراء ﴿ **والله متم نوره** ﴾[1]
﴿ **والله من ورائهم محيط** ﴾[2] ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾[3] .

(١) سورة الصف آية ٨ .

(٢) سورة البروج آية ٢٠ .

(٣) سورة الفجر آية ١٤ .

٤ ــ المجتمع الغربي وغياب العقيدة الدينية :

أمريكا تعيش كارثة .. لا يقول هذا دعاة الدين فقط ، بل علماء أمريكا أيضا يقولون ذلك جاء فى كتاب (الطب الحديث) للمؤلفة ما رجويت كلارك[١] ما يلى :

(حقيقة الأمر أن أكثر الأمريكيين يعيشون اليوم بدون غاية ولا مغزى ، وليس لهم فلسفة منطقية واضحة ، وهم يحيون داخل أي إطار ذى مراجع[٢]).

وتتحدث الكاتبة عن مشكلة الإنتحار فى أمريكا فتقول :

تدل الإحصاءات بالولايات المتحدة على أن واحداً من الناس يحاول قتل نفسه كل دقيقة تمرّ من الوقت ، كما تدل على أن جميع هذه المحاولات تنجح سبعين أو ثمانين مرة فى اليوم ، وبهذا المعدل سوف يكون عدد الوفيات بالانتحار فى عام ١٩٦٠م حوالى عشرين ألفاً ، ويكون ترتيب الإنتحار فى جدول أسباب الوفيات حسب عددها هو العاشر ، وهو عشرة أضعاف الوفيات المسببة عن قتل الغير[٣] .

ولا تشمل هذه الأرقام المفزعة نحو مائة الألف شخص أو أكثر الذين يموتون سنوياً بسبب المضاعفات الناتجة عن عملية محاولة الإنتحار ، كما لا تشمل هؤلاء الأشخاص « المعرضين للحوادث » الذين يقتلون أنفسهم تدريجياً ولا حالات « المنتحرين المستترين » الذين تزور سجلات وفاتهم لأسباب دينية أو خشية وصمة عار تلحق بالأسرة[٤] .

---

(١) ترجم الكتاب د. محمد نظيف ..ونشرته دار الفكر العربى بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين القاهرة ــ نيويورك ــ ١٩٦٣
(٢) الطب الحديث ص ١٥٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥١ .
(٤) المرجع السابق ص ١٥١ .

أما أرقام الإنتحار بين الأطفال والمراهقين فهى عالية بشكل مخيف ففى كل عام يوجد نحو من ٢٩٠ محاولة انتحار ناجحة فى مجموعة السن بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة ، كما يوجد بين ٣٥ ، ٦٠ حالة انتحار فى السن بين العاشرة والرابعة عشرة ، ونسبة الإنتحار فى الكليات هى عالية أيضاً ، وتحدد إحدى الدراسات التى عملت فى كلية ييل النسبة بنحو ١٣ لكل مائة ألف من السكان وبذلك يكون الإنتحار ثانى أسباب الوفيات ، (والحوادث هى الأولى)[١] .

ونسبة الإنتحار بين البيض فى أمريكا هى ثلاثة أضعاف النسبة بين الملونين ، ويفسر أحد السود ذلك بقوله : عندما يقلق الرجل الأبيض فهو يضرب نفسه بالرصاص ، وعندما يفكر الرجل الأسود فى متاعبه فهو يذهب لينام[٢] .

وللدكتور كارل مينجر نصيحته السليمة وإن كانت على مستوى أقل فى النهاية وهى : تزداد رغبة الأمريكيين يوماً بعد يوم بالتعجيل بالأشياء ونحن يتسلط علينا وهم يقرب من الإنتحار ، وهذا خطر محقق ، ولسوف نضطر إلى الإبطاء والتمهل ، ودنيا الأعمال المستقبلة قد تحدد ساعات العمل الأسبوعي بثلاثين ساعة فقط ، ولكن كيف نقضي يومين أو ثلاثة بدون عمل ؟ وماذا نفعل بها ؟ هل نكتفى بالجلوس أمام التلفزيون لفترة أطول[٣].

وعن الشذوذ الجنسى قالت المؤلفة : ويتمسك البعض من أطباء الأمراض العقلية برأيهم أن المضاجعة بين الجنس الواحد لا تعتبر جريمة إلا فى حالة الإعتداء على الأطفال ، أو الإكراه ، أو الإخلال بالأداب العامة[٤] .

والمضاجعة بين الجنس الواحد فى عصرنا هذا ، هى أكثر انتشاراً مما

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٤) الطب الحديث ص ١٢٤ .

يخطر ببال كثير من الناس ، إذ يقال إن هناك نحو نصف مليون من الرجال المنحرفين والمنحرفات في نيويورك وحدها(١) .

هذه هى أمريكا التى فتن بها كثير من شباب المسلمين .

أية حضارة فى مجتمع يقدم شبابه على الإنتحار والمجون والشذوذ . ما قيمة التقدم العلمى والإنسان خاوى الفكر عديم العقيدة فارغ الروح .

ما قيمة الإنسان وهو يعيش بلا هدف ولا غاية .

إن المجتمع الأمريكى مجتمع ضائع ، متمزق ، وما ذلك إلا بسبب فقدانهم للإيمان وللعقيدة الدينية . وحين يفقد الانسان إيمانه يفقد مبرر وجوده فى الحياة . وهذا ما يدفع الأمريكيين إلى الإنتحار . فهم يعيشون فى حالة غريبة من التمزق والفوضى والإباحية وما ذلك إلا بسبب فقدان الضابط الديني ونعمة الإيمان .

من هنا نعلم أن الأمة الإسلامية عندها نعمة عظيمة ورثتها وهى نعمة الإيمان وينبغي المحافظة على هذه النعمة والشكر عليها وعدم السماح لأية جهة كانت بأن تعتدي على الإيمان والقيم الدينية فى داخل العالم الاسلامى الكبير كما يجب صياغة القوانين والدساتير صياغة نابعة من الشريعة الإسلامية التى يجب أن تحكم عالمنا الاسلامي لأن المجتمعات المؤمنة يجب أن تحكمها شريعة الله فقط .

تعقيب :

بعد أن عرضنا للمجتمع الأمريكى نريد أن نعرض للمجتمعات الأوربية ونشير بسرعة إلى بعض ما تعانيه أوربا وهو أيضاً بسبب عدم وجود الإيمان .

جاء فى تقرير من المملكة المتحدة البريطانية .

ــ إن ما ينفق على المسكنات والمهدئات الطبية يبلغ كل عام حوالى ٦ مليون

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٢ .

جنيه استرليني .

ـــ وأن ١٠٠ مليون علبة من أقراص الهلوسة تصرف فى مدينة لندن وضواحيها بإذن من الأطباء .

ـــ وفى الدراسات الميدانية الأكلينيكية على الأطفال والمراهقين يتضح أن القلق كان صفة أساسية في حياتهم وبصورة واضحة[١] .

وكلنا يذكر الضجة التى أثيرت فى البرلمان البريطانى وانتهت بإباحة الجنسية المثلية (العلاقة بين الرجل والرجل) .. فهؤلاء مصابون بطبيعتهم بهذا المرض .. أو هذه الرغبة[٢] .

والعجيب أن هناك دعوة إلى الزواج بالمحارم وهناك من ينفذها فى أوربا . بل إن بعض كبار كتابهم يذهب به الشطح والخيال إلى إباحة مثل هذا الزواج وافتراضه ضرورة ولو نظرياً .

يقول رسل : خذ مثلاً تحريم زواج المحارم ، ولنفرض أن قنبلة ذرية قضت على سكان الكرة الأرضية ، ولم يبق سوى شقيق وشقيقته فهل يجب عليهما أن يدعا الجنس البشرى ينقرض ؟ أنا لا أعرف الجواب ولكني لا أعتقد أنه سيكون بالإيجاب لمجرد أن زواج المحارم غير مشروع[٣]

هكذا غرقت أوربا فى الآثام وضيعت شبابها وأبناءها فلا يخدعن العاقل

ما عليه أوربا فى الظاهر من تقدم وعلوم .. فإن الحضارة لابد أن تكون شاملة لجانب المادة وجانب الروح .. فإذا تقدمت فى جانب المادة وتخلفت في جانب الروح فإن هذه الحضارة تكون حينئذ حضارة ناقصة وربما كان ضررها على الانسان أكثر من نفعها وما هذه الحروب المدمرة إلا أكبر شاهد على ما أقول .. لقد أصبح مصير الانسانية مهدداً بفضل منجزات حضارة القرن العشرين .

---

(١) الانسان وصحته النفسية ص ٨٣ ــ ٨٤ .

(٢) الأمراض النفسية والعصبية ص ٢٤٢ .

(٣) المجتمع البشرى برتراندرسل ص ٣٧ .

٥ ـ الإيمان والصحة النفسية :

للإيمان دور كبير فى صحة الإنسان النفسية ويتمثل هذا الدور فى ثلاث نقاط تبقى مع الإنسان ما بقي في الحياة تهبه الطمأنينة والسعادة وتحفظه من ظلمات الشك والضلال وهذه النقاط هي :

١ ــ دور مغذ .

٢ ــ دور وقائي .

٣ ــ دور علاجي .

فالدور المغذي يكون فى الطفولة حيث يتم غرس وبث العقيدة الدينية ويستمر هذا الدور حتى الصبا والمراهقة ، وفيه تتم الإجابة على أسئلة الفطرة :

ــ من أنا ؟

ــ ومن أين جئت ؟

ــ وإلى أين أسير ؟

ــ ولماذا ؟ وكيف ؟

وبهذا يتخلص الإنسان من التخبط الفكري والتشوش النفسي والعقدي ويستطيع أن يفهم دوره في الحياة ، ولا شك أن سلامة الفرد سلامة للمجتمع ، ويستمر هذا الدور مع الإنسان بقية حياته .

والدور الوقائي يأتي فى تحريم كثير من الأمور التى هى سبب فى الأمراض النفسية مثل :

١ ــ النظر إلى العورات .

٢ ــ الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

٣ ــ التجسس على الناس .

٤ ــ الغيبة والنميمة .

٥ ــ السخرية من الناس .

٦ ــ إرهاب الآمنين .

ويتمثل الدور الوقائى فى التشجيع على عديد من الأمور ، مثل :

ــ الزواج .

ــ التعاون .

ــ المحبة بين الناس .

ــ الصدقات والهدايا .

ــ التكافل الإجتماعي .

ــ العفو والمسامحة .

أما الدور العلاجى فيتمثل بالتوبة والمغفرة وفتح باب الرحمة أمام المذنبين وإقفال الماضى .

وأقدم فيما يلى بعض ما قاله المتخصصون فى هذا المجال عن أهمية الدين ودور الإيمان فى الصحة النفسية :

يقول الدكتور حامد عبد السلام زهران فى كتابه (الصحة النفسية والعلاج النفسى) ما يلى :

« إن من أهم أهداف التربية والصحة النفسية تنمية المواطن الصالح المؤمن والإنسان الحر صاحب الإرادة والعقيدة ، والفرد الذى يعيش فى سعادة وسلامة وسلام ، إن التربية بمعناها الواسع تشمل التربية الدينية والنمو بمعناه الشامل يتضمن النمو الديني والأخلاقي والصحة النفسية بمعناها الواسع تشمل السعادة فى الدنيا والدين . لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ، وهو يعلم من خلق ، والخالق هو الذى يعرف كيف يصير الإنسان سوياً ، ووضع لذلك القوانين السماوية ، وهو الذى يعرف ماذا يفسد الإنسان ، وهو الذى يعرف طرق وقايته وصيانته ، وهو الذى يعرف طريقة علاجه وصلاحه وفيما نرى أن علماء النفس العلاجى يجب أن يستفيدوا من الدين وأن يلتزموا بقوانين الخالق لأنهم ليسوا أعلم بالإنسان من الله الذى خلقه ، قال الله تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف**

الخبير ﴾ (تبارك آية ١٤)[١] .

ويتحدث د. زهران عن أسباب الإضطراب النفسي فيقول :

« ونحن نعلم أن من أخطر الأسباب النفسية للإضطراب هو الصراع ، وأخطر الصراعات فى الإنسان الصراع بين قوى الخير والشر ، وبين الحلال والحرام ، وبين الجانب الملائكي والحيواني فى الإنسان ، أى أن الصراع قد ينشأ بين النفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء ، فيتأثر بذلك اطمئنان النفس المطمئنة ويحيلها إلى نفس مضطربة ، ونحن نعرف أن الصراع إذا استحكم صرع الإنسان وأدى إلى القلق الذى يؤرقه .

ويجمع أنصار العلاج النفسى الدينى على أن الخطيئة وهى الذنب أو الإثم على مستوى الشعور ، والشعور بالإثم نتيجة ما ارتكبه الإنسان من أعمال وسوس إليه بها الشيطان ، وكان يود ألا يرتكبها يعتبران العنصر الأساسي فى تكوين العصاب[٢] .

ويتحدث المؤلف عن الوقاية الدينية من المرض النفسي فيقول :

« إن الإيمان والتدين عقيدة خالصة وعمل مخلص ، والسلوك يجب أن يكون وفقاً لها ، والسلوك الذى يخرج على الدين ، والسلوك الذى يأخذ شكل العبادة الآلية قد يؤدي إلى السلوك المنحرف وقد تؤدي التيارات السلوكية المستوردة بلا تنقية إلى نكسة تصيب الناس فى عقيدتهم الدينية وإيمانهم بتعاليم الدين وعملهم وسلوكهم على هداه مما يؤدي إلى تشويه الشخصية الفردية والاجتماعية

وتتضمن الوقاية الدينية من المرض النفسي الإهتمام بكل من التربية الدينية والتربية الأخلاقية ، وبناء نظام القيم كدعامة أساسية للسلوك السوى ، وشرط أساسي لتحقيق التوافق النفسي ، ومن أهم معالم طريق الوقاية بناء شخصية المؤمن كما

---

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي ص ٣٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٢ .

حددها الدين ، إن غاية المطلوب هو النفس المطمئنة التى توفق بين النفس الأمارة بالسوء وبين النفس اللوامة وتنمية النفس البصيرة[1] ».

ويتحدث الدكتور مصطفى فهمى عن العلاج الديني فيقول :

« إن هذه النظرية العلاجية تعتمد اعتمادا كبيراً على الدين ، ذلك أن الدين هو الطريق إلى العقل .. إن الدين كذلك هو الطريق إلى القلب .. إن الدين يحدث نوعاً من غسيل المخ للفرد .. إن الدين هو الطريق إلى بقاء ودوام القيم الإنسانية التى تعتبر إطاراً مرجعياً لسلوك الفرد وتصرفاته وأسلوب حياته ، إن الدين من العوامل المعينة للإنسان للتغلب على التوترات والصراعات التى يتعرض لها ، فقد ساعد الأفراد على مر العصور والأزمنة على مواجهة قوى الظلم والإستبداد ، من أجل هذا كله ظهرت محاولات عدة لصياغة الكثير من القواعد والمباديء الدينية فى قوالب نفسية ونستطيع أن نعبر عن ذلك بالعبارة المشهورة To Psychologize religlono على حد تعبير (مورر Mourer) .

إن هذه المحاولات النفسية ذات الأصول الدينية سوف تنقذ البشرية[2] .

ويحدد مصطفى فهمى أركان المنهج الدينى بخمس نقاط ، وهى :

(أولا) الاثم والشعور بالخطيئة .

(ثانيا) الإعتراف والتكفير .

(ثالثا) الذات الإجتماعية .

(رابعا) القيم الأخلاقية والروحية والدينية .

(خامسا) صحة البدن .

هذه هى أركان المنهج الديني .. هذا المنهج الذى يعتمد أولاً على الدين وثانياً على علوم التربية والنفس والأخلاق وأخيراً على الطب البدني ، لأن العقل

---

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي ص ٣٧٣ .

(٢) الإنسان وصحته النفسية لمصطفى فهمي ص ٢٦٤ .

السليم فى الجسم السليم[1] .

إن العلاج النفسى الدينى يعقد اعتماداً كبيراً على التوجيه والاستبصار وعلى معرفة الفرد لنفسه ولربه ولدينه ، وللقيم والمبادىء الروحية والخلقية .

إن المعرفة « غير الدنيوية » المتعددة الجوانب والأركان تعتبر مشعلاً يوجه الفرد فى دنياه ، ويزيده استبصاراً بنفسه وبأعماله وذنوبه وآثامه وطرائق تكيفه فى حاضره ومستقبله[2] .

وهذه بعض المقتطفات مما ذكروه عن العلاج النفسي الديني[3] .

— الإيمان بالله : قال تعالى : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم** ﴾[4] .

— الإيمان باليوم الآخر : قال تعالى : ﴿ **وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان** ﴾[5]

— ذكر الله : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[6] .

— المسئولية : قال تعالى : ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾[7] .

— التعاون : قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾[8] .

— ترك الكبائر : قال تعالى : ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا**

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٦ .

(٣) الصحة النفسية والعلاج النفسي ص ٣٧٤ — ٣٨٦ بتصرف ، والإنسان وصحته النفسية ص ٢٦٣ — ٢٩٤ بتصرف .

(٤) سورة التغابن الآية ١١ .

(٥) سورة العنكبوت — الآية ٦٤ .

(٦) سورة الرعد الآية ٢٨ .

(٧) سورة القيامة الآية ١٤ .

(٨) سورة المائدة الآية ٢ .

اللمم ﴾[1] .

ومما ذكروه فى خطوات العلاج النفسى :

- **النــدم** : وهـو يتضمـن شكـوى النـفس من النـفس طلبـاً للخـلاص والغفـران . والنـدم فيـه إفضاء الإنسان بما في نفسه إلى الله . قال تعـالى على لسان آدم وحـواء : ﴿ **ربنـا ظلمنـا أنفسنـا وإن لم تغفـر لنـا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾[2] .

- **التوبة** : هى طريـق المغفـرة وهـى أمـل المخطـىء الـذى تحطمـه ذنوبـه وهـي التي تحرره من آثامه وخطاياه ، وهي الأمل فى الغفران تشعر الفـرد بالتفـاؤل والراحة النفسية والتوبـة كما يذكـر الغـزالى فى الإحيـاء لها ثلاثـة أركان : علـم وحال وفعل :

فالعلم : هو معرفة ضرر الذنب المخالف لأمر الله .

والحال : هو الشعور بالذنب .

والفعل : هو ترك الذنب والنزوع نحو الخير .

قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبـة نصوحـا ، عسى ربكـم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾[4].

- **الإستبصـار** : وهـو الـوصول بالمريض إلى فهـم أسبـاب شقائـه النـفسي ومشكلاتـه النفسيـة ، والدوافـع التـي أدت إلى إرتكـاب الخطيئـة والذنـوب وفهم المريض لنفسه وطبيعته الإنسانيـة ومواجـهتها وفهـم ما بنـفسه من خير وشر وتقبـل المفـاهيم الجديـدة والمثـل الدينيـة العليـا ، ويتضمـن هذا نمو

---

(١) سورة النجم الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

(٤) سورة التحريم الآية (٨) .

الذات البصيرة وهى الذات التى تحكم السلوك السوى للإنسان فى ضوء بعدين رئيسيين :

- البعد الرأسى الذى يحدد علاقة الإنسان بربه .
- والبعد الأفقى الذى يحدد العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، قال تعالى : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[1] .

- **العلم واكتساب اتجاهات وقيم جديدة** : ومن خلال ذلك يتم تقبل الذات وتقبل الآخرين والقدرة على ترويض النفس وعلى ضبط الذات وتحمل المسئولية ، والقدرة على تكوين علاقات اجتماعية مبنية على الثقة المتبادلة والقدرة على التضحية وخدمة الآخرين ، واتخاذ أهداف واقعية مشروعة فى الحياة مثل القدرة على الصمود وعلى العمل والإنتاج ، وهكذا يتم تكوين وتنمية النفس اللوامة ، أو الضمير أو الأنا الأعلى كسلطة داخلية أو رقيب نفسي على السلوك ، ويتم تطهير النفس وإبعادها عن الرغبات المحرمة اللاأخلاقية واللااجتماعية ، ويستقيم سلوك الإنسان بعد أن يتبع السيئات الحسنات فتمحوها وتطمئن النفس المطمئنة . قال تعالى : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[3] .

- **الدعاء** : وهو سؤال الله والإلتجاء إليه فى كشف الضر .

قال تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[4] .

---

(١) سورة طه الآية ٨٢ .

(٢) سورة هود الآية ١٢٤ .

(٣) سورة المجادلة الآية ١١

(٤) سورة غافر ــ الآية ٦٠ .

— **الفحص الطبى** : إن ضعف الصحة من شأنه أن يؤدى إلى اضطراب الوظائف الجسمية المختلفة ، وهذا يؤدى إلى وجود حالة من القابلية أو الإستعداد أو الإستهداف للإصابة بمرض نفسى .. ومعنى هذا أن الصحة النفسية تتأثر بدرجة كبيرة بالصحة الجسيمة ، والنبى ﷺ أمر بالتداوي وثبت عنه ﷺ قوله « **لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء : برأ بإذن الله عز وجل** » رواه مسلم[1]. وقال أيضا « **ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء** » رواه الشيخان[2].

وبعد : فإننى تكلمت عن علاقة الإيمان بالصحة النفسية لأسباب أساسية تتعلق بالموضوع وهي :

١ — أن عصرنا مصاب بالأمراض بل هو عصر المرض النفسى .

٢ — هذا المرض النفسى كما شخصه العارفون لا علاج له إلا بالدين ، واتفق .. أغلب علماء الغرب والشرق على ذلك .

٣ — فالدين والإيمان ضروريان لسلامة الفرد النفسية ولسلامة المجتمع بعد ذلك .

٤ — وإن محاولة إقصاء الدين عن الحياة كما هو فى معظم بلاد المسلمين إنما هى خطة مدبرة لتدمير هذه الأمة .

٥ — إن على المسلمين أن يحافظوا على إيمانهم ويقيموا علومهم النفسية والإجتماعية خاصة ومن ثم بقية العلوم على أساس دينى .

٦ — على المسلمين أن يقدموا إسلامهم إلى الأمم الأخرى على أنه النموذج الأمثل الوحيد لحل مشكلات الفرد والمجتمع لاسيما فى المجتمعات الأوربية الخاوية بعد أن تمردت على المسيحية وغرقت في الشهوات

---

(١) الطب النبوي — ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

٧ ــ علينا أن نغرس الإيمان فى نفوس الأجيال القادمة ، ونربيها على الإعتزاز بدينها وتراثها .

٨ ــ إن جلب أفكار ودعاوى غير إسلامية سواء كانت يسارية أو يمينية وحشوها فى أذهان المسلمين إن هذا العمل جريمة علينا أن نتنبه لها و نحذر منها .

٩ ــ إن المجتمع اللاديني مجتمع مريض تافه غارق فى الحسيات واللذائذ المحرمة ومثل هذا المجتمع سينتهي حتماً إلى كارثة .

١٠ ــ والإنسان بلا إيمان هو حيوان له مطالب الحيوان وغرائز الحيوان ودوافع الحيوان وهو فى النهاية محطم نفسياً فى الدنيا ، خاسر للآخرة .

١١ ــ لو لم يكن للإيمان أية مزية باستثناء سلامة الفرد من الأمراض النفسية لكان يكفي هذا مبرراً للتمسك به فكيف والإيمان له من المزايا مثل النجوم وله ما يؤيده من الشواهد بقدر ما خلق الله من الكائنات وأودع فيها من أسرار .

١٢ ــ إن الملحد مريض فى نفسه وفى سلوكه وفى مشاعره وعقله وفى تصرفاته ، إنه إنسان ممزق مضطرب وما ذلك إلا بسبب حرمانه من نعمة الإيمان .

ونعيد هنا كلمة الكاتب الأوربى الكبير « أندريه جيد » يقول :

« إن المسيحية لو نفذت تعاليم المسيح حقاً ، وطبقها الناس فى حياتهم . لما كان هناك من حاجة إلى الشيوعية ، بل لما كانت هناك مشاكل إجتماعية على الإطلاق[1] ».

إننى اتعجب من ثقة هذا الكاتب فى المسيحية ، وهى محرفة والكاتب يقصد طبعاً التعاليم الموجودة الآن فى الإنجيل .. أتعجب من ثقة هذا الكاتب فى دينه ومعتقده ، وأنكر تفلت كثير من كتاب المشرق الإسلامى من دينهم

---

(١) الصنم الذي هوى ص ٢١٠ .

ومعتقداتهم، ودينهم هو الحق ودينهم هو الصواب باعتراف الغربيين أنفسهم ، ولن يكون إسلام موريس بوكاي ورجاء غارودي وغيرهما هو آخر حجة على هؤلاء المفتونين بالغرب فالشواهد تتزايد يوماً بعد يوم فى جانب الفكر والواقع فهناك كثير من المثقفين من غير المسلمين فى مختلف أرجاء العالم يقبلون على الإسلام ، وأتعجب أكثر من مسألة عدم تحكيم الشريعة فى كثير من ديار المسلمين وقد يعتبر الداعي إلى تحكيمها وهداها آثما بل مجرماً فى كثير من الأحيان ومقره فى ظلمات السجون . ثم يعرض أمر تحكيم الشريعة على البرلمان فيرفض البرلمان دائماً ويكتفى الدستور الوضعي بأن يقول الشريعة الإسلامية مصدر أساسي للتشريع؟! .

ونحن ننقل فى خاتمة هذا الفصل شهادة من (بوسورث سميث) ومن الدكتور ليتزعن رسالة نبينا محمد ﷺ نقدمها لأولئك الذين فتنوا بالغرب وأتباعه والمؤمن الحق هو بغنى عن هاتين الشهادتين وليس من عاين الحقيقة بنفسه بحاجة إلى شهادة غيره .

يقول البروفيسور « بوسورت سميث » داعيا البشرية كلها إلى الإيمان برسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

لقد ادعى محمد لنفسه فى آخر حياته نفس ما ادعاه فى بداية رسالته وإنى لأجدنى مدفوعاً إلى الإعتقاد بأن كلاً من الفلسفة العليا والمسيحية الصادقة ، سوف تضطران يوماً ما إلى التسليم بأنه كان نبياً صادقاً من عند الله[1] .

ويقول الدكتور ليتز عن الرسول :

إنى لأجرؤ بكل أدب أن أقول : إن الله هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها ، ولو كان يوحي إلى عباده فدين محمد هو دين الوحي ، ولو كانت آيات الخير والشر ، ودفع الباطل هى الشاهدة على الإلهام ، فرسالة محمد هى هذا الإلهام[2] .

(١) عن كتاب الإسلام يتحدى ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٦ .

وأقول فى خاتمة هذا الفصل إن الإيمان هو الطريق العلمى الصحيح الوحيد أمام البشرية فى القرن العشرين والذى يجب أن تسلكه للخلاص من شقائها وعذابها فقد أكدت احصائية : أن ثمانين فى المائة من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضاً ناتجة عن الأعصاب ، من ناحية أو أخرى .

ويقول علماء النفس الحديث : إن أهم جذور هذه الأمراض النفسية ، الكراهية ، والحقد والجريمة ، والخوف ، والإرهاق ، واليأس ، والترقب ، والشك ، والأثرة ، والإنزعاج من البيئة وكل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله .

إن هذا الإيمان بالله يمنح الإنسان يقيناً جباراً ، حتى يستطيع مواجهة أعتى المشكلات والصعاب ، فهو يجاهد فى سبيل هدف سام أعلى ، ويغض بصره عن الأهداف الدنيئة القذرة(١) .

إن الإيمان بالله يعطى الإنسان محركاً هو أساس سائر الأخلاق الطيبة ، ومصدر قوة العقيدة ، العقيدة التي عبر عنها « السير وليام أوسلر » بقوله :

إنها قوة محركة عظيمة ، لا توزن بأى ميزان ولا يمكن تجربتها فى المعامل(٢) .

إن هذه العقيدة هى سر مخزن الصحة النفسية الموفورة ، التى يتمتع بها أصحابها ، وأية نفسية محرومة من هذه العقيدة لن تنتهى إلا بالأمراض أقساها وأعتاها .

فالمجتمع الجديد يسير فى اتجاهين فى وقت واحد ، فهو يحاول من جهة الحصول على جميع الكماليات المادية ، على حين يتسبب بتركه الدين فى خلق أحوال تجعل من الحياة جحيماً .

إنه يعطيك دواء الشفاء فى الفم ، ويحقنك السم فى العضل(٣) .

---

(١) الإسلام يتحدىٰ ص ١٨٦ .
(٢) المصدر السابق ١٨٦ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٦ .

٦ ــ حاجة الإنسان إلى الإيمان :

نبدأ أولا فنعرف الإيمان :

جاء فى المعجم فى مادة (أمن) :

(آمن) إيماناً : صار ذا أمن ــ وبه وثق ، وصدقه . وفى التنزيل العزيز « وما أنت بمؤمن لنا »[١] وفلاناً جعله يأمن .

(أمن) ــ أمنا وأمانا ، وأمانة ، وأمنا ، وإمنا ، وأمنة : اطمأن ولم يخف ، فهو آمن وأمن وأمين ، يقال لك الأمان ، أي قد أمنتك . (الإيمان) : التصديق .

وشرعاً : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان[٢] .

ونحن نخلص من التعريف اللغوى والتعريف الإصطلاحى إلى أن : الإيمان **متصل بالأمن** فإن صدقت بالرسالة نلت الأمان من الله . قال تعالى : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون »[٣] .

فالمؤمن هو صاحب الأمن وهو أولى به من الكافر . فإذا انعدم الإيمان انعدم الأمن ، فيصبح الإنسان مضطرباً قلقاً لا يستقر على شيء . قال تعالى : **« ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق »**[٤] .

---

(١) سورة يوسف آية ١٧ .

(٢) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٨١ .

(٤) سورة الحج الآية ٣١ .

وعندما ينعدم الأمان ، يصبح موت الإنسان خيراً من حياته ، وفناؤه خيراً من بقائه وهذا ما قرره القرآن نفسه ، عندما وصف الكفار بالأموات ، ووصف المؤمنين بالأحياء ووصف عملية الهداية بأنها نقلة من الموت إلى الحياة . قال تعالى : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾[1] .

فالإنسان بلا إيمان هو إنسان ميت .

هو ميت القلب والضمير والمشاعر والأحاسيس .

وميت العقل والفكر والبصر .

وميت الأخلاق والنفس .

وميت المزاج .

وميت الروح .

ومثل هذا الإنسان لا قيمة له فى الوجود ، بل إن الحيوان أفضل منه ، لأن الحيوان لم يخرج عن طبعه ، ولم يعهد إليه بحمل رسالة أما الإنسان فهو حامل للأمانة ، وفيه من روح الله ، فإذا لم يؤد الأمانة ، ولم يرع حق الله ، فقد خرج عن مهمة وجوده وهى العبادة ، وأداء الرسالة ، وانحرف عن سلوكه الذي ينبغي أن يكون عليه ، بمعنى أنه انحرف عن فطرته ، وصار شيطاناً وخالف طبعه المعهود فيه ، وعليه فالحيوان لم يخرج عن طبعه فى الحياة لأن وظيفته الأساسية هى اشباع غرائزه ، أما الإنسان فحين يهجر الإيمان ويغرق وراء غرائزه فقد انحرف عن رسالته ووظيفته الأساسية فى الحياة وبالتالي فقد خرج عن مهمته الأساسية فصار مثل الحيوان بل إن الحيوان أهدى منه . قال تعالى :

---

(١) سورة الأنعام ــ الآية ١٢٢ .

﴿ أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾[١] .

٥٤ فهم كالأنعام يغرقون فى اللذائذ والحسيات[٢] ، وهم أضل سبيلاً منها ، لأن الحيوان لا عقل له ولم يطلب منه تكليف شرعي أما هؤلاء فقد طلب منهم وزودوا بالعقل وجاءهم رسول ربهم فكفروا وانحرفوا مع أهوائهم ، ألا يكون هؤلاء أضل سبيلاً من الحيوانات ؟! .

هذا من ناحية العقيدة .. فالإنسان الكافر أو المشرك أو المنافق أو الإنسان الجاهلي أياً كانت وجهته ومذهبه مزود بآلات استقبال الهدىٰ ، لكنه قد عطلها واستعملها فى غير طريق الحق . زوده الله بالسمع والبصر والبيان .. فصرف قواه كلها إلى الحياة الدنيا ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، واشتغل بالحسيات وهجر المعنويات ، وغرق في الدنيا ونسي الآخرة فأصبح لا يرى ولا يسمع ولا يحس إلا بما تمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء .

مثل هذا الإنسان هو صفر فى ميزان الله ولو ملك مفاتيح الدنيا في يديه ، وما ذلك إلا لأنه انحرف عن الغاية التي وجد من أجلها فمهما جمع من حطام الدنيا ومن علومها ومن ملذاتها ومن مناصبها فهو تافه فى ميزان الله ، لأن البلادة حلّت على عقله ، والعمى حلّ على عينيه ، فلم يعد مبصراً ولا سميعاً ولا ناطقاً ولا عاقلاً . وعن هذا اللون من الناس قال تعالى : **﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾**[٣] .

---

(١) سورة الفرقان الاية ٤٤ .

(٢) إن واقع الحياة عند الماديين يؤكد هذه الحقيقة ـ بل هم أنفسهم يقولون ان الانسان حيوان وانحدر من قرد حسب نظرية دارون التي آمنوا بها وينعتون كل القيم بأنها مثالية غير صالحة للتطبيق واستعمالي لهذه الألفاظ هو وصف للحقيقة وتصوير لها .. وليس بقصد النيل منهم ، أسأل الله الهداية لهم وللبشرية جمعاء إلى دينه القويم .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨ .

هذا اللون من النـاس تستقطبـه الشهـوات وتجذبـه الملـذات وأكثر أصحابـه من أربـاب الأهـواء والمتكبريـن والمتجبريـن الذيـن أوثـــرت بهم نار جهنـــم وسوف تكتظ بهم قال تعالى : ﴿ **ألقيا في جهنم كل كفـار عنيـد ، منـاع للـخير معتـد مريب** ﴾[1] .

هذا اللون يعيش لينهب اللذات ، وينال من الشهوات فى شبابـه مالا يقـدر عليه فى شيخوخته .

هذا اللـون من النـاس يغـرق فى حب الدنيـا ليحـــرم في الآخرة ، وكما قال تعالى : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفـروا على النـار ، أذهـبتم طيباتكـم فى حياتكـم الدنيـــا واستمتـــعتم بها فاليـــوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستـــكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[2].

ومثل هؤلاء الناس غير مهيئين لرؤية النور والهدى ، وهـذه العينـة من النـاس لا تؤمـن إلا بالحسيـات وهـي وإن آمـنت بالله فإيمانها مجرد إيمان نظـري لا صلـة له فى واقعهـا العـملي ، هؤلاء ليس لديهم القـدرة على النفـوذ إلى حقائـق الأشيـاء وبواطـــن الأمور ، فهم سطحيون جداً ، يكتفون من الوقائع والأشيـاء بظاهرهـا . فحين ينظـر المؤمـن إلى السمـاء يتعـجب من بديـع صنعهـــا وجمال كواكبها واتساعهـــا وزرقتها وشمسها .. ويتذكر قدرة الله ويدفعه هذا إلى الإخبات لله عز وجل .

أما المادي أو الكافر فإنـه ربما نظـر إلى السمـاء ولكـن نظرتـه لا تزيـد عن أن تكون نظرة سطحية لا تحرك فيه أى إحساس نحو الخالق العظيم .

إن الكافـر يسأل دائمـــاً كيـــف حصل هذا ولا يسأل لماذا حصل ، هذه النظرة السطحية للأمور هى وراء دمار الإنسان وشقائه . وأما فيمـا يتعلـق بالسلـوك،

---

(١) سورة ق الآية ٢٤ ــ ٢٥ .

(٢) الاحقاف الآية ٢٠ .

فالمؤمن مشتغل دائماً بمجاهدة نفسه ، وقمع هواها ، راكض نحو العبادة والطاعات ، مسارع إلى كسب الدرجات .. وأما غير المؤمن فهو متهالك على إرضاء نفسه ، بل ربما ارتكب جرائم وحشية بحق الآخرين إرضاءً للنفس ، وهنا ندرك عظمة الإيمان .. فالإيمان يمنع صاحبه من أن يصير وحشاً أو حيواناً يدور حول ذاته ولا يرى فى الوجود إلا نفسه بينما غير المؤمن غالباً ما يستبيح كل شيء فى سبيل لهوه ولذاته وأهوائه وشهواته .

إن غير المؤمن إنسان كئيب متثاقل ميت فى شهواته ، ومثل هذا الإنسان قد لا توقظه آلاف الصدمات فى حياته .. فهو أعمى وسيبقى أعمى .. ولا يقام له وزن يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾[1] .

المشكلة فى هؤلاء أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

إن الأمور لتختلط على الناس فى كثير من الأحيان ولا يعرف الحق من الباطل والخبيث من الطيب إلا المؤمنون ، ولسان حالهم يقول : فليغرق أهل الباطل فى باطلهم ، وليحاربوا الحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وليأكلوا مثلما تأكل البهائم . فسوف يحصدون ذلك كله ، حين لا ينفع الندم ولا المعذرة ، قال تعالى : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**﴾[2] .

ومهما حدث من صراع بين أنصار الإيمان وخصومه ــ وحتى لو ملك خصوم الإيمان كل الأسلحة والقوى المادية فإن الإيمان لابد أن ينتصر فى النهاية .. لأنه مؤيد من خالق السموات والأرض ولأن البشرية لن تجد فى النهاية طريقا لسلامتها وأمنها إلا الإيمان ، يقول الدكتور/ مصطفى فهمي متحدثا عن أهمية الإيمان للإنسان :

---

(١) سورة الكهف الآيات (١٠٣ ــ ١٠٥) .

(٢) سورة الحجر الآية ٣ .

« إن الأمراض النفسية تتكاثر أشكالها يوماً بعد يوم ، لدرجة أن ذكر أحد الأطباء النفسيين أن ربع سكان العالم فى الوقت الحاضر مصابون بعرض أو أكثر من أعراض المرض النفسي أو العقلي ، ولسنا فى حاجة لتأييد هذه الحقيقة ، أن نقول : إن مرجع ذلك ناتج عن عدم كفاية وسائل العلاج الحديثة ، فقد يكون مصدر الوله كافياً فى تعقد الحياة فى المدنيات الحديثة ، وإلى سيطرة الأنانية الشخصية فى المجتمعات الرأسمالية ، ذلك أن هذه المجتمعات بمثلها الأنانية فى الربح والاستغلال تحول الإنسان إلى سلع متشابهة .. بضائع ثمنها يقوم فى السوق كأى بضاعة أخرى[1] .

ذلك شأن النظم الرأسمالية ، وما تنطوى عليه من تناقضات بين قيم الطبقات المستغلة المستفيدة ، وما ينشب من ألوان الصراع بين أفراد المجتمع لا يمكن أن تستقيم ولا يمكن أن تستقر معها حياة الأفراد ، كما لا يمكن أن يتوفر لهم الأمن والراحة النفسية ، فتزداد مشاكل الناس فتعصف بهم عوامل الصراع والقلق والإضطراب[2]

ويقول الكسيس كاريل :

يمكن إعطاء جواب بسيط على هذا السؤال .. إن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، إذ أنها تولدت من خيالات الإكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا[3] .

ويتحدث كاريل عن مستقبل الحضارة والإنسان فيقول (يجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شيء ، ولكن الواقع عكس ذلك فهو غريب فى العالم الذي ابتدعه ، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته ،

---

(١) الإنسان وصحته النفسية ص ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣) الإنسان ذلك المجهول تعريب شفيق أسعد فريد ص ٣٧ .

ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة . هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية، فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة ، لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا .. إننا قوم تعساء ، لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا ، إن الجماعات والأمم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة فى الضعف والتى ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها . ولكنها لا تدرك ذلك ، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها ، وحقيقة الأمر أن مدنيتنا ، مثل المدنيات التى سبقتها ، أوجدت أحوالا معينة للحياة من شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة ، وذلك لأسباب لا تزال غامضة ، إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، إننا ضحايا تأخر علوم الحياة عن علوم الجماد)[1] .

هذه هي الحضارة حين تقام على أساس لاديني .. الإنسان قلق ، والإنسان معذب ، والإنسان ضحية ، وفى النهاية لا تعدو هذه الحضارة أن تقتل الإنسان ، تقتله روحيا لأنها خاوية روحيا وليس فيها ما يسد حاجة الإنسان الروحية ، وتقتله جسدياً بواسطة الحروب المدمرة والأسلحة الكيميائية والذرية التى يمكن أن تبيد الحياة على وجه الأرض كما يدعى أصحابها ، بل هنالك دراسة . تقول لو ألقيت القنابل والمتفجرات التى صنعها الإنسان على الأرض فربما تشطر الأرض ويصبح لدينا كوكبان ! بل ربما تنحرف الأرض عن مدارها نحو الشمس ، أو باتجاه أى كوكب آخر ! .

إنه عالم الرعب والقلق والموت . عالم المجاعات والفقر والحروب المدمرة .. عالم الأمراض والقهر والحرمان . وماذاك إلا بسبب إقصاء الإيمان عن حياة الناس ، وانغماسهم فى المتع الحسية وانصرافهم للمادة وابتعادهم عن منهج الله .

إن الإنسان حين يفقد الإيمان يصبح مثل شجرة بلا جذور ، فلا قرار ولا

---

(١) المرجع السابق ص ٤١ ـــ ٤٢ .

أصالة ولاعطاء ، وربما أصبح كالوحش شراسة أو صار عدواً لنفسه .. عدواً لأهله .. عدواً لمجتمعه . وهو على كل الأحوال ضائع الهوية .. فاقد الذات ، يحس بالخوف والرهبة تجاه باقي المخلوقات ، ولابد أن ينزلق ليصبح أسفل السافلين . ويخسر قواه النفسية والروحية فى النهاية مما يسبب له خسارة الدنيا ثم الآخرة .. والسبب أنه ضيع إيمانه قال تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون**﴾[1] .

وكثيراً ما يلقي الإنسان تبعات أخطائه وتخلفه وجهله على الدهر أو الحياة علما بأن العيب ليس في الدهر ولا في الزمن ولا فى الدنيا ولا فى الحياة ، إنما العيب هو من نفس الإنسان .. العيب الذى يجعلنا نتصور الحياة مظلمة كئيبة هو من أنفسنا قال تعالى : ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾[2] . وقال أيضا ﴿ **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً** ﴾[3] .

من أجل هذا فإننى أرى أن الإنسان المعاصر شديد الحاجة إلى الإيمان ، وهناك أسباب كثيرة تجعلنى أقول ذلك ، أسباب نستخلصها من الواقع الذي نعيشه ونحياه فمن الناحية العقيدية الإنسان محتاج إلى الإيمان .. محتاج إليه كي يفسر هذا الوجود ..

- لماذا جاء للحياة ؟
- وإلى أين ؟
- وكيف ؟
- ولماذا ؟

بحاجة إلى أن يملأ نفسه بنور الهدى ويطرد عنها ظلمات الشك والقلق والحيرة والتخبط والضلال . بحاجة إلى أن يعلم أن الله معه يسانده ويعينه ويكلؤه

---

(١) سورة الحشر ــ الآية ١٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ٥٣ .

(٣) سورة نوح الآية ٢٥ .

بعنايته ورعايته . بحاجة لأن يعرف أن رزقه على الله وأن الله بيده الأجال والأرزاق فلا يخاف أعتى قوة بالوجود ، ولا يرجو غير الله تعالى . بحاجة لأن يعرف أن الدنيا ممر لا مستقر وأن الآخرة هى دار القرار ، وأن الله يبعث من فى القبور فيسرع إلى الصالحات ويكف عن المحرمات ويتقرب بالطاعات ولا يجزع على ما أصابه ولا يفرح بما أوتي لأن الدنيا ابتلاء والله يبتلي عبده بما يشاء وما على العبد إلا التسليم فى السراء والضراء لأن الله حكيم ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى .

إنه بحاجة إلى الإيمان فى جميع أوجه نشاطه .

فمن الناحية السلوكية :

يتحمل الناس ، ويتعامل معهم بسلوك مستقيم ، يبتعد عن إيذائهم ويسامح ويصفح عن أخطائهم ، لا يعاجله الغضب فينتقم لنفسه ، ولا تبطره النعمة فيتكبر على الناس ، ولا يزري به الفقر فيحسدهم ، ولا يشتغل بغيبة ولا نميمة ولا يتجسس على عوراتهم ، ولا يتتبع هفواتهم ، يعاملهم كإخوانه ، يوقر الكبير ويعطف على الصغير ويطيع العلماء ، ويشاور الحكماء .

يكبح جماح الشهوة حتى يغنيه الله بالنكاح ، ويصلح بين الناس ويميط الأذى عن طريقهم وهو يعتبر كل هذا طاعة لله يقوم به عن قناعة وإيمان ابتغاء رضوان الله .

والإيمان يحفظ صاحبه من الخمر التى تتلف الأعصاب ، ومن الفواحش التى تجلب لصاحبها أعتى الأمراض . ويعصمه من الفتن والمزلات والمذاهب الهدامة التى تذهب دين المرء ودنياه ، وتجعله يخسر كل شيء فى النهاية .

ومن الناحية الإقتصادية :

يدفع الإيمان صاحبه إلى العمل والكسب الشريف ويمنعه من الإعتداء على أموال الناس وقبول الرشاوى ، كما أن الإيمان يجعل صاحبه يبتعد عن احتكار السلع الضرورية للناس لأنه يعلم أن الله هو الرزاق ، وأن الإحتكار خطأ ، وأن

الناس هم جميعاً إخوانه فلا ينبغي أن يجوعوا حتى يربح هو ، كما أن الإيمان يدفع صاحبه إلى الحفاظ على الثروات المادية العامة للدولة الإسلامية . ويدعوه للإبتكار وإفادة الناس من علمه وفنه وخبرته .

ومن الناحية الاجتماعية :

يلتزم المؤمن بكل الإيجابيات التى تخدم وحدة المجتمع وتكافله من صدق وإيثار وجهاد وصدقة وتعاضد ، كما يبتعد عن كل ما يؤذي المجتمع وأمنه من رذائل وخيانات واستهتار وتزييف ، ويسلك المؤمن فى المجتمع سلوكاً صادقاً لا نفاق فيه ولا مداهنة ولا رياء ، فهمّه رضوان الله ، ومنهجه هذا الدين ، فيكون المؤمن هو القدوة الحسنة في المجتمع .

ومن الناحية السياسية :

يلتزم المؤمن بطاعة أولى الأمر من المسلمين ما أقاموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإذا هجروا كتاب الله وسنة رسوله حذرهم من مغبة ذلك بالنصيحة والحكمة فإذا جاهروا بعداء الدين واستحلوا ما حرّم الله وحرّموا ما أحلّه الله ، فإنه لا سمع ولا طاعة حينئذ .

وإذا ما هجم غزو خارجي أجنبي على البلدان المسلمة ، فإن المسلم يغضب إلى السيف ، ويلجأ إلى القوة ، ولا يبالي بالموت ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، يقبل على الموت مبتسماً لأن الإيمان علّمه أن الموت جسر للخلود إذا كان فى سبيل الله فلا يتقاعس وقت الكريهة ولا يتأبى لداعى الجهاد .

ومن الناحية العلمية هو بحاجة إلى الإيمان ..

فالإيمان يدفع صاحبه إلى طلب العلم ، فكلما إزداد علماً إزداد إيماناً .

ومن الناحية الجسمية أيضا محتاج إلى الإيمان فالإيمان يدعو للعناية بالجسد لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . والإيمان يدعوه إلى التداوى والعلاج ، وإلى الرياضة والقوة .

ومن الناحية النفسية :

يهذب الإيمان نفس المؤمن ويملؤها بالنور والتسامي ، ويبعدها عن السفاسف ، ويحفظها من كل شر ، ويدفعها إلى كل خير ، فإذا المؤمن راضي النفس لا يقلقه حب شيء ولا يحزنه فقد شيء من الدنيا .

« إن الشخص المتدين يرى الدنيا عرضاً زائلاً ، لا يستحق أن يحرص عليه ، ومحبة الله ولقاؤه هي دائماً هدفه .. وهو لهذا يعطى المحبة من القلب للجميع دون أن ينتظر عليها جزاء من مخلوق .. وهو يعطى من ماله ووقته وصحته دون أن ينظر إلى جدوى ، لأن ما يعطيه لا يساوى فى نظره شيئاً يذكر .. وهو لا يشعر بالدنيا التى تتسرب من يديه لأن عينيه على الآخرة ، على رضا الخالق سبحانه وتعالى لا على رضا المخلوق . وهو لهذا يمكن أن يصل عدوه ، ويمكن أن يبذل له النصح والمعونة ويمكن أن يعطى وهو محتاج ، ويتصدق وهو فقير ، ويطعم وهو جائع وهذه هي الأخلاق الحقيقية[1] » .

ونخلص إلى أن الإنسان بأمس الحاجة إلى الإيمان وذلك لأسباب كثيرة ، منها :

١ ــ لسلامة عقله ونفسه .

٢ ــ لسلامة روحه ومعتقده .

٣ ــ لسلامة سلوكه الإجتماعي .

٤ ــ لسلامته الجسدية فلا يعذب جسده كما يفعل الرهبان ولا يرهقه في الشهوات ، كالإباحيين .

٥ ــ لسلامة عرضه وأعراض الآخرين .

٦ ــ لسلامة ماله .

٧ ــ لسلامة أبنائه وأهله .

٨ ــ لسلامة دنياه وآخرته .

---

(١) الإنسان وصحته النفسية ص ١٨٨ . (بتصرف يسير) .

وكثيرا ما يسأل سائل ما هي السعادة ، ولقد اختلف حولها الناس وكلهم جانبوا الصواب إلا فرقة ـــ فيما أعلم .

فالذين توهموا أن السعادة بالمال يعلمون أن المال يذهب ويرجع ، وربما ذهب ولم يرجع.[1]

والذين توهموا أن السعادة بالنساء والأولاد نجد كثيراً منهم يشتكي من أهله وأولاده .. بل ربما صار ولده عدواً له .

والذين توهموا أن السعادة بالملك والأثاث يعلمون أن كل شيء إلى زوال واذا كان صاحب الملك إلى زوال فما قيمة الملك ! . قال تعالى ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[2].

والذين توهموا أن السعادة بالرقص والإباحية هم واهمون ونحن نسألهم ما بال السويد أرفه دول العالم أكثرها انتحاراً ؟! .

إن السعادة الحقة هي الإيمان .. فالإيمان لا يوزن بثمن ، ولا يقدر بمتاع ..

والإيمان هو السبب في ثبات المؤمنين فى وجه الطغاة على مر التاريخ :

والأنبياء هم المثل الكامل فى الإيمان حيث لا يمكن لأحد غيرهم أن يصل إلى درجة من الإيمان مثل ما وصلوا إليه ، وهم قدوة لنا فى مواقفهم الطيبة الصلبة فى الدعوة إلى الله والصبر على قضائه ونحن نقتدي بهم ، ونستفيد من قصصهم ومواقفهم مع أقوامهم ، وإلى هذا أرشدنا القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه** ﴾[3] .

---

(١) ماأجمل قول لبيد :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوماً أن ترد الودائع

(٢) سورة الرحمن الآية ٢٦ ـــ ٢٧ .

(٣) سورة الممتحنة الاية ٤ .

وقال أيضاً : « أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده »[1] .

ونقتدى بخاتمهم سيدنا محمد ﷺ وهو نبي هذه الأمة ، قال تعالى : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »**[2] .

ولا عجب أن يصنع الإيمان العجائب ــ بإذن الله ، وأن ترى المؤمنين أقوياء بفضل إيمانهم فهم أمة واحدة ، وكيان واحد ، وجسد واحد ، قال تعالى : **« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »**[3] .

ولذة الإيمان تفوق كل لذة : حتى ليحلوا فى سبيل الإيمان كل الصعاب ، ويستسهل المؤمن الدنيا كلها وطغاتها وأربابها حين يقبل على الله ويشعر بقربه منه ، بل إن المؤمن ليطلب من ربه الشهادة وهو فى ساعة المناجاة والقرب ، فالمؤمن لا يهاب ولا يخاف إلا من الله ، ومما يفرح النفس كثيراً أن كثيراً من المسلمين بدؤوا يستشعرون هذه المعاني وبدأ بعض الكتاب والشعراء يستشعرون هذه المعانى الإيمانية فى عصرنا الحاضر وراحوا يغذون بها الجيل المسلم فى أشعارهم لتكون لحناً سحرياً خالداً يحرك النفوس ويوقظها .

وذلك بعد ليل طويل من السخف والإنحراف وراء أفكار الشرق والغرب .. والإنحراف وراء الشهوات والأهواء .. إلا أن الراية الإسلامية والشعور الإسلامي بدأ يتحرك فى النفوس ، ولعل هذا بداية لغد مشرق إن شاء الله .

فنجد الشباب المسلم يردد نشيد (هو الحق) والذي منه :

أخا الكفر إما تبعث الهداة — فأصبحت فينا الأخ المفتدى
وإما جهلت فنحن الكماة — نقاضى إلى الروع من هددا

---

(1) سورة الأنعام الآية ٩٠ .
(2) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(3) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

إذاً لأذقنـاك ضعـف الحيـاة　　　وضعـف الممـات ولـن تنجـدا
فإنـا نصـول بعـون الإلـهْ　　　ونقـفوا ركـاب نبي الهـدىٰ .

ونجد هذا المعنىٰ الطيب من اعتـزاز بالإسلام وفخـر به فى كثير من المقطوعات الشعرية مثل مقطوعة (بإسلامي) للشاعر سليم عبد القادر وهذا نصها .

بإسـلامـي وإيمـاني　　　أضـاء الكـون والزمـن
يحـب الكـون ألحـاني　　　فألحـاني لـه سـكن
أخـى الإنسـان يامعنىٰ　　　حبـاه الله أسـرارا
فجـاء يعطـر الكونـا　　　وينشـر فيـه أنـوارا
فـإن تـك تعشـق الفكـرا　　　فنحـن النـور والفكـر
وإن تـك تعبـد الكفـرا　　　فنحـن السيـف والشـرر
أخـي في الأفـق تلقـانى　　　كنسر سابـح تيهـا
وأستعـلى بإيمـاني　　　على الدنيـا ومـا فيهـا
إذا قيـل الهـدىٰ خلنـا　　　بأنـا القصـد والهـدف
يسيـر النـاس إن سرنـا　　　وإن قلنـا قفـوا وقفـوا[1]

تلك هى مزية الإيمان .. فهو قادر على أن يتغلغل فى نفوس النـاس فى أحلك الظروف ، إذا حمله الدعاة الصادقون الذين لا يخافون فى الله لومة لائم .

(١) نشيدنا ص ٩٧ .

٧ ـ حاجة المجتمع إلى الإيمان :

ما هو المجتمع ؟

فى اللغة : (المجتمع) : موضع الإجتماع ، والجماعة من الناس[١] .

والجماعة من كل شيء يطلق على القليل والكثير ، ويقال لمزدلفة (جمع) : إما لأن الناس يجتمعون بها ، وإما لأن آدم اجتمع هناك بحواء . وسمى يوم الجمعة بذلك لاجتماع الناس به . و (اجتمع) القوم و (استجمعوا) بمنى (تجمعوا)[٢] .

وعرف علماء الإجتماع المجتمع أو الجماعة بقولهم : هي مجموعة من الناس تعمر مكاناً لأول مرة ، أو علىٰ قرية أو مدينة أو أمة بأسرها ، سواء كانت هذه الزمرة صغيرة أو كبيرة بحيث يشتركون فى الأحوال الأساسية للحياة المشتركة[٣] .

وقد نشأ المجتمع بفعل حاجة نفسية نبعت من نفس الفرد فى رغبته الملحة فى ألا يعيش وحده ، سواء كان الخوف من الإنفراد والشعور بالوحشة أمام قوى الطبيعة المجهولة ، أو كانت لمصلحة حين وجد كل فرد أنه يستطيع أن يدرك بالإشتراك مع غيره مالا يستطيع أن يدركه وحده[٤] .

فالعلاقة بين الفرد والمجتمع هى علاقة أخذ وعطاء وهي تمثل فى مجموعها حركة دائمة ومستمرة بين الطرفين تشمل التأثير والتأثر ، والمجتمع بالنسبة للإنسان العادي مؤثر أكثر مما يتأثر المجتمع فيه . وأما بالنسبة للإنسان المبدع أو العبقرى أو المصلح فهو يؤثر فى المجتمع أكثر مما يتأثر من المجتمع

(١) المعجم الوسيط ج ١٣٦/١ .
(٢) المصباح المنير للفيومي ١٠٨/١ ـ ١٠٩ .
(٣) المجتمع تأليف م. ماكيفر وزميله ترجمة علي أحمد عيسى ص ٢٣ .
(٤) الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ص ١١٢ .

وعادة ما يكون المبدع أو المتفوق ليس فى وفاق مع المجتمع لأن طموحاته تمتد فوق المجتمع ، وتتجاوز طموحات الإنسان العادى لذلك يقف المجتمع عائقاً أمام المصلحين أو النابهين مما يجعلهم ينفرون عنه ويتمردون عليه في أكثر الأحيان .

وهناك فئة أخرى تشذ عن المجتمع وتؤثر فيه ولا تتأثر به إلا نادراً ، وهى فئة المنحرفين نفسياً وأخلاقياً فهؤلاء ينقمون على المجتمع لأنه لا يسمح بتحقيق أهوائهم وأنانيتهم ومصالحهم الشخصية ، خلافاً لفئة العباقرة والمصلحين الذين ينقمون على المجتمع لأنه لا يسير فى الطريق الصحيح ، ولا يبتعد عن الأخطار ولا يصحح نفسه بنفسه ، ولا يسعىٰ نحو الكمال الذي ينشدونه فالمصلح يبذل نفسه وذاته فى سبيل إسعاد الآخرين ، ويتناسى مصالحه الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ، ويريد من الناس الإرتقاء لمستوىٰ التجريد والمثاليات والإحساس بمسؤولياتهم .. فهو فى موقف يعطى الكثير ولا يأخذ إلا القليل كالشمعة تذوب لتضيء للآخرين .
بينما المنحرف هو على النقيض تماماً ، فهو يحطم المجتمع فى سبيل أهوائه ونزواته الشريرة ، ويبني سعادته على عرق الآخرين ودموعهم ويسحق المصالح العامة لحساب مصلحته الخاصة ، ويتمنى أن يرى العالم كله هابطاً بلا قيم ولا دين ولا أخلاق .

والسؤال الآن : ماهو تأثير المجتمع بشكل عام على الفرد ؟ وماتأثير الفرد على المجتمع ؟
ــ وهنا نقصد الفرد العادي ــ بعد أن فصلنا مواقف الموهوبين والمصلحين فى المجتمع كما بينا مواقف المنحرفين ونأتي الآن إلى مواقف الأكثرية العريضة والتي تعد من فئة الوسط ، فى الحقيقة إن هذه الفئة تتأثر بالمجتمع أكثر مما تؤثر فيه ، وهنا الخطورة فإذا كان قادة المجتمع أشراراً فالعنوان العريض لهذا المجتمع هو الجريمة . وإذا كان قادة المجتمع أخياراً فالعنوان العريض لهذا المجتمع هو الصلاح وتكمن الخطورة أكثر عندما يعيش المؤمن في مجتمع بعيد عن الإيمان

والأخطر أن يعيش في مجتمع يحارب الايمان كالشيوعيــة وهنــا المشكلــة أضخم وأعظم .

والسؤال الآن : هل ترحم الجاهلية المسلم إذا عاش فيها ؟!

والجواب : كــلا .

فالجاهليـة ستحاربـه في عقيدتـه فتـثير حولها الشك والأكاذيب ، وستحاربــه في أخلاقه فتصفه بالتزمت .

ونحن إذا عدنـا للقـرآن الكـريم نجد صورة واضحــة لموقــف الجاهليــة من المؤمنين ، نكتفي بنموذجين من النماذج الكثيرة للجاهلية ضد الأنبياء وأتباعهم .

١ ــ شعيب عليه السلام حين قال له قومه : ﴿ **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنَّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين** ﴾[١] .

٢ ــ لوط عليه السلام وقد هم باخراجه قومه : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾[٢] .

ونأخـذ نموذجـاً من غير الأنبيـاء وهـم أهـل الكهـف ــ فقـد عرف الفتيــة المؤمنون أن الجاهلية لن ترحمهـم ــ فهـم حتـى بعـد أن استيقظـوا من نومهـم أوصوا أخاهم الذي بعثوه لشراء الطعام بالحذر والتلطـف والسريـة لأن الجاهليـة لن ترحمهم إذا عرفتهم فإما أن ترجمهم أو ترجعهم إلى شركهـا وفي الحالـة الثانيـة وهـي أخطـر في نظر الفتيةالمؤمنين . يكونـون قد خسروا الفـلاح للأبـد . جاء في سورة الكهـف قولـه تعالىٰ : ﴿ **فابعثـوا أحـدكم بورقكـم هذه إلى المدينـة فلينظـر أيها أزكــىٰ طعامــاً فليأتكـم برزق منـه وليتلطـف ولا يشعـرن بكـم أحـدا إنهم إن يظهـروا عليكــم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً** ﴾[٣] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٨ .

(٢) سورة النمل آية ٥٦ .

(٣) سورة الكهف الآيتان ١٩ ــ ٢٠ .

إذاً فالمجتمع الذي تسوده الجاهلية له ضغط وتأثير على المسلم فلا لقاء بينهما فى البداية ولا بقاء بينهما في النهاية .

فالمجتمع الجاهلي — أو المجتمع الذي يتحاكم إلى الطاغوت — أو العلماني أو الشيوعي أو الرأسمالي .. أيا كانت الأسماء .. أقول : إن المضمون واحد لهذه المجتمعات وهي أنها تنطلق في حركتها عن غير هدى الله ولا تدخل الإيمان في موازينها أبداً . ولذلك يجد المسلم اضطهاداً عجيباً بها ، وقصارى جهد الجاليات الإسلامية فيها بناء مسجد ، ومدرسة ومكتبة ، ومقبرة .. وبعد هذا لا يسعفهم القانون في تحقيق أكثر من ذلك .

إن المجتمع يتدخل فى أخص خصوصيات الفرد .. في أفكاره ومشاعره .. في أحاسيسه في مطعمه وملبسه .. في عمله وشغله ..

وعلى هذا فالمجتمع السيء سيفرز أفراداً سيئين .. والمجتمع القلق سيفرز أفراداً قلقين ولا طريق لسلامة الفرد والمجتمع إلا طريق الايمان .

وإن من أكبر مايدل على أثر المجتمع على سلوك الإنسان ، مارواه الشيخان عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى — رضي الله عنه — أن نبي الله ﷺ قال : « **كان فيمن كان قبلكم ، رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة، فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ ، انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالىٰ فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلىٰ أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق ، أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالىٰ ، وقالت ملائكة العذاب ، إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم — أي حكماً — فقال : قيسوا مابين الأرضين ،**

فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنىٰ إلىٰ الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة) . متفق عليه

وفى رواية فى الصحيح : (فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها) .

وفى رواية فى الصحيح : (فأوحىٰ الله تعالى إلىٰ هذه أن تباعدي ، وإلىٰ هذه أن تقربي ، وقال : قيسوا مابينهما ، فوجدوه إلىٰ هذه أقرب بشبر فغفر له) .

وفى رواية : (فنأىٰ بصدره نحوها)[1] .

فللمجتمع تأثير كبير علىٰ نفسية الإنسان وسلوكه وتصوراته .. إلا أنه ليس هو المؤثر الوحيد .. وإلا لما كان للهداية نصيب فى المجتمعات اللادينية .. علماً أن بعض أفرادها مسلمون أو يدخلون في الإسلام ، فهناك تأثير الأسرة ، وهناك تأثير الثقافة ، وهناك تأثير الدين ، وهناك الهداية من الله تعالىٰ التى تخترق كل المؤثرات ، فلا حجة لأحد أن يترك الهدىٰ لأن مجتمعه فاسق مثلاً ، وإنما نحن هنا نرصد تأثير المجتمع على الفرد لأن هناك صلة وثيقة بينهما .. صلة يفرضها الواقع .. ويفرضها البحث ويفرضها منطق الحياة .

فعندما نسعىٰ إلىٰ إيجاد الإنسان الصالح علينا أن نسعىٰ بنفس الوقت إلىٰ إيجاد المجتمع الصالح .

إن الإضطراب ينشأ أساساً عن سوء توافق الفرد مع المجتمع ..

ومعاناة الإنسان الحديث هي أساساً معاناة تبدأ من سوء التوافق بين الفرد والمجتمع وهو مايسميه الأستاذ جودت سعيد (فقدان التوازن الإجتماعي) حيث ينسحب الإنسان من مجتمعه في النهاية والدافع العام إلىٰ الإنسحاب واحد أيضا في عنوانه العام وهو : عدم بقاء مبرر للوجود في هذا المجتمع الخاص ، كما يبدو

---

(١) رياض الصالحين للنووي ص ١٤ ــ ١٥ .

لهم ، فهم يبحثون عن مكان آخر غير هذا المكان والطرق إليه كثيرة فهذا يذهب إلى قبره ، وذاك يذهب إلىٰ صومعته أو كهفة ، والثالث ذهب إلى مكان يليق به أيضاً .

فقد يختلف هؤلاء أخلاقياً بالنسبة لمبدأ معين ، ولكن النتيجة الإجتماعية واحدة فمن الناحية الأخلاقية يقال للأول منتحر وللثاني زاهد معتزل وللثالث متهتك أو تقدمي حسب الذوق الأخلاقي للمتحدث .

إلا أن كلاً منهم ترك مجتمعه فالكل ماتوا اجتماعياً بالنسبة لمجتمع معين فالأول أضاف إلى موته الاجتماعي موتاً عضوياً . والثاني أضاف موتاً فكرياً . والثالث أضاف إلى الموت الإجتماعي والفكري شللاً وظيفياً ، فهؤلاء ماتوا كما تموت خلايا الجسد حين يصيبه الضعف[1] .

علىٰ أية حال فالعالم عموماً يتفسخ اجتماعياً ، بل لم يحدث أن تفسخ العالم في تاريخه مثل العصر الحديث .. مما ينذر بالخطر ، ومالم تنظم علاقة الفرد بالمجتمع من جديد ويكون دور المجتمع توعية الفرد وبث القيم الدينية والروحية فيه وإبعاده عن الزيف والمكر والتضليل .. بمعنىٰ أن لا يمارس المجتمع دوراً سيئاً في قتل الأفراد نفسياً وروحياً ببث روح الشك والفساد والإنحلال في نفوس أبنائه .. إذا لم يتم ذلك سننتهي حتماً إلىٰ كارثة .

وأساس الاصلاح أن يكون العقل الواعي المستنير هو الذي يوجه المجتمع ويحكمه .. فإذا تسلط الأشرار الميتون عقلياً وروحياً على المجتمع فإن المجتمع سيسير حتماً إلى السقوط . أدرك هذا الشاعر الجاهلي عندما قال :

لا يصلح الناس فوضىٰ لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

نعم إن الحياة ستضطرب إذا تسلم زمام أمورها الجهال ، والعالم المعاصر بلغت فيه الجهالة ذروتها بسبب تسلط الجهلة عليه . لاسيما اليهود[2] ، الذين

(١) فقدان التوازن الإجتماعي لجودت سعيد ص ١٢ — ١٣ . (بتصرف يسير)

(٢) انظر بروتوكولات حكماء صهيون ص ٦٨ نشر الاتحاد الاسلامي العالمي .

يسعون إلى بسط نفوذهم في كل مكان ، وإلى محو الأديان وإلى نشر الإلحاد فهم يقولون بأن [نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد[1]].

إن العالم المعاصر مهدد بالزوال إذا مازالت القيم والأخلاق منه ، ومهدد أيضاً بفعل مايخترعه علماء هذا العصر من أجهزة الفتك والدمار والتي تهدد حياة الإنسان بالدمار .

والصراع الذي تعيشه المجتمعات اليوم ماهو إلا بسبب فقدان القيم الدينية وفقدان القيم الروحية في الحياة .. ولا سبيل إلى تفادي ذلك إلا بغرس الإيمان من جديد .

إنه لابد من تفادي الشر في المجتمعات ، والضرب علىٰ أيدي المنحرفين فيها ، وإعادة نشر الإيمان ومكافحة الإلحاد بالطرق المتاحة والمشروعة شرعاً إذا ماأردنا بقاء المجتمع وبقاء الفرد . قال رسول الله ﷺ : « **مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذِ من فوقنا ، فإن تركوهم وماأرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً** » رواه البخاري[2]

وسنقتطف هنا بعض ماقاله الأستاذ محمد قطب حول هذا الحديث[3] ، فقد قال معلقاً عليه :

﴿ إن هناك لجمالاً بديعاً في هذا التشبيه بالسفينة ، فالحياة كلها هذه

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٢) رياض الصالحين ص ١٠٢ .

(٣) عن كتاب قبسات من الرسول لمحمد قطب ص ٥٧ ومابعدها .. باختصار وتصرف طفيف .

السفينة الماخرة في العباب لا تكاد تسكن لحظة حتى تضطرب من جديد ، ولن يكتب لها السلامة والإستواء فوق الموج المضطرب ، حتىٰ يكون كل شخص فيها على حذر مما يفعل ، ويقظة لما يريد .

والمجتمع كله هذه السفينة .. يركب علىٰ ظهرها البر والفاجر ، والمتيقظ والغفلان وهي تحملهم جميعا لوجهتهم .. ولكنها ــ وهي محكومة بالموج المضطرب والرياح من جانب ومايريده لها الربان من جانب ــ لتتأثر بكل حركة تقع فيها ، فتهتز مرة ذات اليمين وتهتز مرة ذات الشمال ، وقد تستقيم على الأفق أحياناً أو ترسب أحياناً إلىٰ الأعماق .. !

حين قال الإقطاعيون لأنفسهم : نملك الأرض وكل من عليها عبيد . وحين قال الرأسماليون لأنفسهم : نملك المصانع والعمال فيها عبيد ، وحين قال الأباطرة المقدسون لأنفسهم : نملك الملك والرعايا عبيد . وحين قال غيرهم وغيرهم من الظالمين مثل قولتهم لم تكن غير نتيجة واحدة في كل مرة ، غرق السفينة المخروقة ، وغرق من عليها من سادة وعبيد !

وانظر الى ثورات الأرض المزلزلة التي أطارت الرؤوس وأجرت الدماء ، وانظر إلى الحروب المدمرة التى تأكل الأخضر واليابس وتسمم الحياة ، لم تكن غير نهاية طبيعية للخرق المخروق في السفينة ، تتدفق عن طريقه المياه .

وحين يطلب الرسول ﷺ من القائمين في حدود الله أن يأخذوا علىٰ يد الواقع فيها ، لا يحد مهمتهم بمراكزهم الظاهرية في المجتمع ، وإنما بأماكنهم الحقة في سفينة المجتمع وسفينة الحياة ، فما داموا مؤمنين فهم القوة الحقة . القوة الموجهة . القوة الآخذة على أيدي العابثين وهذه مهمتهم ، عليهم أن يعرفوها بصرف النظر عن ثرائهم أو فقرهم ، ورئاستهم أو مرؤوسيتهم .. فما بهذا توزن الأمور ..

والأمر الثاني هو وحدة المصلحة في المجتمع وإن بدت المصالح ظاهرة الخلاف فالمصالح النهائية واحدة ، والأخطار النهائية واحدة .. ليست هناك

مصلحة لفرد هي مصلحته وحده وشأنه بمفرده . كل مصلحة هي مصلحتهم جميعاً .. وكل ضرر هو ضرر يصيبهم جميعاً ولا يستطيع أحد أن يتخلىٰ عن مسؤوليته في هذا السبيل .

ومن وحدة المصلحة ينشأ الترابط بين أفراد المجتمع .. ترابط لا يتخلخل ولا تنقطع عراه ، إنهم ركاب سفينة واحدة ناجية أو غارقة ، فكيف يمكن أن ينفصل بعضهم عن بعض أو يتجاهل بعضهم وجود بعض ؟

وإنه ــ وهو ترابط المصلحة الواحدة التى يلتقي عندها الجميع ــ لهو في الوقت ذاته ترابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله . ترابط التعاون على البر والتقوىٰ وليس ترابط التعاون على الإثم والعدوان ، ورب قائل يقول : وهل أنا وحدي سأصلح المجتمع ؟ هل أنا حين أو من وأعمل صالحاً سأنقذ السفينة الهاوية إلىٰ القرار . كلا !

فحين توجد في مجتمع يوشك أن يتحطم ، في سفينة توشك على الهلاك فلن توقفها وحدك عن النهاية المشؤومة ، ولن تنقذها وحدك من الهلاك . نعم ولكنك تنقذ نفسك .

فحتى حين تتحقق السنة التي لا تتخلف . حتى حين ينفذ الوعد الحق وتتحطم السفينة ، حتى حينئذٍ ، فشتان بين غريق وغريق .

غريق في جهنم لأنه فاجر .

وغريق في الجنة لأنه شهيد .

فمن ذا الذي يبيع الآخرة بالدنيا ، ويسعى إلى النار وهو يغرق حين يملك ــ حتى وهو يغرق ــ أن يسعى إلى النعيم . اهـ .

تلك الأفكار القيمة كانت بعض مااستخرجه الشيخ محمد قطب من كنوز الحديث المذكور ، ولي وقفة هنا .. إن أي مجتمع لابد أن يكون إسلامياً أو جاهلياً . فالمجتمع الإسلامي الأصل فيه الخير والشر عرض فيه ، وعلى المسلم

أن يكافح الشر في المجتمع الإسلامي بأحسن طريقة يرضاها الشرع ويقبلها الناس ماأمكن ذلك .

وأما المجتمع الجاهلي فأسباب الشر فيه تكاد تجعل الشر أصلا فيه والخير عرضا ، وعلى المسلم أن يستنبت هذا الخير الذي فيه حتىٰ يضرب جذوره في الأرض ثم يبدأ رحلة مواجهة الفساد .

وما عملية استنبات الخير في المجتمع الجاهلي إلا مقاومة أولية لهذا الفساد الذي فيه .. ولكنها ليست مواجهة بالقوة والعنف بل مواجهة سلمية ربما يعقبها مواجهة أقوى منها ، حيث إن الايمان هو الذي يكيف المواقف لتلائم ظروف الدعوة في أي مجتمع كان .

وختاماً أقول : إن المجتمعات كلها بأمس الحاجة إلىٰ الإيمان ..

فالإيمان هو الكفيل بإيجاد المحبة والتعاون والتكافل في المجتمع .

وهو الكفيل بإنقاذ إنسان هذا العصر من آلامه وشقوته .

وهو السبب الموصل إلى سعادة الدارين .

وهو الذي يكفل حركة سليمة متوازنة بين الفرد والمجتمع .

وهو الذي ينسف آلام الإنسان ويزرع فيه الصبر والتحمل والثبات ..

فلابد من الإيمان إذا ماأردنا حياة أفضل ومجتمعاً أفضل . ولابد من الإيمان إذا أردنا الخلوص من الأمراض النفسية والعصبية والجنسية وكافة الأمراض القاتلة .

ولابد من الإيمان إذا أردنا للإنسان السعادة وأردنا للمجتمعات البقاء .

وقد تبين من خلال هذا البحث أن حضارة القرن العشرين قد أخفقت بسبب عدم وجود الإيمان .. وتبين أن الإيمان هو الطريق الوحيد لحل مشكلات الإنسان .

٨ ـ حاجـة الأمـة إلىٰ الإيمان :

الأمـة تعنـي أى مجموعـة من الشعـوب تشتـرك في عدد من المقومـات لتكـوّن الأمة . من هذه المقومات :

١ ـ الدين . وهو أهم عوامل تكوين الأمم منـذ فجـر التـاريخ وحتـى الآن وبـاقي العوامل تابعة له ولا قيمة لها من دونه .

٢ ـ اللغة المشتركة

٣ ـ التاريخ .

٤ ـ العادات والتقاليد .

٥ ـ المصير المشترك .

وكل أمة فى العالم بحاجة إلى معرفة الإيمان والدخول فيه .

وذلك لأن الإيمان هو الطريـق الوحيـد أمـام أمم الأرض جميعـا إذا ماأرادت أن تخلص من الشقاء الذى تتعرض فيه .

وحاجة الأمم للإيمان تزيد كل يوم ، وقد أثبتنا هذا من ثلاثة وجوه :

١ ـ نصوص القرآن والسنة والتي تؤكد أن هذا الدين حيـاة للنـاس ، وأنـه رحمة للعالمين ، وأنه لا غنىٰ للناس عنه من أجل دنياهم وآخرتهم .

٢ ـ حال الحضارة الغربية المتردية .

٣ ـ أقوال بعض علماء الغرب في حضارتهم .

وأودَّ هنـا أن أنقـل كلمـة للأستـاذ سيـــد قطب عبر فيها عن حاجـــة الأمم والشعـوب إلى الإسلام فقـد قال : [تقـف الحضارة المادية اليـوم .. تقـف كالطائـر الـذي يرف بجناح واحـد جبـار ، بينما جناحـه الآخر مهـيض ، فيرتقـي في الإبـداع المادي بقـدر مايرتـكس في المعنـى الإنساني ويعـاني منـه العقـلاء هنـــاك لولا أنهم لا يهتدون إلى منهج الله وهو وحده العلاج والدواء][1] .

فالأمم جميعـاً بحاجـة إلى أن تؤمـن بالإسلام .. وهـــذه المهمـــة على عاتـــق

(١) الظلال لسيد قطب ج ١ ص ١٧ .

المسلمين فهل يقدر المسلمون على أدائها ..

إن واقع الأمة المسلمة حالياً لا يسمح لها بهذا الدور .. فالأمة المسلمة — تبتعد رويداً رويداً عن تعاليم دينها .. مجاعات وحروب وفتن وكوارث في أماكن عديدة من العالم الإسلامي . الغزو الفكري من كل جهة .. ويلحقه الغزو العسكري . فماذا فعل المسلمون ؟! .

والمشكلة الأكبر أن من يدعوهم إلى دينهم قد تلفق حوله المؤامرات ويتهم بالخيانة والعمالة ، وقد يصل إلى حبل المشنقة اذا مااستمر في دعوته .. وقد وصلت فعلاً أعداد كبيرة من أفواج الشهداء الذين تحتاجهم هذه الأمة .. بل هي في أمس الحاجة إليهم .. بينما يمرح أصحاب الأفكار اليسارية الدخيلة وغيرهم في أغلب أقطار المسلمين .

إن كل عوامل الوحدة الإسلامية موجودة في العالم الإسلامي . قبلة واحدة نبيٌّ واحد ، دعوة واحدة ، تاريخ واحد ، مصير مشترك . فإلىٰ متى يبقى المسلمون فرقاً متناحرة وجموعاً متناثرة واللهيب من حولهم وهم لا يفعلون شيئاً .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

إن علينا أن نعود إلى إسلامنا وإيماننا ، فلا يحلّ مشاكلنا ولا يقوىٰ على حلها إلا الإسلام ..

فالإسلام هو القادر علىٰ بعثنا من جديد .. بعثنا من رقاد الغفلة والتخلف لنؤدي دورنا من جديد في هذا العالم .

لقد خسر العالم كثيراً بانحطاط المسلمين[1] وابتعادهم عن مركز القيادة فهل ندعه يستمر ويخسر ثم نخسر معه دور القيادة والريادة أم ننهض ونسعىٰ من جديد ؟

من الصعب الإجابة على هذا السؤال في ظروف المسلمين الراهنة ، وإنما الأيام هي التي ستحسم هذا الجواب .

(١) راجع كتاب الندوي — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لتعرف ذلك .

الفصل الثاني

أساليب وآثار تربية الإيمان للفرد وللمجتمع .

١ ــ كيف يربى الإيمان المجتمع .

٢ ــ معالم على طريق التربية الإيمانية .

٣ ــ خصائص التربية الإيمانية .

٤ ــ الرسول ﷺ هو إمام المربين .

٥ ــ أثر الإيمان فى تربية الفرد : ويشمل :

(١) نفسية المؤمن وعقيدته .

(٢) تفكير المؤمن .

(٣) عمل المؤمن .

(٤) غاية المؤمن .

(٥) خلق المؤمن .

٦ ــ أثر الايمـــان في المرأة المسلمة .

٧ ــ أثر الإيمان فى تربية المجتمع : ويشمل :

(١) قيم المجتمع المؤمن ومقوماته .

(٢) التكافل الإجتماعي .

(٣) الإقتصاد الإسلامي .

(٤) الجانب السياسي .

(٥) العلاقات مع دار الحرب .

(٦) الجانب القضائي والجنائي .

٨ ــ أثر الايمـــان في تربية الأولاد .

٩ ــ أثر الإيمان في الأسرة المسلمة .

١٠ ــ دور الأسرة في حياة الفرد .

١١ ــ نماذج مؤمنة رباها الإيمان وخلدها التاريخ .

١ ـ كيف يربي الإيمان المجتمع ؟

للايمان طريقته الخاصة في تربية المجتمع وتتمثل هذه الطريقة بمايلي :

١ ـ إعداد الفرد المؤمن .

٢ ـ إعداد الأسرة المؤمنة .

٣ ـ إعداد المجتمع المؤمن .

وحينما نعدّ الفرد والأسرة نكون قد أعددنا ركائز المجتمع الصالح ، ومع ذلك فالإيمان وضع أسساً كثيرة لبناء المجتمع المؤمن ، ومن هذه الأسس :

١ ـ تشريعات آخلاقية يجب المحافظة عليها .

٢ ـ عقوبات جنائية لمن يخالف القوانين العامة .

٣ ـ إقامة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس .

٤ ـ أوجب على الحاكم رعاية أمور الناس الدينية والدنيوية .

والإيمان لا يقدر منفرداً على محاربة المنكرات ونشر الإطمئنان مالم يدعمه سيف السلطان ، ولذلك فهناك علاقة وثيقة بين الدين والدولة في الإسلام وعندما نعطل هذه العلاقة نسيء إلى أنفسنا وإلى ديننا ، ولذلك استشرى الفساد في بعض البلدان الإسلامية بسبب الفصل بين الدين والدولة أو بالأصح بين الدين والحياة ..

لذلك يجب ألا نطلب من الايمان : صنع المعجزات مالم ننصر إيماننا ونرفع راياته فى الأرض لأن من مقتضيات الإيمان الإمام الصالح الذي يحكم بين الناس بالعدل .

تلك هي لمحة عن كيفية اعداد الإيمان للمجتمع ذكرناها عرضاً وإنما نريد أن ينصبَّ حديثنا في هذا الفصل على أثر الإيمان في تربية الفرد والمجتمع .

٢ ـ معالم على طريق التربية الإيمانية :

هناك صفات أساسية للمربي المسلم لابد منها سواء كان هذا المربي أستاذاً أو أباً أو أماً أو واعظاً .. من هذه الصفات :

١ ـ العلم الغزير بالدين واللغة والتاريخ والمجتمع والحياة .

٢ ـ الحكمة : وهي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب .

٣ ـ اللين : ونقصد به أن تكون المعاملة أبوية قائمة على الثقة والمحبة والعطف وعدم القسوة والشدة إلا في الحالات النادرة .

٤ ـ التواضع : وهو أن يبتعد الإنسان عن التكبر والتعالي وأن يكسر الحواجز بينه وبين الآخرين فلا يخاطبهم من عل .

٥ ـ الإلمام بأساليب التعليم والتربية قديمها وحديثها والإفادة منها .

٦ ـ أن يكون قدوة لمن يربيه ويدعوه ، فلا يتناقض مع نفسه أو مع دعوته في سلوكه وعمله .

٧ ـ أن يكون زاهداً في المال لاسيما أمام طلابه ، فعملية التربية عملية دينية قبل كل شيء .

٨ ـ التقوىٰ والمراقبة لله عز وجل فإن عملية التربية أخطر عملية يقوم بها الإنسان لأنها في الأساس رسالة الأنبياء ثم ورثها العلماء عنهم .

٩ ـ الإخلاص لله عز وجل ، فلا يكون للمربي مصلحة مادية أو نفسية أو اجتماعية في عمله .

١٠ ـ الصبر : وذلك لأن عملية التربية عملية شاقة تستهلك مجهوداً كبيراً من المربي .

١١ ـ العدل بين التلاميذ والطلبة : فلا يفضل طالبا على غيره لأي اعتبار كان بل يعاملهم جميعاً كأولاده ويشجع الممتازين ويقوى الضعفاء منهم .

وأهم ماينبغي أن يتحلى به الداعية والمصلح والمربي هو الصبر وعدم العجلة ..

فإن العجلة مدعاة للمهالك وإلى تنفير الناس وإلى الأخطاء الكثيرة .. وليعلم المربي أنه لن يستطيع تغيير الواقع والدنيا بأيام قليلة ولا سنوات بل عليه أن يكافح ويدعو ولا ينتظر النتيجة فإن التغيير عادة ما يحتاج إلىٰ وقت طويل وإن العجلة والغلظة كل ذلك مدعاة إلى خسارة كل شيء ، فلابد من استكمال كافة وسائل التربية الايمانية وشروطها وأسسها عند الناس قبل أي شيء آخر وإلا فإن عملية التربية تكون فاشلة فيما عدا ذلك والله أعلم .

٣ ـ خصائص التربية الإيمانية :

تتميز التربية الإيمانية بعدة خصائص تجعلها ذات صبغة ربانية خاصة ، ومن هذه الخصائص :

١ ـ أنها تعنى بالإنسان ككل ، تعنى بأخلاقه وروحه وعقله ونفسه وفكره وعواطفه ودنياه وآخرته فهي تربية شاملة لكل مافي الإنسان ولمختلف مراحل عمره صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى فهي تصاحبه من المهد إلى اللحد .

٢ ـ وهي تربية متكاملة تعتمد بالإضافة إلى أساليب الإسلام التربوية على أنظمة الإسلام في الحكم والإقتصاد والإجتماع فلا يمكن عزل التربية عن الميادين الأخرى في الإسلام فلا تربية إسلامية للإنسان إذا كان صاحبها يسرف ويغش ويحتكر ..

٣ ـ وهي تربية ربانية متوازنة تعتمد أسلوب المرونة والحجة والإقناع بالإضافة إلىٰ أسلوب التهذيب لتربية الفرد والمجتمع .

٤ ـ وهي تربية أخلاقية تقوم على الإيمان باليوم الآخر لذلك نجد المؤمن شديد المحاسبة لنفسه بعيداً عن الظلم والفساد خوفاً من اليوم الآخر .

٥ ـ وهي تربية إنسانية تقوم على حب الخير للإنسان أينما كان وحيثما كان .

٦ ـ وهي تربية راشدة لأنها تعتمد على الوحي الإلهي والسنة المطهرة .

٧ ــ وهي تربية متميزة في جوهرها وواقعها وأدواتها ووسائلها فلا عجب أن تُخرج التربية الإسلامية أعظم الأفراد وأحسن الأجيال على مرِّ التاريخ .

٤ ــ الرسول ﷺ هو إمام المربين[1] :

مامن شك في أن الرسول ﷺ جمع صفات القيادة والريادة جميعها ,ومن هذه الصفات التربية .

والنبي ﷺ قدوتنا فى تربيته للجيل الأول ، وحياته وشخصيته عليه الصلاة والسلام منبعان لا ينفدان أبداً فيهما كل خير وكل نور يكفي في تربية الفرد والأمة والعالم بأسره .

ونستطيع أن نلمس بعض خصائص إمام المربين ﷺ ، وتتمثل هذه الخصائص بما يلي :

١ ــ عقله الراجح ﷺ .
٢ ــ حلمه الواسع ﷺ .
٣ ــ صبره الواسع ﷺ .
٤ ــ أخلاقه العظيمة ﷺ .
٥ ــ التزامه عليه الصلاة والسلام بما يدعو الناس إليه .
٦ ــ حكمته عليه الصلاة والسلام في مواجهة المواقف الصعبة .
٧ ــ ثقته المطلقة عليه السلام فيما يدعو الناس إليه .
٨ ــ ابتعاده عليه الصلاة والسلام عن كل النقائص ونهيه عن كل الموبقات .
٩ ــ اعتماده عليه الصلاة والسلام على القرآن في تربية الناس .
١٠ ــ اعتماده عليه الصلاة والسلام على الأساليب المشروعة في الدعوة .

---

(١) في هذا الموضوع كتب قيمة من أهمها :
١ ــ فقه السيرة د. محمد سعيد رمضان البوطي .
٢ ــ فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي .
٣ ــ الرسول ﷺ للشيخ سعيد حوى .

١١ ــ مراعاته ﷺ أحوال المخاطبين ورحمته لهم .
١٢ ــ التسهيل والتيسير أساس دعوته ﷺ .

هذا ما يحضرني وهناك الكثير والكثير مما لم أذكره وكله يدخل في تكوين طريقه إمام المربين عليه أفضل الصلاة والسلام .

وما نريد قوله هنا : إن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام لها أهمية كبرى في ميدان التربية فهو قدوة للداعي والمدعو وعلينا أن نتبع خطاه الحكمية في الدعوة ، فاتباعنا له هو أثر من آثار الإيمان الخيِّرة في نفوسنا ، ثم إن الله يكتب في هذا الإتباع لنا من الأجر والثوابماينعكس علينا أفراداً وجماعات بأفضل مايفيد ديننا الحنيف ودنيانا ، ويبقى أن أشير إلى بعض الأساليب التي ذكرها العلماء في أسلوبه التربوي عليه الصلاة والسلام لعلنا نجد فيها من الإفادة الشيء الكثير فمن هذه الأساليب :

١ ــ **التربية بالقدوة :**

وضع الله سبحانه في شخص محمد عليه الصلاة والسلام ، الصورة الكاملة للمنهج الاسلامي ، ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحية الخالدة في كمال خلقه وشمول عظمته .

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » .

إنها لاجابة مختصرة دقيقة شاملة ، ضمت في معانيها منهج القرآن الشامل ، ومبادىء الأخلاق الفاضلة .. حقاً إن النبي ﷺ كان الترجمان الحي لفضائل القرآن ، والصورة المتحركة لتوجيهاته الخالدة[1] .

٢ ــ التربية بالعادة والتأديب وهي من أقوى دعائم التربية .. ذلك لأنها تعتمد على الملاحظة والملاحقة ، وتقوم على الترغيب والترهيب ، وتنطلق من

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ٢/٦٠٨ ــ ٦٠٩ .

منطلقات إرشادية وتوجيهية[1] .

٣ ــ التربية بالموعظة : فما أكثر من كان يعظ صلوات الله وسلامه عليه أصحابه فتذرف دموعهم وترتجف قلوبهم وتقشعر جلودهم لما في مواعظه من تأثير ونفع وعبرة وبلاغة وحقائق يتنبه إليها الإنسان . .

٤ ــ التربية بالملاحظة : وقد كان معلمنا الأول وهادينا الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لأصحابه وتفقده لهم وسؤاله عنهم ، ومراقبة أحوالهم .

ومحاذرة مقصريهم ، وتشجيع محسنيهم ، والعطف على فقرائهم ومساكينهم وتأديب الصغار منهم وتعليم الجهلة فيهم[2] .

٥ ــ التربية بالعقوبة : حيث شرع الاسلام الحدود كآخر أسلوب لتقويم المنحرفين عن منهج الله بالمجتمع ، وكان رسول الله ﷺ يعاقب المذنبين ويقيم حكم الله فيهم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأسلوب التربية بالعقوبة أسلوب مشروع لصيانة المجتمع من محترفي الجرائم ولسلامة الدين وبقاء الأمن وافراً فيه .

* * *

وللرسول ﷺ أسلوبه الرائع في التصوير البياني ويتجلى هذا الأسلوب في :

١ ــ التصوير بالوصف :

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« **أتدورن ما المفلس** »

ــ **قالوا** : **المفلس فينا من لا درهم** له ولا متاع .

ــ قال : «إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى **وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هدا وسفك دم هدا وضرب هذا . فيعطي**

---

(١) المرجع السابق ٢/٦٥١ .

(٢) المرجع السابق ٢/٦٩٣ .

هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » . رواه مسلم .

هذا هو المفلس الحقيقي فما أهون تحصيل الدراهم والأمتعة والعمل على إيجادها . أما الافلاس الحقيقي فهو حالة هذا الرجل الذي أضاع الحسنات يوم القيامة في ذلك اليوم الذي لا يتاح للمرء أن يكسب شيئاً .. ويطرح في النار .

وهذا الوصف الدقيق الحي يؤدي غرضاً دينياً هو الإمتناع من الظلم في الدنيا فقد تكون للظالم قوة يتمكن بها أن يفعل مايشاء ولكن عليه أن يتذكر أنه سيجرد من هذه القوة إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة .

إن العدالة الإلهية لن تدع مظلوماً في ذاك اليوم حتىٰ تنتصف له من ظالمه[1] .

٢ ــ التصوير بالقصة : ــ

ومن ذلك قصة الرجل الذي يزور أخاً في الله .

ــ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« **إن رجلاً زار أخاً في قرية أخرىٰ ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : ــ**

ــ أين تريد ؟

ــ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية .

ــ قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟

ــ قال : لا غير أني أحببته في الله عز وجل .

ــ قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » رواه مسلم .

قصة تصور المحبة الخالصة والنية الصادقة .. انظر إلى هذا الحوار الجميل الذي يبرز فيه الرجل في زيارة أخيه، ، فلم تكن عليه نعمة تربها غير أنه أحبه في الله عز وجل فكان جزاؤه أن الله قد أحبه ومأأعظمه من جزاء ومأأجلها من مكافأة[2].

---

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي لمحمد الصباغ ، ص ٤٩٤ ــ ٤٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٠٧ ــ ٥٠٨ .

٣ ــ التصوير بالموازنة : ــ

عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقىٰ كافراً منها شربة ماء** » رواه الترمذي .

إنها عند الله أقل من جناح بعوضة لأننا نرىٰ الكفار يسقون وتتاح لهم وسائل النعيم »[١] .

٤ ــ التصوير بالإشارة والحركة والرسم : ــ

الإشارة باليد إلى الصدر للدلة على مكان التقوىٰ : ــ

ــ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« **... وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا** » .

يشير إلى صدره ثلاث مرات . رواه مسلم[٢] .

٥ ــ التشبيه والصورة : ــ

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« **إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » رواه أبوداود .

إن الحسد نار تأكل الحسنات وتأكل قلب صاحبها أيضاً[٣]

٦ ــ التصوير بالتشخيص والإستعارة : ــ

عن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله ﷺ قال عندما سئل عن ضالة الإبل :ــ

« **مالك ولها ؟ معها حذاؤها وسقاؤها حتى تلقى ربها** » رواه البخاري والترمذي .

فللناقة حذاء ومعها سقاء فلا يخشى عليها الأذىٰ ولا الضياع .. لقد أضفى صفات

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٧ .

الإنسان على الحيوان »[1] .

٧ ــ التصوير بالكناية : : ــ

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ــ

« **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن : متى يؤمر بالنفخ فينفخ** » رواه الترمذي .

ما أروعها من صورة تظهر أمام أعيننا صورة الملك إسرافيل وقد التقم الصور وأصغى ينتظر الإذن لينفخ نفخة الإفناء التي تنهي الحياة .. وعندئذ تكون الساعة قد أتت[2].

تلك هي بعض ما استخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام من أساليب في البيان والدعوة للناس .

ولنا أن نستخدمها ونتأسىٰ به ﷺ . والإسلام لا يعارض أية وسيلة شريفة في نشر الدعوة ، وبالتالي فإن لدينا من الوسائل مايكفينا بعون الله ولا ينقصنا إلا أن نشمّر عن ساعد الجد ونبدأ رحلة الدعوة إلى الله .

(١) المرجع السابق ص ٥٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦٩ .

٥ ــ أثر الإيمان فى تربية الفرد :

للإيمان أثر واضح في شخصية الفرد المسلم ، ويتضح هذا الأثـر فى أمور كثيرة ، وسنختار من هذه الأمور أهمها فى تقديرنا وهي :

(١) ــ نفسية المؤمن وعقيدته .

(٢) ــ تفكير المؤمن .

(٣) ــ عمل المؤمن .

(٤) ــ غاية المؤمن .

(٥) ــ خلق الـمـؤمن .

(أ) ــ نفسية المؤمن وعقيدته :

هناك صلة بين النفس المؤمنة والعقيدة أو الإيمان .

فالإيمان نور يقذفه الله في القلب وتظهر آثاره على الجوارح ، قال تعالىٰ : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾[1] .

والقلب المؤمن عادة أو غالباً مايكون رقيقاً مثل أفئدة الطير ، وفي القلب الرقيق المؤمن الصافي تلتقي فيه العقيدة أو نور الإيمان ببشاشةالقلب فتصبح العقيدة شيئاً لا ينفصل عن كيان صاحبها فيجد حلاوة الإيمان ، ولا يستطيع أن يتخلىٰ عنها حتى لو نشر نصفين كما فُعل بالراهب[2] ، أو قذف بالماء الساخن كما فعل بما شطة آل فرعون ، أو قتل أو أصابه ما أصابه ، فنور العقيدة أسمىٰ وأغلىٰ من كل شيءٍ ، وكما قال الشاعر :

ضع في يدي القيد ألهب أضلعي بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة أو نزع إيماني ونور يقيني
النور في قلبي وقلبي في يدي ربي وربي حافظي ومعيني
سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي وأموت مبتسماً ليحيا ديني

نعم إن المؤمن لا يخاف إلا من الله ولا يبالي بأحد سواه فهو يتحدىٰ الموت ولا يخافه بل إنه يطلبه لأن فيه لقاء الله . وقد قال خبيب ــ رحمه الله ــ في هذا المعنى :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

إن الإيمان يولد في القلب القوة فلا يعرف المؤمن مهابة لأحد سوىٰ الله .. الله أكبر من كل شيء في الوجود يرددها المؤمن فيخمسة أوقات عدة مرات في أذانه وصلاته كل يوم .. ومع الإيمان ينهزم النفاق ، فالمؤمن ليس عبداً لمصلحته يداهن هذا ويتمسّح بذاك من أجل مصلحة زائفة ومتاع قليل وعن هؤلاء يقول شهيد

---

(١) سورة الفتح : ٢٩

(٢) في قصة الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود والتي رواها الإمام مسلم .

الإسلام سيد قطب ــ رحمه الله ــ : [العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع ، وعندهم كفايتهم من المال ولديهم وسائلهم للعمل والانتاج ، ولا سلطان لأحد عليهم في أموالهم أو أرواحهم .. وهم مع ذلك يتزاحمون علىٰ أبواب السادة ، ويتهافتون على الرق والخدمة ويضعون بأنفسهم الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أقدامهم ، ويلبسون شارة العبودية في مباهاة واختيال ، العبيد هم الذين يقفون بباب السادة ، يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء في الداخل بكعب حذائه ، كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخطار ، كيف يطأطئون هاماتهم لهفيصفع أقفيتهم باستهانة ويأمر بإلقائهم خارج الأعتاب ، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين ، وكلما أمعن السيد في احتقارهم زادوا تهافتا كالذباب[1] .

والإيمان هو الذي يحجز النفس عن الإنزلاق وراء الشهوات والغرق في مستنقع الرذيلة والإباحية .. بل إن المؤمن بعد فترة من الرياضة الروحية ليستعلي على هذه المحرمات ، وينظر إلى الدنيا من عل سعيداً بإيمانه فرحاً بإسلامه فلو كان في هذه المحرمات الخير للإنسان لأباحها الشرع ، وطالما أنه قد حرّمها فهي عين الضرر والمرض والإنحراف فتأباها نفس المؤمن ويكره أن يعود إليها بعد أن نجاه الله منها .. وهنا يشعر بنشوة الإيمان تغمر قلبه ويشعر بالرضا حتى لو كان في قعر الجب أو قرار السجن طالما أن قلبه مع الله .. بينما غير المؤمن مهما تمتع واستمتع وعاش في الترف والرفاهية فإنه قلق مضطرب رغم النعمة التى هو فيها وسبب قلقه واضطرابه هو عدم الإيمان أو التردد فيه .

والمؤمن له تصورات واضحة عن الحياة .. وعن الوجود .. وعن نفسه فالحياة محنة واختبار وابتلاء ، قال تعالىٰ : ﴿ **إنا جعلنا ماعلىٰ الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** ﴾[2] . وقال تعالىٰ : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾[3] .

---

(1) دراسات إسلامية لسيد قطب ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(2) سورة الكهف ٧ . (3) سورة الأنبياء ٣٥ .

والإنسان مخير بين طريقين : قال تعالىٰ : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾[1]، فإما أن يرضي هواه وإما أن يرضي ربه ، قال تعالىٰ : ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾[2] . وقال أيضاً : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾[3] .

والناس كلهم إلىٰ زوال ، قال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ، ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[4] . وقال عزَّ من قائل : ﴿ **إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت** ﴾[5].

والإنسان سيبعث من قبره ، قال تعالى : ﴿ **إنه على رجعه لقادر ، يوم تبلىٰ السرائر** ﴾[6] . وقال أيضاً : ﴿ **يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم** ﴾[7] . وآية ذلك خلقه .. فقد خلق من أضعف شيء .. والله قادر على إرجاع هذا المخلوق مرة أخرى ، قال تعالىٰ : ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم** ﴾[8] .

وسيحاسب عن كل صغيرة وكبيرة ، قال تعالىٰ : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[9] .

ولا خلاص له إلا باتباع الرسول ﷺ وأن يقيم شرع الله علىٰ نفسه ، وأن يعبد ربه حتىٰ الموت ، وأن يسارع إلى الطاعات ، فيما يلي أدلة ذلك : قال تعالى : ﴿ **ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً** ﴾[10]وقال أيضاً : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير**

---

(١) سورة البلد ١٠ .
(٢) سورة الشمس ٩ ــ ١٠ .
(٣) سورة النازعات ٤٠ ــ ٤١ .
(٤) سورة الرحمن ٢٦ ــ ٢٧ .
(٥) سورة الانفطار ١ ــ ٤ .
(٦) سورة الطارق ٨ ــ ٩ .
(٧) سورة الزلزلة ٦ .
(٨) سورة يس ٧٨ ــ ٧٩ .
(٩) سورة الزلزلة ٧ ــ ٨ .
(١٠) سورة الفرقان ٢٧ .

والله على كل شيء قدير ﴾[1].

وقال تعالىٰ : **﴿ يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ﴾**[2] .

وقال تعالىٰ : **﴿ فاستقم كما أمرت ﴾**[3] وقال : **﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾**[4] ، وقال سبحانه : **﴿ سابقوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾**[5] .

والمؤمن بعد هذه العقيدة لا يخبط في الشك والأوهام فالإيمان مصباح والعقل هو البصر ، وإنما يهتدى العقل بنور المصباح وهو الإيمان فتستقيم حياة المؤمن كلها .

قال تعالىٰ : **﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾**[6] .

وقال أيضاً : **﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾**[7] . وقال : **﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾**[8] . فالمؤمن كما يلاحظ من الآيات مرتاح القلب ، وما كان ليلقىٰ ذلك لولا الإيمان .

والمؤمن راضٍ بقضاء الله وقدره ، قال تعالى : **﴿ وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾**[9] .

ويشكر نعم الله ، قال تعالى : **﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴾**[10] وقال أيضاً : **﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾**[11] .

---

(١) سورة المائدة ١٩ .
(٢) سورة الصف ٢ .
(٣) سورة هود ١١٢ .
(٤) سورة الحجر ٩٩ .
(٥) سورة الحديد ٢١ .
(٦) سورة التغابن ١١ .
(٧) سورة الرعد ٢٨ .
(٨) سورة الحجرات ٧ .
(٩) سورة البقرة ١٥٥ ــ ١٥٧ .
(٨) سورة آل عمران ١٤٥ .
(١١) سورة الزمر ٦٦ .

ويقف عند حدوده ، قال تعالى : ﴿ **تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾[1] . وقال سبحانه : ﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون** ﴾[2] .

ويستقيم في سلوكه ، قال تعالى : ﴿ **وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾[3] .

والإيمان يمنحه السرور ، قال تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[4] . وقال : ﴿ **والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك** ﴾[5] .

ويمنحه الثقة ، قال تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾[6] .

ويمنحه الإباء ، قال تعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾[7] .

وقال أيضاً : ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** ﴾[8] .

ويمنحه الوفاء : قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾[9] .

وقال أيضاً : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** ﴾[10] .

ويمنحه الصدق ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[11] .

ويمنحه الثبات : قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم**

---

(1) سورة البقرة ١٨٧ .
(2) سورة البقرة ٢٢٩ .
(3) سورة الأسراء ٣٥ .
(4) سورة يونس ٥٨ .
(5) سورة الرعد ٣٦ .
(6) سورة آل عمران ١٧٣ ــ ١٧٥ .
(7) سورة المنافقون ٨ .
(8) سورة النساء ١٤١ .
(9) سورة المائدة ١ .
(10) سورة الأسراء ٣٤ .
(11) سورة التوبة ١١٩ .

ويثبت أقدامكم ﴾[١] .

وقال عز من قائل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾**[٢] .

ويمنحه محبة الآخرين : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا أحب الله تعالى العبد ، نادىٰ جبريل : إن الله تعالىٰ يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض** » متفق عليه[٣] .

ويجعله فرداً مصلحاً ومشكاة مضيئة : يحاول إصلاح نفسه أولاً ، ثم مجتمعه وبين ذلك يصلح أسرته وعشيرته ، ويقتدي به الناس ، ويرونه مثالاً للبِّر والتقوى ، وهكذا كان شأن العلماء وأتباعهم وسلف هذه الأمة .

ويجعله وفياً لمجتمعه ، فلا ينشر الفساد فيه .. وينصح لله تعالى .. ويساعد الفقير والمسكين والمحتاج .. ويدافع عن بلاده حال تعرضها للخطر .. ولا يتهاون في شبر من بلاده ، ولا يوالي أعداء بلاده ، ولا يدافع عن الخائنين ، قال تعالى : ﴿ **ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾**[٤] .

والمؤمن هو أشجع الناس وأوفىٰ الناس وأغير الناس على حرمات الله وعلى حرماتهم وأحرص الناس على الأمن والإستقرار في المجتمع .

وهو أكثر الناس وفاءً لأمته، فالمسلمون أمة واحدة ، وجرح مصر هو جرح الشام وجرح الهند جرح العراق .. والمؤمن يدرك هذا .. فالبلاد كلها لله .. والناس كلهم عباد الله .. والمؤمنون إخوة .. قال الشاعر :

ولست أدري سوىٰ الإسلام لي وطناً الشام فيه ووادي النيل سيان
وكلما ذكر اسم الله في بلدٍ عددت أرجاءه من لب أوطاني[٥]

---

(١) سورة محمد ٧ .
(٢) سورة إبراهيم ٢٧ .
(٣) رياض الصالحين ص ١٨٧ .
(٤) سورة النساء آية ١٠٥ .
(٥) مجموعة رسائل البنا ص ٢٨٢ .

والمسلم أوفى الناس لأمته الكبيرة فلا يقف عند حدود وطنه وقومه بل يتجاوز ليشمل كل المسلمين .

شديد الغيرة على عرضه : فالمؤمن يغار .. والغيرة على العرض من أحسن الأخلاق وأعظم مايدل على الإيمان إن كانت على محارم الله .. وأعراض الناس .. والمؤمن أكثر الناس غيرة على عرضه وبالتالي يحفظ نسل المجتمع من الأمراض والبغاء ويرتفع المجتمع الإسلامي عن المجتمع الأوربي الخليع حيث لكل زوج عشيقة ولكل زوجة عاشق بمعرفة الزوجين .

وفي الحديث : « **من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد** » رواه أبو داود والترمذي[(١)] .

ويتوكل على الله : فالمؤمن دائم التوكل على الله ، فهو يعلم أن كل مايجري في الوجود إنما هو بأمر الله فلا يخاف إلا الله ولا يرغب في غير الله .. ولا يتوجه في عبادته إلا إلى الله يطلب منه العون والمدد والرجاء ، قال تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[(٢)].

والايمان يمنح الصبر : فالمؤمن صابر على البلاء ـ صابر على الطاعات ـ صابر على البأساء صابر على الضراء وسبب صبره هو طمعه في رضوان الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[(٣)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه** » متفق عليه[(٤)] . والوصب هو المرض .

والإيمان يمنحه الرحمة ، فالمؤمن يحمل قلباً رحيماً يعطف على الفقراء

---

(١) رياض الصالحين ص ٥١٧ .
(٢) سورة التغابن آية ١٣ .
(٣) سورة الزمر آية ١٠ .
(٤) رياض الصالحين ص ٣١ .

والمساكين ويتأثر على إخوته في الإنسانية والدين ، قال تعالىٰ ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا** ﴾[1].

والإيمان يمنحه الشدة في وجه خصوم الدين ، فالمؤمن لا يهادن أعداء الله ولا يقعد معهم إذا كانوا يسخرون من دين الله ، قال تعالى : ﴿ **وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إنَّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ **والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[3] .

والإيمان يمنحه الإعتزاز بالله والثقة به والإستهانة بالدنيا ، فالدنيا كلها تافهة ، قال تعالىٰ : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغررو** ﴾[4] . وقال أيضاً : ﴿ **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾[5] .

والإيمان يمنحه البعد عن المعاصي ، فالمؤمن يتجنب ماحرَّم الله تعالىٰ ، ويعلم أن المعاصي طريق إلىٰ النار فيتركها ، قال تعالىٰ : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[6] . وقال تعالىٰ : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما** ﴾[7] .

والإيمان يمنحه الأخلاق الكريمة ، عن عائشة قالت : استأذنت رهط من اليهود على النبى ﷺ فقالوا : **السَّام عليكم** . **فقلت : بل عليكم السَّام**

---

(١) سورة الإنسان ٨ ــ ٩ .
(٢) سورة النساء ١٤٠ .
(٣) سورة الفتح ٢٩ .
(٤) سورة آل عمران ١٨٥ .
(٥) سورة التوبة ٣٨ .
(٦) سورة المائدة ٩٠ .
(٧) سورة النساء ٣١ .

واللعنة ، فقال : ياعائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، قلت : أولم تسمع ماقالوا ، قال : قد قلت وعليكم . وفي رواية : (عليكم) ولم يذكر الواو . متفق عليه[1]

والإيمان يمنحه الصفح والعفو والإخلاص لله في كل أموره ، قال تعالىٰ في صفة المتقين : ﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾[2].

وقال أيضا : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة** ﴾[3].

والإيمان يمنحه التضحية : فالإنسان المؤمن يشعر أن نفسه وماله ملك لله، وقد اشتراها الله منه مقابل الجنة ، لهذا يقدم المؤمن على الموت كما يقدم الكافر على الحياة ، ويضحي بكل شيء في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ **إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** ﴾[4] .

وكان الصحابة يتسابقون إلىٰ الجهاد والشهادة رضى الله عنهم وأرضاهم .

والإيمان يمنحه سعادة الدارين .. الدنيا والآخرة ، قال تعالىٰ : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقومٍ يعلمون** ﴾[5]

وقال تعالىٰ : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ سورة العصر .

---

(١) مشكاة المصابيح ٣/١٣١٦ .
(٢) سورة آل عمران ١٣٤ .
(٣) سورة البينة ٥ .
(٤) سورة التوبة الآية ١١١ .
(٥) سورة الأعراف — الآية ٣٢ .

قال أبو السعود في تفسير هذه السورة : (والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر ، أو بالعشي الذي هو مابين الزوال والغروب كما أقسم بالضحىٰ ، أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار ، أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة . ﴿ **إن الإنسان لفي خسر** ﴾ : أى خسران الناس فى متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم ، ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فإنهم في تجارة لن تبور ، حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس ، واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات ، فيالها من صفقة ماأربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم . وقوله تعالىٰ : ﴿ **وتواصوا بالحق** ﴾ بيان لتكميلهم لغيرهم أي وصّىٰ بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره . ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل . ﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ أي عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية ، وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها ، أو على مايبلو الله عز وجل به عباده ، وتخصيص هذا بالتواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لإبراز كمال الإعتناء به ، أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل مايرضى به الله تعالى، والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالىٰ . فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق إليه من فعل وترك ، بل هو تلقي ماورد منه تعالىٰ بالجميل والرضا به ظاهراً وباطناً (١) .

ولنا أن نقول بعد هذا البيان الذي أكرمتنا به سورة العصر بأن البشرية اليوم فعلا خاسرة .. وهي على حافة الهاوية مالم تؤمن بالله .. من هنا تكون أكبر نعمة من الله تعالىٰ على المؤمن في هذا العصر أن يثبت على إيمانه ، فالإيمان نعمة لا تعدلها نعمة وهو أسمىٰ كرامة من الله للعبد في حياته الدنيا .

ولهذا مهما حصّل غير المؤمن من متاع وثروة وجاه في الحياة الدنيا فهو

---

(١) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٩٧ .

خاسر رغم هذا ، وماحققه تافه لا قيمة له إذا حرم من نعمة الإيمان .

والمؤمن مهما أصابه من شدة وفقر ومرض في حياته فهو رابح .. رابح حقيقة لأن له بذاك أجراً .. ولأن نعمة الإيمان باقية عليه .

وفي هذا الصدد يروىٰ أن رجلاً مرَّ على رجل بلا يدين ولا رجلين أي مجرد جذع فوقه رأس ، وكان هذا الرجل يلهج لسانه بحمد الله وتسبيحه ، فقال له : علىٰ أي شيء تحمد الله وبك مابك ، فقال : ويحك ألم يبق الله لي عقلاً أعرفه به ولساناً أذكره فيه !

ياسبحان الله ، ماأعظم الإيمان ، وما أعظم المؤمن بإيمانه .. ويعجبني هنا ماقاله أقبال رحمه الله :

إنما الكافر حيرا ن له الآفاق تيه
وأرىٰ المؤمن كوناً تاهت الأكوان فيه[1] .

إن نعمة الإيمان لا تقدر بثمن .. فكيف يحاربها كثير من الناس ؟ ولماذا ؟ إن كل مايتمتع المؤمن به من خصال حميدة هي بسبب إيمانه .. فالإيمان هو الذي يجعله خيّراً . والإيمان هو الذي يجعله قائماً في ليله صائماً في نهاره خائفاً من ذنبه راجياً لربه .

والإيمان هو الذي يجعله يقهر الدنيا ولا تقهره ، ويقبض المال ولا يقبضه المال . والإيمان هو الذي يجعله يمسك بسيفه مجاهداً في سبيل الله متحدياً للطاغوت .

والإيمان هو الذي يجعله في شوق دائم إلىٰ الجنة وفي خوف دائم من النار ، والإيمان هو الذي يجعله ينظر إلى الفكر الدخيل والعميل نظرة رفض واستعلاء ، بل إنه ليستعلى على الدنيا ومافيها ، قال تعالىٰ : ﴿ **وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾[2] [الإستعلاء على قوىٰ الأرض الحائدة عن منهج الإيمان ، وعلى

---

(١) إقبال الشاعر الثائر لنجيب الكيلاني ص ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٩ .

قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان وعلى تقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان .

الإستعلاء مع ضعف القوة ، وقلة العدد ، وفقر المال ، كالإستعلاء مع القوة والكثرة والغنىٰ على السواء .

الإستعلاء الذى لايتهاوىٰ أمام قوة باغية ، ولا عرف إجتماعي ، ولا تشريع باطل ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان .

وليست حالة التماسك والثبات في الجهاد إلا حالة واحدة من حالات الإستعلاء التي يشملها هذا التوجيه الإلهي العظيم .

والإستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزمة مفردة ولا نخوة دافعة ، ولا حماسة فائرة ، إنما هو الإستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز في طبيعة الوجود ، الحق الباقي أمام منطقة القوة ، وتصور البيئة واصطلاح المجتمع وتعارف بالناس ، لأنه موصول بالله الحي الذي لا يموت .

إن المؤمن هو الأعلى .. الأعلىٰ سنداً ومصدراً ، فما تكون الأرض كلها ؟ وهو من الله يتلقىٰ ، وإلى الله يرجع وعلى منهجه يسير .

وهو الأعلىٰ إدراكاً وتصوراً لحقيقة الوجود ، فالإيمان بالله في هذه الصورة التى جاء بها الإسلام هو أكمل صورة للمعرفة بالحقيقة الكبرىٰ . وهو الأعلى تصوراً للقيم والموازين التي توزن بها الحياة والأحداث والأشياء والأشخاص ، فالعقيدة المنبثقة من المعرفة بالله ، بصفاته كما جاء بها الإسلام .. هذه العقيدة من شأنها أن تمنح المؤمن تصوراً للقيم أعلىٰ وأضبط من تلك الموازين المختلفة في أيدي البشر الذين لا يدركون إلا ما تحت أقدامهم .. ولا يثبتون على ميزان واحد في الجيل الواحد .. بل في الأمة الواحدة بل في النفس الواحدة من حين إلىٰ حين .

وهو الأعلىٰ ضميراً وشعوراً ، وخلقاً وسلوكاً ، فإن عقيدته في الله ذي

لأسماء الحسنىٰ والصفات المثلىٰ ، هي بذاتها موحية بالرفعة والطهارة والعفة والتقوى ، والعمل الصالح والخلافة الراشدة ، فضلاً على إيحاء العقيدة على الجزاء في الآخرة ، الجزاء الذي تهون أمامه متاعب الدنيا وآلامها جميعاً ، ويطمئن إليه ضمير المؤمن ولو خرج من الحياة الدنيا بغير نصيب .

وهو الأعلىٰ شريعة ونظاماً ، وحين يراجع المؤمن كل ماعرفته البشرية قديماً وحديثاً ،ويقيسه إلى شريعته ونظامه ، فسيراه كله أشبه شيء بمحاولات الأطفال وخبط العميان ، إلى جانب الشريعة الناضجة والنظام الكامل ، وسينظر إلىٰ البشرية الضالة من عل في عطف وإشفاق على بؤسها وشقوتها ، ولا يجد في نفسه إلا الإستعلاء على الشقوة والضلال وهكذا كان المسلمون الأوائل يقفون أمام المظاهر الجوفاء ، والقوىٰ المنتفخة والإعتبارات التي كانت تتعبد الناس في الجاهلية .. والجاهلية ليست فترة من الزمان ، إنما هي حالة من الحالات تتكرر كلما انحرف المجتمع عن نهج الإسلام ، في الماضي والحاضر والمستقبل على السواء .

هكذا وقف المغيرة ابن شعبة أمام صور الجاهلية وأوضاعها وقيمها في معسكر رستم قائد الفرس المشهور .

عن أبي عثمان النهدي قال : لما جاء المغيرة إلى القنطرة ، فعبرها إلى أهل فارس أجلسوه ، واستأذنوا رستم في إجازته ، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم تقوية لتهاونهم ، فأقبل المغيرة ابن شعبة والقوم في زيهم ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسطهم على غلوه (والغلوه مسافة رمية سهم تقدر بثلاثمائة أو أربعمائة خطوة) لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها غلوة ، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى يجلس على سريره ووسادته ، فنزلوا عليه فترتروه[1] وأنزلوه ومغثوه[2] ، فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرىٰ قوماً أسفه منكم ،

---

(١) ترتر : استرخى بدنه أو كلامه .. (تترتر) تزلزل وتقلقل المعجم الوسيط ٨٣/١ .

(٢) مغث الرجل ــ مغثا : ضربه ضرباً ليس بالشديد .. المعجم الوسيط ٨٧٨/٢ .

إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً ، إلا أن يكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ، ولم آتكم ولكن دعوتموني ، اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول ﴾[١] .

وحول معاني الإستعلاء يقول هاشم الرفاعي مفتخراً بماضينا العريق وإسلامنا العظيم :

ملكنا هذه الدنيا القرونا — وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء — فما نسي الزمان ولا نسينا
حملناها سيوفاً لامعات — غداة الروع تأبىٰ أن تلينا
إذا خرجت من الاغماد يوما — رأيت الهول والفتح المبينا
وكنا حين يرمينا أناس — نؤدبهم أباة قادرينا
وكنا حين يأخذنا ولي — بطغيان ندوس له الجبينا[٢]

وبعد : فذلكم باختصار وجيز أثر العقيدة في المؤمن .. أو في نفس المؤمن ولولا خشية التطويل لبسطنا القول أكثر ، فإنني أعتقد أن كل مافي القرآن والسنة له أثر في نفس المؤمن وسلوكه ..

وكل ماآمن به المؤمن من المأثور والمعقول عن سلف هذه الأمة وعلمائها له أثر في نفس المؤمن وتصوره .

فلكل آية أثر ولكل سورة أثر ، ولكل حديث أثر ، ولو أردنا التفصيل لاحتاج هذا إلى عشرات المجلدات .

وإنما قدمنا خطوطاً عامة في هذا الموضوع نأمل أن تكون كافية وجامعة . ويبقى أن نقول : إن المؤمن يستشعر أن كل المؤمنين في السابق والحاضر واللاحق

---

(٣) معالم في الطريق ص ١٧٨ — ١٨٣ .

(٢) ديوان هاشم الرفاعي ص ٣٨٤

هم إخوته .. قال تعالى : « **إنما المؤمنون إخوة** »[1] .

والإيمان هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل من أجل الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾[٣]

وهذه باختصار أهم آثار الإيمان في النفس المؤمنة :

١ — يمنح الإيمان صاحبه النفس المطمئنة الراضية .

٢ — يحصن ويمنع النفس الإنسانية من الإنزلاق في القلق والأمراض النفسية والعصبية .

٣ — يجيب على تساؤلات النفس الفطرية .

٤ — يهبها التصور الصحيح للحياة والإنسان والكون والخالق سبحانه .

٥ — يحميها من المذاهب المضللة الهدامة .

٦ — ينور طريق الحياة أمام الإنسان ويزرع فيه البصيرة الثاقبة .

٧ — يزرع القيم العليا في المؤمن .

٨ — يجعله مسارعاً لكل خير ويقوي فيه الإرادة والعزيمة .

٩ — يجنبه الغرور والمتاهات والشرور .

١٠ — يزكي نفس صاحبه ويجعله متزناً في تفكيره وعلاقاته الإجتماعية .

١١ — وفي الإيمان ينسجم العقل مع ذاته ومبادئه .

١٢ — والإيمان يجعل صاحبه حراً لا يخاف إلا الله ، ويمنحه القوة والثبات .

١٣ — ويمنح صاحبه الإستعلاء على الجاهلية .

١٤ — ويدفعه الإيمان للعمل الصالح وإعمار الأرض وتحكيم شرع الله فيها .

١٥ — ويمنحه الثقة بالنفس والإعتزاز بالعبودية لله عز وجل .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

(٤) سورة الكهف الآية ٣٠ .

١٦ ـــ ويجعله غيوراً على دينه وأمته ومجتمعه مفيداً لأهله وأسرته

تلك هي أهم آثار الإيمان في نفس المؤمن .

أركان الإيمان وأثرها في المؤمن :

إن للإيمان أثراً كبيراً في المؤمن وعلى رأس أركان الإيمان يأتي الإيمان بالله . فالمؤمن يشعر بأن الله ربه يعرفه ويراقب أفعاله وسيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة فعندئذٍ يتقي الرذائل ويسارع للخيرات .

والإيمان بالملائكة يجعله يستحي من معصية الله لعلمه أن الملائكة معه ترافقه وتراه وتحصي أعماله .

والإيمان بالكتب يجعله يعتز بكلام الله ويتقرب إليه بتلاوة كلامه ويشعر أن الطريق الوحيد إلىٰ الله هو اتباع ماجاء في الكتب التي أنزلها والتي نسخها القرآن الذي جاء مهيمناً عليها ومصدقاً بها .

والإيمان بالرسل يجعله يأنس بأخبارهم وسيرهم ولاسيما سيرة نبينا محمد ﷺ ويتخذ منهم قدوة وأسوة حسنة في الحياة .

والإيمان باليوم الآخر ينمي في نفسه حب الخير ليلقىٰ ثوابه في الجنة ، فالمؤمن دائم الشوق إلى الجنة وظلالها ونعيمها ، ويسارع في الخيرات لعله يصل إليها ، كما أن الإيمان باليوم الآخر يجعله يكره الشر ويتجنب الفواحش خشية من نار جهنم التى تفزع المؤمن وتخيفه كلما سمع ذكرها ، وهنا ينمو عند المؤمن شعور المراقبة وشعور المحاسبة وينعكس هذا على سلوكه بأحسن الآثار الطيبة .

والإيمان بالقدر يجعل نفس المؤمن لا تخاف ما أصابها ولا ترجو ماسوىٰ الله ولا تطمع إلا بالله وتزهد في الدنيا ولا تبالي بالموت ولا تركع للطغيان .

إذاً فلكل ركن من أركان الإيمان أثر مشرق وفائدة خاصة تنعكس علىٰ تصورات المؤمن وسلوكه في الحياة . فلابد من عناصر الإيمان جميعاً وأركانه وإلا كان الإيمان ناقصاً ولم يحقق ماذكرناه من فوائد وآثار .

(٢)ـ تفكير المؤمن :

كيف يفكر المؤمن ؟ ولماذا يفكر ؟ وفيم يفكر .. أسئلة كثيرة يجب أن نجيب عليها ونحن نبحث في أثر الإيمان في المؤمن .

إذا كانت عملية التفكير معناها البحث عن الحقيقة والهدف من التفكير الوصول إلىٰ الحقيقة .. فإن المؤمن هو أعلىٰ المفكرين وأسماهم لأنه هو الذي وصل إلى الحقيقة الكبرىٰ .. فهم الوجود ، وفهم وظيفته في الحياة ، وفهم مابعد الحياة ..، ولهذا فالمؤمن هو المفكر الأعظم وهو المفكر الأول .. فهو يجمع بين التفكير الكلي في غاية الأشياء وماهيتها وبين التفكير الجزئي في قضاياه الخاصة وقضايا مجتمعه .. أو هو يجمع بين قضايا الإنسان وقضايا المواطن وقضايا الفرد والمجتمع والقضايا الخاصة والقضايا العامة ، وقضايا الجسم وقضايا الروح ..

فتفكيره كامل متكامل ، وأصول تفكيره مستقيمة لأنها مستمدة من وحي السماء ، ولا يداخلها الخلل لأنها محكمة ، والناس يداخلها في أصول التفكير الانحراف والأهواء والخطأ والصواب .. وغير المهتدين يعرفون قضايا فرعية في العلم والحياة ولكنهم يجهلون الحقائق الكبرىٰ للوجود فيصبح علمهم غفلة وسعيهم ضياعاً ونهايتهم إلى النار .

فالأمم الكافرة مهما بلغت من العلوم والمعارف فإن نهايتها الدمار والشلل التام للحياة ، قال تعالىٰ : ﴿ **فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾[1] .

فلا يغرنَّ أحداً ماعليه أوربا من العلم .. فإن نهايتها قريبة .. وقد اعترف بهذا أبناؤها .. ويكفي أوربا ضياعاً أنها لا تؤمن بالله ولا بالإسلام ، وأنها غرقت في الملذات الحسية القاتلة ، يقول الفيلسوف صمويل سيلز : [لو قام بيننا مستبد طاغية يسلبنا أموالنا ويأمرنا بتعاطي مادة تحط من قدرنا وتنتزع صفات الإنسانية من

---

(١) الأنعام ، الآية ٤٤ .

نفوسنا حتىٰ نصير أشبه بالبهائم ثم يقضي على راحة بيوتنا ويبذر فينا بذور المرض والموت العاجل ، لأصبحنا وكلنا جماعات ساخطة تعقد ، ومظاهرات ضخمة تنظم وخطباء مفوهون للحرية ينتصرون .. وللخلاص مما ألمَّ بهم من الظلم يطلبون .. مع أن هذا الحاكم المستبد مقيم بيننا لا تقوىٰ عليه الجنود ، ولا تسقط جبروته الأصوات ، ونحن بالإذعان لسلطانه والنزول على حكمه راضون ذلك هو سلطان الشهوات (١).

نعود لنتحدث عن تفكير المؤمن ، وأود هنا أن أنقل بعض ما قاله العقاد في كتابه « التفكير فريضة اسلامية » قال العقاد في هذا الموضوع : [من مزايا القرآن الكثيرة مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين ، لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوتاً تؤيده أرقام الحساب ودلالات الألفاظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييدها إلىٰ المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الآراء .

وتلك المزية هي التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف .

ففي كتب الأديان الكبرىٰ إشارات صريحة أو مضمونة إلىٰ العقل أو إلىٰ التمييز ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة وقد يلمح فيها القارىء بعض الأحايين شيئاً من الزراية بالعقل أو التحذير منه ، لأنه مزلة العقائد وباب من أبواب الدعوىٰ والإنكار .

ولكن في القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلىٰ وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه .

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

وفريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ماحتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضاً مقتضباً بل يذكره مفصلاً على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان ، فمن خطابه إلىٰ العقل عامة ومنه ماينطوي على العقل الوازع كقوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يحي ويميت وله إختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون** ﴾[1] .

ومن خطابه إلىٰ العقل المدرك أو العقل الذي يقوم به الفهم والوعي وهما عم وأعمق من مجرد الإدراك ، قال تعالىٰ : ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب** ﴾[2] .

أما العقل الذي يفكر .

قال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الأعمىٰ والبصير أفلا تتفكرون** ﴾[3] .

وبهذه الآيات وماجرىٰ مجراها تقررت ولا جرم فريضة التفكير في الإسلام ، وتبين فيها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز بين الأمور ، ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر ويتدبر ، ويحسن الادكار والرواية ، وأنه هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال ، وليس من العقل الذى قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون ، فإن الجنون يسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع ، في كل عرف وسنة ، ولكن الجحود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف في الإسلام ، وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه ، فإنها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير .

والإسلام بين الأديان قد انفرد بقبول نعمة الحياة وتزكيتها والحض عليها وحسبانها من نعمة الله التي يحرم على المسلم رفضها ويؤمر بشكرها.[4] .

---

(١) سورة المؤمنون ٨٠ .

(٢) سورة يوسف ١١١

(٣) سورة الأنعام ٥٠

(٤) التفكير فريضة إسلامية لعباس محمود العقاد باختصار من ص ٧ إلى ص ١٧ .

ونحن حينما نؤكد على أهمية التفكير لدىٰ الإنسان المسلم نريد من ذلك أموراً منها :

١ — أن الإسلام دين العقل والمنطق والفطرة والعلم يسير مع الحياة ولا يصطدم بها .

٢ — إن الإيمان مرتكز على العقل ولا مجال للشك فيه .

٣ — والملاحدة مريضون عقلياً .. وعدم إيمانهم دليل على سفاهة عقولهم .

٤ — والمؤمن مطالب بالتفكير في أمور دينه ودنياه .

٥ — والفكر الجيد من أهم عوامل نجاح الفرد والمجتمع .

ونأتي لمعرفة خصائص التفكير عند الإنسان المسلم :

أولىٰ هذه الخصائص أنه تفكير مستنير بنور الله موصل إلىٰ الله . قال تعالى : ﴿ **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[١] .

وهو تفكير يتعظ بآيات الله ، قال تعالى : ﴿ **وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم** ﴾[٢] .

وتفكير المؤمن متشبث بالهداية ولا يريد أن ينفك عنها ، قال تعالىٰ : ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾[٣] .

وتفكير المؤمن يقظ يدرك أن الواجب عبادة الله ، وترك العبادة خسران له بل خسران للإنسانية جميعاً إذا تنكفت الإنسانية عن عبادة الله عز وجل . قال تعالىٰ : ﴿ **ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ، ءأتخذ من دونه آلهة إن**

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠ — ١٩١ .

(٢) سورة الذاريات ٣٧ .

(٣) سورة آل عمران ٨ .

يردني الرحمن بضر لا تغنِ عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ، إني إذاً لفي ضلال مبين ، إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾[1] .

وتفكير المؤمن قائم على الخير فهو يحب الخير للناس جميعاً ، قال تعالىٰ : ﴿ **ويا قوم مالي أدعوكم إلىٰ النجاة وتدعونني إلىٰ النار** ﴾[2] .

والمؤمن دائم الطموح دائم الأمل مهما حوصر ومهما عُذِّب ومهما وجد من صعاب ، قال تعالىٰ : ﴿ **إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[3] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي ﷺ ، قبل موته بثلاثة أيام يقول ، « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل** » رواه مسلم [4] .

والإعتدال سمة من سمات المؤمن في نظرته للأمور وتعامله مع الناس ، قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾[5] .

والمرونة صفة من صفات تفكير المؤمن في تعامله مع الناس مادامت في حدود الشرع لاسيما مع الجاهلين والمعاندين عسىٰ أن يهتدوا .

جاء في السيرة عند وقعة الحديبية :

[ثم دعا علياً ليكتب فأملىٰ عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل أما الرحمن فو الله لاندري ماهو ؟ ولكن أكتب باسمك اللهم . فأمر النبي

---

(١) سورة يس ٢٢ ــ ٢٥ .

(٢) سورة غافر ٤١ .

(٣) سورة التوبة ٤٠ .

(٤) رياض الصالحين ص ٢١٥ .

(٥) سورة المائدة ٨ .

ﷺ علياً بذلك ، ثم أملىٰ (هذا ماصالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال : إني رسول الله وإن كذبتموني ، وأمر علياً أن يكتب محمد بن عبد الله ويمحو لفظ رسول الله ، فأبىٰ علي أن يمحو هذا اللفظ ، فمحاه ﷺ بيده ثم تمت كتابة الصحيفة ﴾[1] .

ولنا أن نقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ . فنعامل الناس على قدر أحوالهم .

فربما تحول المنكر إلى مؤمن ، والكافر إلى مسلم إذا استعملنا معه الرفق .

ومن سمات فكر المؤمن الشمول .

ومن سماته العلم فالتفكير قائم على العلم وليس على الجهالة .

ومن سماته التوازن .. بين أمور الدنيا والآخرة .. والجسم والروح .. والفردية والمجتمع والمادة والمثال .. فليس في فكر المؤمن هجر الدنيا نهائياً وتعذيب الجسد وترك الزواج كما يفعل رهبان النصارى .

وليس فيه المادية الزائدة أو المادية القاتلة عند اليهود . فالمؤمن يفكر باعتدال يعطي حق الجسد وحق الروح وحق الله وحق الناس .. وهكذا يوازن بين المادة والمثال حسب الواقع والضرورة .

وسمات فكر المؤمن مستمدة أصلاً من سمات الفكر الإسلامي وهي مستمدة أولاً وآخراً من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ونكتفي بما قدمناه عن خصائص فكر المؤمن ، وهي خصائص لولا الإيمان لم يكن ليحصل عليها أحد .. ونكتفي بوقفة بسيطة عند فكرة العمق أو مسألة العمق في تفكير المسلم لنجد أثرها فيه :

إن المؤمن تهمه حقائق الأشياء وليس ظاهرها فقط .. والحقيقة أهم من المظهر وعليها المعول والحساب ، لذلك نجد أن المؤمن الحق يهديه تفكيره دائماً إلىٰ الله .. فيبتعد عن السطحية وعن السذاجة .. ويؤمن بالقدر فيبتعد عن السخط

---

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٣٨٤ .

والإشمئزاز ويؤمن بالجنة فيبادر إلىٰ الطاعات .. ويؤمن بالنار فيجتنب المحظورات مثل هذا الإيمان يجعل المؤمن قلعة محصنة يصعب على الشيطان اقتحامها ، ويجعل المؤمن في أمان وفرحة وسرور ، ويجعله يسخر ويضحك باشمئزاز من الجاهلية ورجالها التافهين ، ومثل هذا الإيمان يجعل المؤمن لا يبالي بزخرف الحياة ومفاتنها ، ولا تشغله دنياه عن آخرته ، ولا يعالج الحياة من منظور المادة والمصلحة الخاصة والأنانية ، ومثل هذا الإيمان يجعله يشعر بالحرية الحقيقية طالما أنه عبد الله .. لهذا يستعلي المؤمن على كل مافي الدنيا من غالٍ وتافه إذا كان مافي الدنيا سينتقص من عقيدته .

ويجعله هذا الإيمان يزدري الدنيا وأربابها حتىٰ إذا ماكانوا من رجال الفكر والأقلام ، فيما إذا كانت أفكارهم وأقلامهم وسيلة للتجارة بالدنيا والوصول إلىٰ ملذاتها ..

والمؤمن لا يبالي بالزيف وجماهيره ولافتاته ورجاله وأقلامه ، لأن المؤمن متصل بربه في صلواته ودعائه ، فهو غني عن كل هؤلاء لا يرجوهم ، ولا يخشاهم . وهو يبتعد عن السطحية والسذاجة التي تتمتع بها الجاهلية وأقلامها ، والأفق واسع أمام المؤمن ، وهو يعالج القضايا من جذورها ويأتي الأمور من أبوابها ، لذلك ينال إعجاب الناس ومحبتهم حتىٰ وإن لم يكونوا مؤمنين فالإيمان الذي يحمله يجعله محبوباً بين الناس .. وإذا أحسن المؤمن التأسي بالنبي ﷺ صار قدوة للآخرين واستطاع أن يغير المجتمع ولو كان جاهلياً فاسداً وأن يكون بمفرده أقوىٰ من الشعراء والبلغاء والفلاسفة والحكماء جميعهم ، وماذلك إلا بفضل الإيمان .. الإيمان الذي يرتكز على العقل والعلم معاً .

(٣)ـ عمــل المؤمــن :

العمل نوعان : الأول : يتعلق بالعبادات .

والثاني بالمعاملات وطرق الكسب الحلال .

هل للإيمان أثر على عمل المؤمن ؟

الجواب نعم بالتأكيد فالمؤمن في كل حركة وسكنة للإيمان أثــر عليــه . وسوف نعرض أثر الإيمان على عمل المؤمن . فبالنسبة للعبــادات لدينــا الأركان الخمسة وكذلك لدينا الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. بالإضافة إلى النوافل . وبقية الواجبات الأخرى .

ماهو أثر الإيمان من خلال العبادات .

إن المؤمن الحق هو الذي يؤدي العبادات ابتغاء وجه الله ، ولا يريــد بها سمعة ولا جاهاً ولا سلطاناً في الأرض .

روىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىءٍ مانوى ، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلىٰ ماهاجر إليه** » رواه الشيخان[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولا إلىٰ صوركم ، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكــم وأعمالكــم** » رواه مسلم [٢]

فالمؤمن حينما يؤدي العبادات يؤديها ابتغاء رضوان الله سبحانه أولاً وأخيراً ، وهذا ينعكس على وضعه في المجتمع ، فهو يعمل الخير لينال الأجر لا ليقال إنه عمل كذا فهو غني عن ثناء الناس ، وليس بحاجة إلى تقديرهم ، مما يجعله يقدم الخير سواء لقي تشجيعاً أو لقي أذى فهو لا يبالي أي شيء في سبيل الله .

---

(١) رياض الصالحين ٤ .

(٢) رياض الصالحين ٧ .

وهـو حينما يؤدي العبـادات يحرص على تأديتها بأوقـاتها المعلومـــة فلا يضيــع وقت الصلاة ، ولا يؤخرهـا عن ميعادهـا . قال تعـــالى : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا** ﴾[1] وكذلك الشأن بالنسبة لبقية العبادات .

والمسلم يتقدم بنفس متواضعـة ذليلـة منـكسرة بين يدي الله عز وجـل راجيـاً من المولىٰ عز وجـل القبـول ، قال تعالىٰ : ﴿ **إنما المؤمنـون الذيـن إذا ذكــــر الله وجلت قلـوبهم ، وإذا تليت عليهم آياتـــه زادتهم إيمانـــاً وعلى ربهم يتوكلـــون ، الذيـن يقيمـون الصلاة ومما رزقناهـم ينفقـــون** ﴾[2]. وقـــال أيضاً : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابـــاً متشابهاً مثـــاني تقشعـــر منــــه جلـــود الذيـــن يخشون ربهم** ﴾[3] .

والمؤمـن يعلـم أن العبـادة هي نعمـة من الله على الإنسان ، وأن الديـن تكـريم له ، قال تعـالى : ﴿ **واعلمـوا أن فيكـم رسول الله لو يطيعكـم في كثير من الأمـر لعـنتم ، ولكـن الله حبب إليكـم الإيمان وزينـه في قلوبكـم وكـرّه إليكـم الكفـــر والـفسوق والعصيـان أولـئك هم الـــراشدون ، فضلاً من الله ونعمـــة والله عليم حكيم** ﴾[4].

والمؤمـن يعلـم أن ما يقدمـه من العبـادة ماهـو إلا جزء يسير مما يجب عليـــه تجاه الله عز وجـل وهـو لا يساوي أدنـىٰ نعمـة من الله على الإنسان . قال تعـــالى : ﴿ **وإن تعـدوا نعمـة الله لا تحصوهـا إن الإنسان لظلـوم كفـار** ﴾[5] وقـال أيضاً : ﴿ **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾[6].

وإن شكـر الله هو نعمة لا يقدر عليها أي إنسان ، والعبادة التي يقـوم بها العبد هي نعمة فكيف يوفي العبد حق نِعَمِ الله تعالىٰ .

والعبادات ذات صلة وثيقة بالإيمان ففـي أول سورة البقـرة يقـول تعالـىٰ قارناً

---

(١) سورة النساء ١٠٣ .
(٢) سورة الأنفال ٣٠٢ .
(٣) سورة الزمر ٢٣ .
(٤) سورة الحجرات ٨٠٧ .
(٥) سورة ابراهيم ٣٤ .
(٦) سورة لقمان الآية ٢٠ .

الإيمان بالصلاة والزكاة ، ﴿ **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾(١) .

وللعبادات أثر واضح في نفس المؤمن وفيما يلي بعض تلك الآثار :

أ ــ أثر الصلاة :

١ ــ صلة بين العبد وربه .

٢ ــ وتزكية للنفس وطهارة للروح .

٣ ــ ولها أثر في تعويد الإنسان على برمجة الوقت وحساب الزمن .

٤ ــ وهي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر .

٥ ــ وفيها طهارة معنوية إذ تتساقط الآثام أثناء الوضوء .

٦ ــ والصلاة تبعث الهمة في نفس المصلي .

٧ ــ وفيها طهارة للجوارح أثناء الوضوء (طهارة حسية) .

٨ ــ والصلاة طريق للخلاص من عقدة الذنب . عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ فقال الرجل : أَلِيَ هذا ؟ قال : لجميع أمتي كلهم . متفق عليه(٢) .

فنحن نجد أن هذا الرجل قد تأثر أيما تأثر في تقبيله للمرأة .. وندم غاية الندم حتى لم يستطع إخفاء ذلك ، فجاء فأخبر النبي ﷺ بما فعل ، لعله يدله على شيء يكفِّر به عن ذنبه . فدله الوحي على الصلاة ، فما أحسن الصلاة في علاج عقدة الذنب ، فعقدة الذنب التي يئن الناس منها لا علاج لها غير الصلاة ،

---

(١) سورة البقرة الآيات ١ ــ ٥ .

(٢) رياض الصالحين ٤٣١ .

هذا كله بالنسبة للصلاة المفردة . وأما صلاة الجماعة فلها فضائل أخرىٰ .

١ ـــ فلقاء المسلم بأخيه المسلم يشعرهما معاً بأخوة الإسلام وأنها أقوىٰ من أخوة النسب .

٢ ـــ ويشعر المؤمنون جميعاً بالمساواة بين يدي الخالق عزّ وجل .

٣ ـــ وفي الجماعات ثواب أكثر ورحمات أوسع تتنزل من السماء .

٤ ـــ وفي السير إلى المساجد ثواب لا يناله المؤمن بالقعود في بيته .

٥ ـــ وفي السير الدائم إليها أسوة لغيره من المتقاعسين الذين يصلون في بيوتهم ، أو لا يصلون .

٦ ـــ وفي المساجد يتحقق التعاون والتكافل ، ويلتحم الغني بالفقير والصغير بالكبير .

وهل بعد هذا من فضل .. ففيها تربية للفرد والمجتمع .. وفيها الخير والحق والإيمان .

هذه بعض فوائد الصلاة وأثرها في نفس المؤمن وسلوكه .

ب ـــ أثر الزكاة :

[الزكاة جزء من منهج القرآن في تربية المجتمع ، إنها تطهير للقلوب من أمراض الشح والبخل ، ولن نذهب بعيداً لنبين كيف كانت الزكاة ومازالت من أقوىٰ العناصر في تهذيب السلوك الإنساني فإن اسمها دليل على مايمكن أن تقدمه لوسائل التربية الإلهية من خير ، فالتزكية : هي السمو والرفعة .. سمو في النفس ورفعة عن الشهوات ومن أجل هذا فرضت الزكاة ، قال تعالىٰ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾[1] .

يقول البيضاوي : « وتزكيهم بها : أي تنمي بها حسناتهم وترفعهم إلىٰ منازل المخلصين . والإخلاص أسمىٰ أخلاق النفس البشرية »[2] .

---

(١) سورة التوبة ـــ الآية ١٢٣ .

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور ص ٢٠٤ .

وهذه باختصار آثار الزكاة على الفرد المؤمن والمجتمع المؤمن .

(فهي طهارة للنفس ، حيث إن المال تشح به النفوس ، فالمال قطعة من النفس وجزء من حياة الإنسان بل هو مقدم على فلذات الأكباد ، قال تعالىٰ : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾[1] . ففي إخراجها تطهير للنفس من هذا الحب الذي يطغي ويردي ، ودليل قوة أخلاقية وعظمة نفسية استمدت عظمتها وقوتها من فهمها لوظيفة المال في الحياة ، ومن إيمانها العميق بتعاليم ربها الذي ساق لها الخير[2].

فالمؤمن يعتقد أن المال عارية وأمانة وفتنة فهو لا يشح في انفاقه في سبيل الله .

وما أجمله من منهج .. ما استطاعت ولن تستطيع مناهج البشر أن تصل إلىٰ ماوصل إليه .. لأنه تربية الإله العظيم لمن خلقهم ، وهل بعد أن يحاصر النفس البشرية ويودع فيها دعائم الإيمان بالله وحده ، ويعرفها أن الكون كله ملك له . ثم يكرم الإنسان هذا التكريم ويناديه هذا النداء ويرفعه إلى درجة المقرض لله تعالىٰ والمعطي لربه فيقول : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم** ﴾[3].

هل بعد هذا منهج يمكن أن يقوم سلوك الإنسان فيعتدل به إلىٰ وجهة الحق والخير ، فإذا المنفق في سبيل الله كريم النفس سخي اليد رحيم القلب مطمئن البال واثق أن إعطاءه لله .. والله الذي أعطىٰ من قبل وسوف يزيده في العطاء من بعد ، ومن هنا ندرك كيف كانت الزكاة وسيلة من وسائل تطهير النفس ، وطهارة النفس وتزكيتها أعلىٰ خلق يمكن أن تتخلق به الإنسانية .. وما أحوجها إلىٰ مثل هذه الطهارة وتلك التزكية ، فذلك وحده سبيل سعادتها وإنقاذها من وهدة الشقاء

---

(١) سورة الكهف ٤٦ .
(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٢٠٧ .
(٣) سورة الحديد ١١ .

والحيرة والضلال[1] .

ويمكن أن نلخص أثر الزكاة بما يلي : ـــ

١ ـــ تطهير النفس من الشح .

٢ ـــ تطهير للمال ونماء له .

٣ ـــ وسيلة لرضاء الرب .

٤ ـــ أنجح وأهم وسيلة لتكافل المجتمع وترابطه .

٥ ـــ الزكاة أقوم أسلوب من أساليب مكافحة الفقر .

جـ ـــ أثر الصيام :

الصوم فريضة .. قال تعالىٰ : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[2] .

وللصيام آثار عظيمة في تربية الفرد والمجتمع ونذكر بعضها هنا :

١ ـــ فهو يحرر الإنسان من العبودية لشهواته ويجعله حراً بالمعنى الحقيقي .

٢ ـــ والصوم يعود الإنسان على الإخلاص في أعماله وإنكار الذات وحسن الأخلاق وصدق المعاملة .

٣ ـــ وهو يقوي إرادة الجماهير ويربيها على تحمل العطش والحرمان وهو أمر تتعرض له الأمم وقت الشدائد .

٤ ـــ وهو يغرس روح الإنسانية الأخلاقية في الأمة فيشعر الغني بمأساة الفقير .

٥ ـــ والصوم إصلاح للروح والبدن ، وعبادة تعلم الإنسان الخير ، فيسعىٰ لما فيه الخير لنفسه وجماعته[3] .

من هذه الآثار نجد أن الصوم يعتبر بحق مدرسة كبرى لتربية الفرد والأمة والصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع ص ٢١٤ ـــ ٢١٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

(٣) للمزيد أنظر مجلة حضارة الاسلام ـــ العدد ٩ مقال الدكتور مصطفى السباعي .

يتجـدد كل عام مرة ولمدة شهـر كامـل مما يجعـل هذا الشهـر محفوفاً بالمحبـة عنـــد جماهير المؤمـنين ، فتراهـا تعظـم هذا الشهـر وتقبـل فيـه على الطاعـات وتسارع في الخيرات ، فيغمرهـا الله برحمتـه ، ويحيطهـا بعنايتـه ورعايتـــه ، ويهديها إلى خير دينها ودنياهـا .. مما يؤدي إلى سعـــادة المجتمـــع المؤمـــن وتماسكـــه وسعـــادة الإنسان المؤمن حيثما كان مادام ان المجتمـع الـذي هو فيـه مجتمـع مؤمـن يطبـق شريعـــة الله.

د ــ أثر الحج :

الحج هـو أحـد الأركان الخمسة . والحج [هو رحلـة العمـــر بالنسبـــة للإنسان المسلـم النـائي عن الديـار المقـدسة وهـو التجمـــع العـــام الـــذي يحضره المسلمـون ليتداولـوا فيـه بشكـل جماعـي أوضاع بلادهـم وشؤون شعبهم تحت شعـار المصارحة والنقد الذاتي البناء][1] .

والحج واجب على كل مسلـم عاقـل بالـغ مستطيـع ويشتـرط للمـرأة بالمحرم . قال تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾[2] .

وللحج آثار عظيمة في الإنسان المسلم . ومن هذه الآثار :

١ ــ الحج مغفرة للذنوب وفيه يعود الإنسان نقياً طاهراً من الذنوب ليبـدأ حياتـه من جديد في طاعة الله .

٢ ــ والحج تجرد لله عز وجل .

٣ ــ والحج يعوِّد التضحية .

٤ ــ الحج يعوِّد النفس على المشاق .

٥ ــ والحج يعلِّم التعاون .

٦ ــ والحج يعلم الصبر .

٧ ــ والحج يعلم الإنسان على البذل والإنفاق في سبيل الله .

---

(١) مجلة الوعي الاسلامي ــ العدد ١١٩ من مقال لطه الوالي .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

— وأما بالنسبة للمجتمع المسلم فإن آثار الحج تتلخص فى أنه :

١ — يشعر المؤمنين بالأخوة .

٢ — يشعرهم بالمساواة .

٣ — يشعرهم بالتكافل والتناصح .

٤ — يشعرهم بأنهم أمة واحدة .

٥ — يشعرهم بالقوة .

٦ — يشعرهم بعالمية الإسلام .

وهناك فوائد أخرىٰ للحج فثياب الإحرام تشبه الكفن الذي يخرج الإنسان به من الحياة الدنيا . وثياب الإحرام تعوِّد الإنسان على التقشف . وزحمة الحج تشبه زحمة يوم القيامة . وللغزالي رحمه الله تحليلات جيدة في هذا الموضوع ذكرها في الأحياء[(١)] .

من كل ما سبق نجد أن الحج تربية للفرد وللأمة ، وتشمل فوائد هذه التربية الدنيا والآخرة .

تلك أهم الأعمال الدينية وهناك أمور أخرى كثيرة لامجال لذكرها[(٢)] وإنما اكتفينا بالأركان الأساسية وأضفنا الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما لهما من صلة وثيقة بالفرد والمجتمع والأمة الاسلامية .

أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد قرنه الله تعالى بالايمان فقال :
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[(٣)]

وقال عليه الصلاة والسلام يحث على تغيير المنكرات :
« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع

---

(١) أنظر احياء علوم الدين ١/٢٧٣ ومابعدها — طبعة المكتبة التجارية الكبرى .

(٢) هنالك مثلا النوافل والسنن وهنالك العلم والمطالعة . وهنالك الحث على تكوين الأسرة المؤمنة التي يلتزم أفرادها بالإيمان وقضاياه . وقد نعرض لبعض هذه الأمور في تتمة البحث .

(٣) سورة آل عمران — الآية ١١٠ .

فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم[1] .

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوائد جمة تعود على الفرد والمجتمع ، فبالنسبة للفرد :

١ ـــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبصِّره بطريق الخير من الشر .

٢ ـــ ويذكره بالله وعقابه وثوابه .

٣ ـــ ويحفظ الفرد من الإنزلاق .

٤ ـــ ويحفظ الفرد من أذىٰ غيره .

٥ ـــ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضروري لسلامة إيمان المؤمن .

أما بالنسبة للأمة :

١ ـــ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظها من الشهوات والسقوط في الرذيلة .

٢ ـــ يحفظ الأمة من تسلط الأشرار عليها .

٣ ـــ وفيه حفظ لأعراض الناس وأرواحهم وأملاكهم .

٤ ـــ وفيه يتحقق تكافل الأمة .

٥ ـــ وفيه فتح أبواب الخير للأمة كي تسير فيه .

تلك بعض مزايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأما الجهاد : فله آثار إيجابية على الفرد والمجتمع :

فعلى الفرد :

١ ـــ الجهاد يزرع فيه الصبر والثقة والقوة والإعتزاز بالله وجميع القيم العليا .

٢ ـــ والجهاد يجعله يستعلي عن الدنيا .

٣ ـــ والجهاد طريق إلى الجنة . وطريق إلى النصر على أعداء الله .

وبالنسبة للأمة :

١ ـــ فالجهاد يحقق تلاحم الأمة أمام أعدائها .

---

(١) رياض الصالحين ـــ ص ١٠١ ـــ ١٠٢

٢ ــ والجهاد يحفظ الأمة من الذل والمهانة .

٣ ــ والجهاد يدفع الأمة للإعداد والقوة .

٤ ــ والجهاد يجعل الأمة ذات مهابة أمام خصومها .

٥ ــ والجهاد أفضل وسيلة لإيصال دعوة الله للناس .

٦ ــ والجهاد أقوىٰ وسيلة لقهر الطواغيت .

وقد حدد القرآن أثر الجهاد في الأمة المسلمة في آيات كثيرة منها هاتان الآيتان : الأولى قوله تعالى : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قومٍ مؤمنين** ﴾[1] .

والثانية قوله تعالى : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرىٰ تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ﴾[2] .

وهكذا نجد أن الجهاد فريضة لابد منها لحماية المجتمع المؤمن أولا ولنشر دين الله ثانيا ، وتفرضه نصوص الكتاب والسنة فلا مجال لتعطيله أو استبداله .

إن قيمة أي عقيدة في الدفاع عنها ، فالانسان الذي لا يدافع عن عقيدته هو إنسان فاشل ، ولو أن العقيدة تغلغلت في نفسه لدافع عنها، فالمؤمن كلما ازداد إيماناً إزداد جهاداً وتضحية ودفاعاً عن دينه ، حتى إذا احتدمت الحرب مع أعداء الاسلام كان في مقدمة الصفوف كي يجود بنفسه لله تعالى . ولو نظرنا إلى جيل الصحابة وجدناهم أكثر الناس شجاعة ومحبة للجهاد وما ذاك إلا لأنهم أكثر الناس إيماناً وأفضلهم ثقة ومحبة لله عز وجل أما التثاقل عن الجهاد فهو علامة ضعف وعجز في إيمان صاحبه .

---

(١) سورة التوبة ــ الآية ١٤ .

(٢) سورة الصف : ١٠ ــ ١٣ .

وربما مات من لم يفكر بالجهاد على الجاهلية .. ومـاذاك إلا لأن الجهـاد هو ذروة سنام هذا الدين فإذا ماتركه الناس فإن الله تعالى يسلط عليهم أعداءهم عقاباً لهم على ترك هذه الفريضة العظيمة ، إن الواجب على أمة الاسلام أن تأخذ بأسباب القوة وأن تبتعد عن الضعف والركون إلى الحياة الدنيا ، وماذاك إلا لأن ثغور المسلمين محاصرة بل سقط بعضها في أيدي أعداء الدين بسبب تفريط معظم المسلمين بفريضة الجهاد ، وتقاعسهم عن نصرة دين الله عز وجل .

أما المعاملات وطرق الكسب الحلال فقد وضع الإيمان بصماته عليها، فالمؤمن مطالب بالبحث عن لقمة العيش .. اللقمة التي يسد بها رمقه ورمق من يعيله يأخذها من مكان نظيف بجهد نظيف ويصرفها بطريق نظيف أيضاً .. وهذا من الطاعات .. وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت** »[1] رواه أبوداود .

وقال عليه الصلاة والسلام : [**دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**][2] رواه مسلم .

والمؤمن مطالب بالرياضة والرمي والصحة :

فقد نهاه الإسلام عن كل المحرمات التي تضر بجسمه وعقله مثل لحم الخنزير والخمر ، كما أمره بالطهارة والنظافة ، وحضه على السواك وغسل اليدين قبل الطعام ، ودعاه لأكل العسل لأن فيه شفاء للناس ، واهتم بالصحة والقوة والتدريب ، ودعا المؤمنين إلى ذلك ، فقد خرج النبي ﷺ على نفر يتنضلون بالسوق فقال : ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا[3] . ودعاه إلى الأكل من الطيبات المغذية دون إسراف ، وبالجملة فإن المؤمن إذا اتبع تعاليم دينه سيكون صحيح الجسم ، قوي البنية ، وهذا من أهداف الإيمان .

---

(١) رياض الصالحين ص ١٤٨ .

(٢) رياض الصالحين ١٤٦ ـــ ١٤٧ .

(٣) رواه الشيخان أنظر جند الله ثقافة وأخلاقا لسعيد حوى ص ٣١٨ .

والمؤمن مطالب بإعطاء حق الوالدين ورعايتهما :

ومن هذه الحقوق : ـ

١ ـ الطاعة في غير معصية .

٢ ـ الإنفاق عليهما .

٣ ـ خدمتهما وإحسان صحبتهما .

٤ ـ الدعاء لهما .

٥ ـ تكريم أصدقائهما .

٦ ـ ألا يرفع صوته فوقهما .

ومن الملاحظ أن رعاية الولد لأبويه ظاهرة شبه مفقودة في المجتمعات، اللادينية ، بل إن الولد ليتضجر من أبويه وينفر منهما في الغرب ، على العكس تماماً مما يحدث عند المسلمين ، حيث يزداد احترام الوالدين كلما كبرا في السن والسبب في ذلك هو الإيمان الذي يهز قلب المسلم ، بينما قلوب الكفرة والملاحدة خاوية من هذا الإيمان ، فهي خربة لا خير فيها .

والمؤمن مطالب بحق الجاره :

للجار حقوق كثيرة ذكرها العلماء المسلمون رضي الله عنهم وكتب الفقه مليئة بهذا الموضوع وكذلك كتب الحديث وغيرها ، من هذه الحقوق أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ، ويعوده في المرض ، ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ويهنئه في الفرح ، ويظهر الشركة في السرور معه ، ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته[1] .

وإذا أمعنا النظر في حقوق الجار تبين لنا عظمة الإيمان وقدرته على إيجاد جو جماعي متعاون يكفل لكل أفراده السعادة والهناء .. وحين ينسلخ الإيمان عند الناس ، يصبح الجار عدواً للجار وتتحول البيوت من مكان للراحة إلى مكان للعذاب .

---

(١) إحياء علوم الدين ٦/١٠٢٣ .

والمؤمن مطالب بإعطاء حقوق زوجته :

مثل المهر والمسكن الشرعي ، والنفقة عليها وعلى أولادها ، والعدل في المعاملة وتعليمها أركان دينها ، وأن يغض عن بعض أخطائها وألا يطلقها دفعة واحدة بل يطلقها إذا اضطر في طهر لم يطأها فيه ، وأن تكون لها حرية التصرف في أموالها .

إن أداء هذه الحقوق علامة على إيمان المؤمن ، فالمؤمن الأمثل تكون زوجته في أسعد حالاتها النفسية والشعورية على الإطلاق .

والمؤمن مطالب برعاية حقوق أبنائه وأسرته :

فللزوجة حق يجب أن يؤدىٰ ، وكذلك للأبناء حقوق يجب أن تؤدىٰ ، والرجل المؤمن يكون كالظل لأبنائه وزوجته .. يأوون إليه ليجدوا في كنفه الراحة والأمان والهناء . إن غير المؤمن كثيراً ماتكون حياته الخاصة ضمن الأسرة جحيماً، وكثيراً ماينظر بعين السخط إلى القدر والزوجة والأولاد والدنيا ، بينما المؤمن يسلك أحسن سلوك مع أهله وأولاده لعلمه أنه مسؤول عنهم أمام الله وأن له برعايتهم أحسن الثواب .

والمؤمن مطالب برعاية حقوق المجتمع :

كل مؤمن مسؤول عن مجتمعه وكل مجتمع مسؤول عن أفراده . فالإيمان ليس مثولاً في المحراب فقط وإنما هو حمل الحراب أيضاً ، والإيمان ليس بين العبد وربه فقط ، ولكنه بين الإنسان ومجتمعه أيضاً .

والمؤمن الحق يرفض الإضرار بمصلحة المجتمع كما يرفض أن يسكت عما يضر بمصلحة المجتمع . والمؤمن الحق يسارع في بذل مالديه كي يساعد الآخرين .. فلا ينام شبعان وجاره جائع ، ولا يستغل ثقة الناس به لمصالحه الخاصة ، ولا يسلك سبيل الفساد في الأرض .

إن هدف المؤمن في حركته الإجتماعية تحقيق عبودية الله عز وجل بينما

هدف غير المؤمن في حركته الإجتماعية هو تحقيق أكبر قدر من المكاسب الشخصية بأية طريقة ممكنة .. وشتان بين المؤمن وغير المؤمن في المجتمع .. فالأول يبني ويقدم والثاني يهدم ويبلع ، والسبب في ذلك أن الثاني لا يحمل شعلة الإيمان .. بل ربما نظر إلى المؤمنين على أنهم مغفلون وأنه هو(الفهلوي).. ولكن هيهات أن يكون غير المؤمن إلا غبياً فمهما أصاب من حطام الدنيا فهو ضئيل جداً بجانب نعمة الإيمان .. وهذا الحطام تافه جداً عندما يحاسب عليه غداً بين يدي الديان سبحانه وتعالى .

* * *

(٤)ـ غاية المؤمن :

المؤمن يعتقد أنه خلق للعبادة بل إن الثقلين خلقا للعبادة .

قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾[١] .

فغاية المؤمن في الوجود هي عبادة الله وحده ، وإقامة شريعته والإحتكام إليها ، قال تعالىٰ : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾[٢] وقال أيضاً : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾[٣] .

هذه غاية المؤمن باختصار .

إن المؤمن يأبىٰ أن يكون كباقي الناس همه المأكل والمسكن والجنس فقط فهذه هي أهداف الحيوان جميعاً .

والكفار ليسوا أحسن حالا من الحيوانات إن لم يكونوا أسوأ منها حينما يحصرون اهتمامهم بهذه الأشياء الثلاثة وما لحقها . قال تعالى واصفاً حالة الكفار

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) سورة الحج ٤١ .

(٣) سورة النساء ٦٥ .

في حياتهم : ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىٰ لهم** ﴾[1] .

إن الكافر أو المتردد لا يرىٰ غير الحياة الدنيا هدفاً وموئلا وغاية . وأما المؤمن فإن هدفه الأول الآخرة ويتزود من الدنيا بما يوصله إلى الآخرة ، وهيهات أن تشغله الفانية عن الباقية ودار الزوال عن دار الخلود ، قال تعالى : ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولىٰ** ﴾[2]. وقال أيضاً : ﴿ **وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾[3] . فنجد أن الأمر الإلهي في الآية توجه إلى الآخرة أولاً وبعد ذلك إلىٰ الدنيا .

وهاهنا فارق ضخم بين المؤمن وغير المؤمن :

الملحد أو الفاجر أو غير المؤمن يبحث عن اللذة أينما كانت وحيثما وجدت ، ويبادر إليها في شبابه قبل هرمه وفي صحته قبل سقمه .. ولا بأس هنا بالاستشهاد ببعض الشعر في هذا الموضوع لنعرف من خلال أقوالهم إلى أي درجة من التخلف وصل هؤلاء ، نعم إنهم متخلفون عقلياً ونفسياً وخلقياً ودينياً .. إنهم عباد الشهوة .. الشهوة فقط أياً كان مصدرها .. وحيثما كانت ، وفيما يلي بعض النماذج من هذا الإنحراف :

يقول أبو نواس :

فدع الملام فقد أطعت غوايتي	ونبذت موعظتي وراء جداري
ورأيت إيثار اللذاذة والهوىٰ	وتمتعاً من طيب هذي الدار
أحرىٰ وأحزم من تنظر آجل	ظني به رجم من الأخبار
إني بعاجل ما ترين موكل	وسواه إرجاف من الآثار
ماجاءنا أحد يخبر أنه	في جنة مذ مات أو في نار[4]

(١) سورة محمد ١٢ .

(٢) سورة الضحى ٤

(٣) سورة القصص ٧٧ .

(٤) الأبيات من كتاب قضايا النقد الأدبي لـ بدوي طبانة ص ١٢٧ نقلاً عن الوساطة ص ٦٢ .

هذا هو الإتجاه العام للشعراء اللادينيين .. غرق في الشهوة يدفعهم بعد ذلك إلى إنكار النبوة والدين حتى يتخلصوا من عذاب الضمير .

ويقول إيليا أبو ماضي :

جئت لأعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي
لست أدري
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود
أتمنى أنني أدري ولكن لست أدري[1]

ويقول عن الله :

قال لي ابني وهو حيران بما يحكي ويقرا
كيف كان الله ؟ إني قد وجدت الله سرا
أسمع الناس يقولون به خيراً وشراً
فأفدني :
قلت : يا ابني أنا مثل الناس طرا
لي في الصحة آراء وفي العلة أخرى
كلما زحزحت سترا خلتني أسدل سترا
لست أدرى منك بالأمر ولاغيري أدرى[2]

ونحسُّ بالضياع عند الخيام الذي يقول :

لبست ثوب العيش لم أستشر وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم أدرك لماذا جئت أين المفر[3]

* * *

(١) ديوان إيليا أبو ماضي ص ١٩١ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ .

(٣) رباعيات الخيام ترجمة أحمد رامي ص ٤٠ .

لا تشغـل البـال بماضي الزمـان ولا بآتي العـيش قبـل الأوان
واغنـم من الحاضـر لذاتـه فليس في طبـع الليـالي الأمـان

* * *

أين النديـم السـمح أين الصبـوح فقـد أمضَّ الهـم قلبـي الجريـح
ثلاثـة هن أحـب المنـى كـأس وأنغام ووجه صبيـح[١] .

* * *

وذروة الضيـاع نحسه عنـد الشاعـر نحسه عنـد الشاعـر نزار قبـاني ، يقـول في إحدىٰ قصائده :

لا تسألي : من أين جئت ، وكيف جئت، وماأريد
تلك السؤالات السخيفة مالـديَّ لهـا ورود

ويقول في قصيدة أخرى :

أهـواك وأجهـل ماذا كنت
ومن سأكون
وأين أصير
أهـواك إلـىٰ حـد التدميـر
وأسـير إليـك كما البـوذي
إلى أعمـاق النـار يسـير
إقتربي مني .
ولنكسـر آلاف الأشـيـاء
فلا تعمـير بـلا تكسـير
من جسـمـك تنطلـق الغـزوات
ومنـه سيبتـدىء التحـريـر[٢]

ولست أدري أي تحرير يبتـدىء من جسم المرأة ونحن نجد أن شعـوب الإسلام كلما ابتعدت عن دينها تزداد أمراضاً وغزواً وعنفاً ، أليست كلمات نزار

(١) المصدر السابق ص ٦١ .
(٢) اشعار خارجة على القانون ، ص ٤٣ ــ ٤٧ .

قباني كلمات جوفاء تافهة لا قيمة لها ، لا أعتقد أن مثل هذا الكلام الفارغ ينطلي على الرجل العاقل الملتزم بدينه ، ولكن المفزع أن تنطلق وراء هذه الأشعار التي تشبه المخدر، آلاف من شباب المسلمين — هداهم الله — ويتركون قضايا الإسلام وراء ظهورهم ، على أية حال فإن المفتون تكون الدنيا جنته .. فليفرح بها ، فلا خير بالزائل وإنما الكلام على الباقية وهذا ما يتركز عليه إيمان المؤمن وغايته .. فهو يسير وحده ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يبالي أي محنة في سبيل الله .. ويستعلي على الجاهلية وشهواتها .. إن الناس كلهم يموتون أما هو فيستشهد ، ويأبى أن يشنق في حبال الجنس أو أن يعيش في زنزانة الجنس المؤبد التي يموت فيها نزار قباني ومن هم على شاكلة نزار قباني من عبَّاد الشهوات والملذات والحسيات أو من عبَّاد الدنيا .

إن المؤمن له غاية أخرى .. ولن تكون غايته في جسده فقط وإرواء غرائزه .. وإشباع حبه .. وإملاء جيبه .. بأية طريقة كانت .. إنما للمؤمن غاية أخرى تختلف عن غاية هؤلاء الضائعين الممزقين وراء الجنس واللهو والشهوات .

غاية المؤمن تشمل الكون كله . قال عمر بهاء الأميري :

قلبي وهم الكون في خفقاته
نادى وما في كونه من يسمع
والصدر ضج الليل من لهثاته
وشهيق صدري والزفير تضرع
والروح منْ للروح في أزماته
أضناه أن العمر قفر بلقع
إني فتى الصبر من عاداته
لكن صبري في الهوى لا ينفع
فاكشف لمضنى القلب مُرَّ أذاته
يامَنْ إليك المشتكى والمفزع[1]

---

(١) نشيدنا ، ص ٧٧ .

والمؤمن إنسان لا تهزه الصعاب، قال الشاعر :

والناس تصرخ احجم والوغىٰ نشبت والله يهتف بي أقدم ولا تخف
ماضٍ ولو كنت وحدىٰ والدنىٰ هتفت بي قف لسرت فلم أبطىء ولم أقف

ويتضح الثبات ــ عند كثير من شعراء الدعوة الإسلامية مثل إقبال وسيد قطب ويوسف العظم ووليد الأعظمي ومحمد الحسناوي وغيرهم .. ونقتطف هنا بعض أبياتهم :

فعن استعلاء المؤمن قال أحدهم :

لا أزدهي بثباتي أنني رجل قربي من الله أغناني عن الناس

وعن طريق المجد لهذه الأمة قال أحدهم :

من جانب المحراب يبد أسيرنا للمجد لا من ظلمة الماخور

وعن غاية المؤمن في الحياة قال أحدهم :

سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي وأموت مبتسماً ليحيا ديني

وعن تخبط هذه الأمة بين الشرق والغرب يقول الشاعر المؤمن وليد الأعظمي مبينا لها الدواء :

لا رأسمال الغرب ينفعنا ولا فوضىٰ شيوعي سخيف أبلد
وسطاً نعيش كما يريد إلهنا لا نستعير مبادئاً لا نجتدي
قرآن رب محمد هو عزنا ونظامنا الداعي لعيش أرغد
الناس فيه على السواء جميعهم لا فضل فيه لأبيض أو أسود
إلا بتقوى الله وهي كرامة للناس لم تحصر ولم تتحدد
ما حيلة الأنوار شع سناؤها إن لم تر الأنوار عين الأرمد.(١)

إن المؤمن ليستشعر اخوة الكائنات جميعاً .. فكلها تسبح معه الله .. والمؤمن راضٍ بما أصابه .. ويسعىٰ لنشر الهدىٰ والنور في الأرض ، والمؤمن في النهاية يحقق لنفسه حاجاتها المادية بحدود الشرع .. ولا تستعبده امرأة بجمالها

(١) الزوابع ص ٥٦ .

فينسى الوجود وينسى ربه وينسى نفسه ويموت في عبوديته لها كغيره من الناس .. شتان بين سلوكين وغايتين .

وحتى حينما يتطوع المؤمن للدعوة لا يطلب ثواباً من أحد .. فأجره على الله أولاً وآخراً ..

وشتان شتان بين المؤمن وغير المؤمن ..

ويمكن أن نلخص غاية المؤمن بما يلي :

١ ــ المؤمن يسعى لإرضاء ربه أولاً وآخراً .

٢ ــ الآخرة هي الهدف الأسمى للمؤمن .

٣ ــ الدنيا ليست هدفاً للمؤمن وإنما وسيلة للآخرة .

٤ ــ المؤمن يحرص على التخلق بأخلاق الإسلام .

٥ ــ المؤمن يحرص على نشر الرسالة .

٦ ــ المؤمن يهدف إلى تكوين البيت المؤمن والجيل المؤمن والذرية المؤمنة .

٧ ــ المؤمن يسعى لأن يكون شرع الله يحكم المجتمع .

٨ ــ المؤمن يسعى لتحطيم الحواجز التي تقف في وجه الدعوة .

٩ ــ المؤمن يتصدى للطواغيت في الأرض .. وهذا من أفضل الجهاد .

١٠ ــ المؤمن يسعى لخير الناس في دنياهم وآخرتهم .

وتنعكس غاية المؤمن على غاية المجتمع المؤمن الذي يسعى :

١ ــ لتحكيم شريعة الله ونشر العدل بين الناس .

٢ ــ تحقيق الكفاية لكل مواطن .

٣ ــ تحقيق الأمن والسلام لكل من يعيش فيه .

٤ ــ الأخذ بأسباب القوة والإستعداد لمواجهة أي اعتداء خارجي على المجتمع المؤمن .

إن كل هذه الأهداف الخيرة ليست إلا أثراً من آثار الإيمان الذي يستطيع أن يمحو الهزيمة .. ويغسل العار ويجعل هذه الأمة أسمى الأمم وأقواها وأعظمها .. لو عدنا إليه من جديد .

(٥)ـــ خلق المؤمن :

المؤمن أكمل الناس خلقاً ، وأعلاهم إحساساً ، وأكثرهم ذوقاً ولباقة وأولهم في الحكمة ، وأقدرهم علىٰ الريادة .

وحينما نقول هذا الكلام نقصد المؤمن الملتزم الواعي للإسلام وأهدافه ، الفاهم لواقعه ومستقبله ، والحريص على إرضاء خالقه أولاً وأخيراً ، والذي يكسر شهوته ولا يقترف فاحشة ، ويذوب من خشية لله .. هذا هو المؤمن الذي نتحدث عنه في هذا البحث .. أما المنتسب للإيمان وليس الإيمان عنده إلا ألفاظاً يرددها ، وليس لإيمانه بعمله تأثير ولا بأخلاقه صلة .. مثل هذا المؤمن الشكلي الذي آمن لمجرد أنه ولد من أبوين مسلمين ، ثم لم يلتزم بالإسلام واقعاً وسلوكاً ، ولم يعش بالإسلام سلوكاً وفكراً وطموحاً ، أمثال هذه الأنماط لا ينطبق عليهم مافي هذا البحث من نعوت جميلة لانجدها إلا في جند الله الذين قال الله فيهم : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا هم الغالبون** ﴾[1] .

إن المؤمن الذي لا يلتزم بالإسلام يضر نفسه أولاً ثم مجتمعه ، ثم يضر غير المسلمين حين يرونه لا يطبق تعاليم دينه ، فلا يقبلون على تعلم الإسلام والدخول فيه ، بل قد يكون سلوك نفر من هؤلاء يسيء إلىٰ سمعة المسلمين ، وإن كان سلوك المسلم ليس حجة على الإسلام وإنما الإسلام حجة على الجميع .

ونعود لنتحدث عن خلق المؤمن باختصار شديد . ونقوم بعرض بعض ماجاء في كتاب خلق المسلم للأستاذ المربي محمد الغزالي إذ يقول : [لقد حدد رسول الإسلام الغاية الأولى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته بقوله : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »[2] .

---

(١) سورة الصافات ١٧١ ــ ١٧٢ ــ ١٧٣

(٢) خلق المسلم لمحمد الغزالي ص ٧ .

ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان :

« الإيمان قوة عاصمة من الدنايا دافعة إلىٰ المكرمات ، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلىٰ خير أو ينفرهم من شر ، يجعل ذلك بمقتضىٰ الإيمان المستقر في قلوبهم وما أكثر مايقول في كتابه : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا** ﴾ ثم يذكر — بعد — مايكلفهم به ﴿ ... **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1] مثلا .

وقد وضح صاحب الرسالة أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً ، وأن انهيار الأخلاق مرده إلىٰ ضعف الإيمان ، أو فقدانه بحسب تفاقم الشر أو تفاهته .

فالرجل الصفيق الوجه ، المعوج السلوك ، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد يقول رسول الإسلام في وصف حاله : (الحياء والإيمان قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) رواه الحاكم والطبراني[2].

ويتحدث الغزالي عن دور القدوة ، وعن الحدود وأثرها في حفظ الأخلاق ، ثم يتكلم عن أهم صفات المؤمن فيتحدث عن : [الصدق — الأمانة — الوفاء — الإخلاص — أدب الحديث — سلامة الصدور من الأحقاد — القوة — الحلم والصفح — الجود والكرم — الصبر — القصد والعفاف — النظافة والتجميل والصحة — والحياء — الإخاء — الإتحاد — اختيار الأصدقاء — العزة — الرحمة — العلم والعقل — الإنتفاع بالوقت والإتعاظ بالزمن] .

وواضح أن جميع النقاط التي ذكرها محمد الغزالي لها رصيد هائل في القرآن والسنة وحياة سلف الأمة والعلماء العاملين والقادة الفاتحين ولو لا خشية التطويل لبسطناها جميعاً — بل هناك نقاط كثيرة يمكن استخراجها من القرآن والسنة مثل :

---

(١) سورة التوبة ١١٩ .

(٢) خلق المسلم ص ١٠ .

١ ــ التواضع
٢ ــ الزهــــد
٣ ــ الدعاء للآخرين بظهر الغيب
٤ ــ آداب الزيـــارة
٥ ــ آداب الزفـــاف
٦ ــ آداب تلاوة القرآن
٧ ــ آداب التلميذ والمعلم
٨ ــ آداب المسجد
٩ ــ آداب المأكل والمشرب .
١٠ ــ حقوق الجار
١١ ــ طاعة الوالدين .
١٢ ــ اجتناب الكبائر(١) .
١٣ ــ الحجــــاب
١٤ ــ العمــــل .
١٥ ــ حفظ اللســـان
١٦ ــ الفروســـيـــة
١٧ ــ عدم تشبه الرجال بالنساء أو بالعكس

ويدخل عندي كتاب الأذكار للإمام النووي كله في خلق المسلم ، بل يدخل معنا أغلب الآيات والأحاديث النبوية إذ لها صلة مباشرة بالأخلاق والآيات التي تحدثت في الإقتصاد مثل آيات الربا ، أو آيات الأحكام وغيرهـــا هي في النهاية ذات صلة وثيقة بالأخلاق .

إذاً فالدين كله قائم على أسس أخلاقية ، ولا أرىٰ داعياً للتفصيـــلات في الجانب الأخلاقي كي لا يطول بنا البحث ويكفي أن أشير لبعض الكتب التي تناولت موقف الإسلام من الأخلاق ، مثل :

١ ــ دستور الأخلاق في القرآن الكريم د. محمد عبد الله دراز .
٢ ــ جند الله ثقافة وأخلاقاً . سعيد حوىٰ .
٣ ــ الأخلاق الإسلامية وأسسها . عبد الرحمن الميداني .

ويبقى أن أشير إلىٰ خلاصة هذا الموضوع في النقاط التالية :

١ ــ الأخلاق وثيقة الصلة بالإيمان .

---

(١) للإمام الذهبي كتاب (الكبائر) جمع فيه سبعين كبيرة تقريباً ، واجتناب الكبائر أمر أخلاقي . له أعظم الآثار الطيبة على الفرد والمجتمع .

٢ ــ الأخلاق تشمل جميع تصرفات الإنسان في الحياة .
٣ ــ الأخلاق ثابتة شرعاً وعقلاً .
٤ ــ الأخلاق لا تتطور بمعنىٰ أن القبيح لن يصبح حسنا وبالعكس .
٥ ــ الأخلاق صفة وثيقة بالإنسان المسلم .
٦ ــ الأخلاق طريق إلى الجنة .

والسؤال : ماهو مقياس الأخلاق ؟

والجواب : أن المقياس هو الإسلام ، فما وافق الكتاب والسنة فهو خلق قويم ، وما خالفهما فهو ذميم . أو ما شعرت أنه يرضي الله تعالىٰ ثم يرضي الناس فهو خلق جيد ، وما شعرت أنه يسخط الله تعالىٰ ثم يسخط الناس فهو خلق ذميم وماشعرت أنه يرضى الناس ولا يرضى الله فهو خلق ذميم وإذا وصل المؤمن إلى هذه الدرجة فيكون أسعد الناس .

إن الأخلاق أولاً وأخيراً لمصلحة الإنسان ومصلحة المجتمع . وتحطيم الأخلاق هو تحطيم لمصلحة الإنسان وتحطيم لمصلحة المجتمع ، ألا يكفي هذا مبرراً للتمسك بها ..

وقبل أن نختم المبحث عن الأخلاق ، نتحدث عن الضمير وهو صفة من صفات المؤمن وهذه الصفة ملتصقة بالأخلاق ، وهي صفة خاصة بالمؤمن ونادراً ماتجدها في غيره ، ثم نتحدث عن مشكلة أخلاقية مهمة وهي الغضب ، ونقدم علاجها على ضوء الإسلام ، ثم نتحدث عن مشكلة الحب وعلاجها لأهميتها عند الشباب ، وذلك باختصار شديد ونبدأ بالضمير .

المؤمن يبقى بشراً ، مهما ارتقى في العبادة والطاعة .. هل يخطىء .. نعم .. إلا أن الفرق بينه وبين الكافر واضح في ناحية السلوك كما هو واضح في العقيدة .

فالمؤمن إذا ما أخطأ بحق دينه أو نفسه ، سرعان ما يرجع ويستغفر ويتوب ويعيش ساعات من الحزن حتىٰ يحس بعفو الله ينزل على قلبه .

والكافر والفاجر يعصيان الله ويستلذان بالمعصية ويتباريان في معصية الله عز وجل . وهذا هو الفرق بين المؤمن وغيره .

وهناك فرق آخر حيث إن المؤمن إذا ما أخطأ بحق الآخرين اعتذر اليهم بينما الكافر يهضم حقوق الآخرين بأية وسيلة ولو بتوظيف محام يدافع عنه بالباطل كما يحدث في بعض الدول . ودليلنا على أن الخطأ ربما يقع من المؤمن هو قوله تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون** ﴾[1] .

وعن الضمير يقول الأستاذ العقاد : [إن الصلة بين عالم النفس والدين الإسلامي أن دراسات العلماء تجمع الأدواء النفسية كلها في داء واحد هو داء (الضمير المدخول) أو الضمير المنقسم على نفسه ، وأنها تجمع الطب النفساني كله في دواء واحد ، هو دواء اليقين والإيمان ، وذلك دواء عند الدين وليس منه عند العلم غير القليل[2] .

هذا الضمير الحي هو من دعائم الشخصية المسلمة ، يلازمها من المهد إلى اللحد ، وهو لا يتقلص حتى ينعدم كما هو الحال عند الملاحدة ، ولا يزيد عن حده الطبيعي فيصبح عقدة في نفس الإنسان كما هو حال المعذبين نفسياً ، إنما هو شيء موزون في قلب الإنسان وروحه يرده إلى الحق لو أخطأ حيث ﴿ **إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾[3] .

إن الضمير من أهم مزايا الإنسان المؤمن . وقد تحدث الأستاذ يوسف القرضاوي كثيراً عن الضمير وأثره في حياة المؤمن ، فتكلم عن الضمير الديني وأثره في أداء الحقوق المالية ، وعن الضمير الديني وأثره في الإعتراف بالجريمة وتحمل العقوبة ، وعن الضمير الديني وأثره في رعاية القوانين والأمانات ، وعن

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٥ .

(٢) مايقال عن الإسلام للعقاد ص ٦٤ .

(٣) سورة الزمر — الآية ٥٣ .

الضمير الديني وأثره في السياسة والحكم ، وعن الضمير الديني وأثره في التجارة والمعاملة ، وعن الضمير الديني وأثره في المواساة والإيثار [1]

وحاول الأستاذ القرضاوي استجلاء وتوضيح أثر الإيمان من خلال ذلك كله ، ولولا خشية التطويل لنقلنا شيئاً مما قاله .. علماً أن أغلب القصص التي ذكرها معروفة مشهورة فقد اكتفيت بالتنويه بما ذكره هنا من باب الإحاطة والإشارة .

وأما الغضب فإنه مرض هذا العصر بشكل خاص ، وهو يتصل مباشرة بالإضطرابات النفسية والإجتماعية .. والمؤمن لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله .

وعلاج الغضب أن يذكر الإنسان ربه ويتوضأ ، ويصلي ولا يتكلم خلال الغضب بكلام بذيء ، ويضبط أعصابه ويتذكر صبر الأنبياء عليهم السلام ، ففي هذا علاج لمشكلة الغضب .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** » متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » متفق عليه[3].

وقد بالغ العلم الحديث في الكلام عن أضرار الغضب ، جاء في أحد الكتب المتخصصة (إن الغضب بتأثيره على جسم الإنسان وأعضائه يقصر عمره ، ويختلف هذا التأثير من شخص إلى آخر ولذلك نجد من يموت بأحد أمراض الغضب وهو في سن الخمسين .. ونجد من يعيش بعد المائة وهو في صحة جيدة وبعد سن المائة والعشرين .

(١) الإيمان والحياة ص ٢٣٤ — ٢٤٤ .

(٢) رياض الصالحين ٢٩٤ .

(٣) رياض الصالحين ٢٩٤ .

والإختلاف هنا بين الإثنين في شيء واحد ، مدى تأثير الغضب على الإنسان[1] .

وقال الأستاذ علي القاضي : [إن اليأس والغضب يؤديان إلىٰ ارتفاع الأدارلين والتروكسين في الدم بنسبة كبيرة ، وإذا استسلم الإنسان لدوافع الغضب واليأس أصبح فريسة سهلة لقرحة المعدة والسكر وتقلص القولون وأمراض الغدد الدرقية والذبحة وهي أمراض لاعلاج لها إلا المحبة والتفاؤل والتسامح لأنها في حقيقتها أمراض نفسية[2]].

وعلىٰ أية حال نقرر مما سبق أن الإيمان هو الحل الوحيد لمشكلة الغضب والإنفعال ، ويكفي هذا الأثر الطيب من ضمن آلاف الآثار الطيبة للإيمان كي نتمسك به ونذافع عنه ونستشهد في سبيله . إن مفتاح الدارين (الدنيا والآخرة) هو الإيمان ، ولا سبيل للوصول من دونه إلىٰ أي خير ، وستبقىٰ الإنسانية معذبة ضائعة مالم ترجع إلىٰ ربها وبارئها عز وجل .

وأما الحب فهو مشكلة الشباب اليوم .. بل في كل عصر .. وقد ألّف فيه علماؤنا كتباً كثيرةً مثل (روضة المحبين) و (طوق الحمامة) و (أخبار النساء) وغيرها .. والحب فطرة في الإنسان .. يمتد نحو كل شيء جميل في الحياة .. ومن ذلك المرأة .. والإسلام اعترف بالغريزة ولم يسحقها كما فعلت النصرانية .. فدواء الحب بعد وقوعه الزواج[3] ، بأن يبحث الشاب عن الطريق الصحيح الذي يوصله إلىٰ الفتاة التي تناسبه بالطريق الشرعي ، فإن لم يتيسر له ذلك فلا داعي للقلق والحزن فالنساء كثير ، ومافعله مجنون ليلى لا ينبغي أن يفعله شبابنا ، فيعرض واحدهم عن الزواج من أجل واحدة حسناء لم يكن هناك نصيب في الزواج منها ..

---

(١) الأمراض النفسية والعصبية ص ١٢٥ .

(٢) مجلة البلاغ العدد ٥٧٤ من مقال (الأمراض النفسية وعلاجها على ضوء الإسلام) .

(٣) انظر الطب النبوي ص ٣٠٠ تحقيق د. السيد الجميلي .
نشر دار الكتاب العربي لبنان .

وأما قبل الزواج فعلى الشاب أن يستعفف فلا يذهب ليقابل النساء بالأسواق وأماكن الزحام والشواطيء والحدائق ، وإنما يصبر حتىٰ يتيسر له أمر الزواج ، قال تعالى : ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتىٰ يغنيهم الله من فضله** ﴾ [1] .

فإذا ما أباح الشاب لنفسه محظوراً واحداً فإن هذا سبيل للوقوع بالفاحشة وقديماً قيل :

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها ... في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر [2] .

وقال شوقي :

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرهن الثناء
نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

والمؤمن رقيق القلب قد يقع في الحب ، ولكنه حاشا أن يقع في المعصية ، ويعجبني هنا ماقاله الأستاذ الناسك مصطفى صادق الرافعي في هذا المعنى :

من للمحب ومن يعينه ... والحب أهنأه حزينه
أنا ما عرفت سوىٰ قساو ... ته فقالوا كيف لينه
إن يقض دين ذوي الهوىٰ ... فأنا الذي بقيت ديونه
قلبي هو الذهب الكريم ... فلا يفارقه رنينه
قلبي يحب وإنما ... أخلاقه فيه ودينه

* * *

يا من يحب حبيبه ... وبظنه أمسىٰ يهنيه
وتعف منه ظواهر ... لكنه نجس يقينه

---

(1) سورة النور ـــ ٣٣ .

(2) الأبيات من كتاب الكبائر للذهبي ص ٥٩ ـ نشر دار الندوة الجديدة ـــ لبنان ، ولم ينسبها لأحد بعينه .

إن تنقلب لص العفاف	لمن تحب فمن أمينه
مالذة القلب المدله	لا يطول به حنينه
الحب سجدة عابد	ما أرضه إلا جبينه
الحب أفق طاهر	ما إن يدنسه خؤونه[1]

إن على الإنسان العاقل أن يبتعد عن كل مايثير غريزته من النظر إلىٰ ما هو بعده ، كي يقطع الطريق على الشيطان من أوله إذا أراد السلامة ، وإلا أهلك نفسه ولن ينجيه أحد . ونستطيع أن نلخص أثر الإيمان في موضوع الحب والمرأة بما يلي :

١ ــ لا يجوز للإنسان أن يعتبر المرأة نجسة كما يعتقد الرهبان كما لا يجوز له أن يصبح عبداً لها كما هو حال الإباحيين .

٢ ــ عليه أن يستعفف عن أعراض الناس .

٣ ــ طريق الزواج هو الجسر الوحيد بين الجنسين .

٤ ــ إذا أحب الرجل إمرأة ولم يستطع أن يتزوجها فينبغي أن يتقي الله ، ولا يصرح بحبه لأحد ولا يحاول الاتصال بها أبداً .

٥ ــ الإتصال باسم الحب ممنوع شرعا .

٦ ــ علينا أن ننسف جسور الإختلاط جميعاً ، لكي لا يتذرع بالحب أصحاب النفوس الضعيفة .

٧ ــ على الآباء مسؤولية الحفاظ علىٰ أعراضهم وكذلك علىٰ البنات ثم الشباب والمجتمع .

٨ ــ المجان والمنحلون لا مكان لهم في المجتمع الإسلامي .

٩ ــ يجب تسهيل أمور الزواج قدر المستطاع .

١٠ ــ المرأة شريكة للرجل في الحياة وقد كرمها الإسلام أحسن التكريم .

وقد طبق المجتمع الإسلامي الاول تلك النقاط فكان مجتمعاً طاهراً نظيفاً لا كبت فيه ولا انحلال وإنما فيه شيء وحيد هو الحلال .

---

(١) في الأدب الحديث ٢/٢٩٠ .

٦ ـ أثر الايمـــان في المرأة المسلمة :

المرأة المؤمنـة تختلـف كليـاً عن المرأة اللامؤمنـة أو المرأة الجاهليـــة .. فبـــينما تصرف المؤمنـة اهتمامهـا نحو بيتها وزوجهـا وأولادهـا ، وتحرص علـــىٰ تربيـــة جيـــل صالح مؤمـــن ، وتستهلك وقتها في طاعـــة الله عز وجـــل ، وترتفـــع عن الدنايـــا والسفـــاسف ، فإن المرأة الجاهليـــة تصرف وقتها كلـــه وراء الموضة والماكيـــاج والمساحيق والزينة ، وتلبس أخف الثيـاب وأشفهـا وأكثرهـا إثـارة ، وتنـزل إلى الأسواق والسينما والحدائـق والمسارح لتفتـن الشبـاب ، وتلـفت الأنظـار إليها ، وتـقضي زهـرة شبابها في اللهـو والعبـث ، ثم بعـد الـزواج إن تزوجت غالبـاً ماتكـون امـرأة مستهتـرة تفضل مصلـحتها الخاصة على مصلحـة أسرتها ، وتـفضل السهـرة على التلفـاز أو في الحفلات المختلطة على كل واجباتها الأخرىٰ .

إن الإيمان يجعـل سلـوك المرأة يختلـف جذريـاً ، فالمرأة المؤمنـــة لا تهبـــط ولا تنزلـــق في درك الهوى كغيرهـــــا ، فلا عجب إذاً حينما نجد الخلاف الشاسع بين المرأة المؤمنة المحافظة وبين المرأة الجاهلية المتحررة .

ونظـــراً لأن داء الأمم دبّ إلينـــا ، فإن الـــواجب يستدعـــي أن نحذر المرأة المسلمة من الإنخراط وراء الموضة والتحرر وعالم الأزياء وعالم الإنفلات ..

إن المرأة وظيـفتها الأساسيـة هي الإنجاب ، ثم تربيـة ماتنجبـه ولا تتركـه يتيمـاً في هذه الحياة .. يتربىٰ بين أيدي الخدم أو في أزقة الشوارع .

إننـا لا نعـارض العمـل الشريـف للمـرأة ، شريطـة ألا يتعـارض مع دورهـــا الأساسي كأم ومربيـة ، وأن يكـون العمـل ضمـن المواصفـات التـي ترضي الشريعـــة الإسلامية ..

فالإيمان هو أهـــم مقومـــات المرأة في الشرق ، فإذا ماقـــلَّ أو انسلـــخ ـــ لاسمح الله ـــ فسوف يكـــون مصير الأسرة في الشرق ليس أقـــل سوءاً من حالها في الغرب .

إننـي أؤكـد بأن سلـوك المرأة المؤمنـة يختلـف جذريـاً عن سلـوك غيرهـــا من

النساء ، وكذلك الأمر بالنسبة لمشاعر المرأة المؤمنة وعقيدتها .

فالمرأة المؤمنة هي التي تصنع الرجال والأبطال ، وصدق من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها — أعددت شعباً طيب الأعراق

وفي التاريخ الإسلامي المجيد آلاف من النساء العفيفات الطاهرات اللواتي لم تعرف لهنَّ الإنسانية مثيلاً ، وفي مقدمة هؤلاء كانت أمهات المؤمنين والسيدة فاطمة والخنساء وسكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنهن أجمعين .

إنه لابد من الإيمان للمرأة حتى يتم الجو الإيجابي السعيد في داخل الأسرة ومن ثم في المجتمع .. فإذا تحطم إيمان المرأة فعلى البيت والمجتمع والأمة سوف يحلّ الخراب ، وينزل التباب وتصبح الحياة جحيماً للفواحش والضلال ، وهذا حال أوربا من الداخل فليتعظ من أراد أن يتعظ .

٧ ــ أثر الإيمان في تربية المجتمع : ويشمل :

(١) قيم المجتمع المؤمن ومقوماته .
(٢) التكافل الإجتماعي .
(٣) الإقتصاد الإسلامي .
(٤) الجانب السياسي .
(٥) العلاقات مع دار الحرب .
(٦) الجانب القضائى والجنائي .

٧ ـ أثر الإيمان في تربية المجتمع :

تمهيد :

ـ الحاجة إلى مجتمع مؤمن :

عندما يربي الإيمان الفرد فإن هذا العمل هو اللبنة الأولى في تربية المجتمع .. ولكن الإيمان لا يكتفي بتربية الفرد وإنما يتخذ من تربية الفرد وسيلة إلى تربية المجتمع .. وما ذلك إلا لأن العلاقة بين المجتمع والفرد علاقة أخذ وعطاء ، فلا يمكن للمؤمن أن يشعر بالسعادة والهدوء والإستقرار إلا في ظل مجتمع مؤمن ، وإلا فإنه سيعاني من ضغط المجتمع اللاديني وأذاه إذا عاش فيه المؤمن .

لذلك نجد أن الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا في صراع مع قوىٰ الشر والطغيان فى مجتمعاتهم، ابتداءً من نوح عليه السلام وانتهاءً بمحمد ﷺ، وكان قصد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في الدرجة الأولى تحقيق مجتمع مؤمن موحد يقيم شريعة الله عز وجل .. فلا يكتفي أي نبي بإيمان فرد أو اثنين أو ثلاثة أو مائة .. إنما يسعى إلى أن يؤمن الكل ، فإذا لم يتيسر ذلك فالغالبية إن أمكن ، حتى يستطيع أي رسول من رسل الله ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ تحقيق مجتمع مؤمن تقي سعيد .. من هنا لابد من بذل طاقة قوية ، توازي بل تتفوق على طاقة الجاهلية لكي يستطيع المؤمن أن يكتسح الجاهلية في أي مجتمع كان ..

وهذا يفرض عليه مزيداً من الجهد والمشقة ، لأن الجاهلية غالباً ماتكون أقوىٰ عدداً وعتاداً ، ولا نقول عدة لأنها فاقدة للإيمان . والإيمان أقوىٰ عدة . ولكن لابد لجنده من عتاد وعدد ، وأن يستعدوا قدر المستطاع .

فلابد من المجتمع المؤمن النظيف إذا ماأراد المؤمن المحافظة على عقيدته من الطعن ، وعلى ماله من السرقة ، وعلى حياته من الإعتداء ، وعلى قواه النفسية والعصبية من التدهور في حمأة الصراع مع الجاهلية ، وعلى عرضه من الغدر

والخيانة ..

فالجاهلية لا يُؤَمِّنُ المؤمن فيها على شيء إطلاقاً لاسيما الجاهلية الحديثة التي تستخدم التكنولوجيا الحديثة وتجندها ضد الإيمان ، من إعلامٍ ، ووسائل تعذيب ، وحرب نفسية ضد المؤمن ، ولا ذنب له إلا أنه مؤمن . قال تعالىٰ : « **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** »[1] . ويكفي أن ننظر إلى أفغانستان لنرى ماذا تفعل الجاهلية بالمؤمنين هناك .

لكن وسائل البطش والإرهاب يجب ألا تخيف المؤمنين ، لأنهم على حق والمؤمن لا يخاف إلا من الله . إنه لابد من المجتمع المؤمن الذي يحقق عبودية الله عز وجل .. لأن المجتمع المؤمن هو المجتمع السعيد ، والمؤمن هو السعيد ، والإيمان هو السعادة ، فإذا ذهب الإيمان تصبح الحياة جحيماً لايطاق ، قال الشاعر :

ولست أرىٰ السعادة جمع مال   ولكن التقي هو السعيد

ولاشك بأن الإيمان له أثر كبير في المجتمع المؤمن .. بل إن الإيمان هو الذي يكون المجتمع المؤمن . وكل خير في هذا المجتمع أثر من آثار الإيمان وسوف ندرك أثر الإيمان من خلال نقاط أساسية وهي التالية :

١ ـــ قيم المجتمع المؤمن ومقوماته .

٢ ـــ التكافل الإجتماعي .

٣ ـــ الإقتصاد الإسلامي .

٤ ـــ الجانب السياسي .

٥ ـــ العلاقات مع دار الحرب .

٦ ـــ الجانب القضائي والجنائي .

وتلاحظ آثار التربية الإيمانية في كل النقاط السابقة وفي غيرها ، كما تظهر في تعامل الفرد مع المجتمع وتعامل المجتمع مع الفرد ، وسنتناول هذه

(١) سورة البروج الآية ٨ .

الموضوعات بالتفصيل إن شاء الله .

(١) ــ قيم المجتمع المؤمن ومقوماته :

المجتمع الإسلامي مجتمع متفرد [والعلة الرئيسية في تفرد المجتمع الإسلامي بنظامه الخاص هي أنه مجتمع من صنع شريعة خاصة ، جاءت من لدن إله ، فهذه الشريعة التي وجدت كاملة منذ نشأتها غير مدرجة تدرجاً تاريخياً .. هذه الشريعة هي التي أوجدت هذا المجتمع ، وأقامته على أسسه التي أرادها الله لعباده ، لا التي أرادها بعض هؤلاء العباد لبعض ، وفي ظل هذه الشريعة تم نمو الجماعة الإسلامية ، ووجدت ارتباطات العمل والإنتاج والحكم ، وقواعد الآداب الفردية والإجتماعية ومبادىء السلوك ، وقوانين التعامل .. وسائر مقومات المجتمع الخاصة ، التي تحدد نوعه ، وترسم له طريق النمو والتطور .

ومن ثم كانت جميع الأحكام والقوانين التي تنطبق على نشأة النظم الإجتماعية الغربية وتطورها غير منطبقة على المجتمع الإسلامي ، لاختلاف نشأته عن نشأة تلك النظم ، ولاختلاف القاعدة التي ترتكز عليها نشأته ولاختلاف القانون الذي يحكم نموه وتطوره .

إنه ليس المجتمع الإسلامي هو الذي صنع الشريعة ، إنما الشريعة هي التي صنعت المجتمع الإسلامي ، هي التي حددت له سماته ومقوماته ، وهي التي وجهته وطورته ، ولم تكن الشريعة مجرد استجابة للحاجات المحلية الموقوتة كما هو الشأن في التشريعات الأرضية ، إنما كانت منهاجاً إلهياً لتطوير البشرية كلها وصياغتها صياغة معينة ، ودفعها إلى أوضاع يتم بها تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود . وهذه السمات ذات أثر حاسم في تحديد طبيعة المجتمع الإسلامي ، وتمييزه عن جميع المجتمعات التي نشأت نشوءاً ذاتياً وأنشأت قوانينها وفق التغيرات المحدودة التي تنال حياتها يوماً بعد يوم][1] .

[إن مهمة التشريع في المجتمع الإسلامي ــ والتشريع هو المظهر البارز لتطور المجتمع لأنه تلبية مستمرة لهذا التطور ــ كانت دائماً محكومة بأصل

---

(١) نحو مجتمع إسلامي ص ٦٢ ــ ٦٤ .

ثابت هو الشريعة الإسلامية ، ومع أن الفقه الإسلامي كان تلبية مستمرة لبروز الحاجات في المجتمع وتجدد الإرتباطات إلا أن نمو الفقه لم يكن طليقاً لأنه كان دائماً مشدوداً إلىٰ ذلك الأصل الثابت ، محافظاً على المبادىء الأساسية ، والسمات الأولية التي أراد الله لها الدوام في المجتمع الإسلامي .

بذلك تقوم الشريعة دائماً مقام السياج الواقي ، الذي يسمح للمجتمع الإسلامي بالنمو والتجدد ، ولكن داخل هذا السياج ووفق مقومات أصيلة ثابتة ، وبذلك يظل الطابع الأصيل للمجتمع الإسلامي واضحاً مميزاً ، بينما المجتمعات الغربية كان في وسعها دائماً أن تنمو وفق المؤثرات الواقعية غير متقيدة بأصل ثابت،لأن المسيحية لم تكن يوماً ما نظاماً اجتماعياً،وذلك لخلوها من الشريعة التى تتولى تنظيم المجتمع وفق نظرية محددة[1] .

ونستطيع أن نحدد بعض ملامح أو خصائص المجتمع الإسلامي من خلال ماسبق بالنقاط التالية :

(١) ان الإيمان هو الوشيجة الأقوى في هذا المجتمع :

قال تعالىٰ : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾[2] .

وحينما تكون هذه الأخوة أساسها الإيمان ، فإنها تكون موضع عناية الله عز وجل وتنعكس بالخير على كل فرد من أفراد المجتمع المسلم ، فلا توجد حقوق وامتيازات لفئة دون فئة فالمجتمع المسلم مجتمع متماسك بفضل عقيدته وإيمانه ، وفي هذا المعنى قال إقبال :

الصين لنا والهند لنا   والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً   وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور   أعددنا الروح له سكنا[3]

---

(١) نحو مجتمع إسلامي لسيد قطب ص ٦٤ ــ ٦٥ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(٣) نشيدنا ص ٤٣ .

وقال أحد الشعراء :

وطني الإسلام لا أبغي سواه — وبنوه أين كانوا إخوتي
مصر والشام ونجد ورباه — مع بغداد جميعاً أمتي[1]

(٢) لا شعوبية في الأمة الإسلامية ولا طائفية :

المسلمون أمة واحدة ، قال تعالىٰ : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾[2] .

وأكرم الناس عند الله أتقاهم . فالتقوىٰ هي الميزان الوحيد لقياس الفرد والأمة ، قال تعالى : ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[3]

والإسلام يسعى إلى إذابة الفروق بين المجتمعات الإسلامية والأفراد المسلمين من حيث التمايز والعنصرية . قال عليه الصلاة والسلام : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » متفق عليه[4] .

ورغم دعاوىٰ الشعوبية والطائفية فقد تماسك معظم المسلمين وأكثرهم طيلة الماضي في ظل الكتاب والسنة، وسيبقى التماسك قائماً في الحاضر والمستقبل بإذن الله وستندحر كل محاولات تقطيع الأمة الإسلامية وتمزيقها .

(٣) الشريعة هي التي تحكم المجتمع الإسلامي ، والفقهاء يجتهدون حسب إرشاداتها :

لا مجال للأهواء في التشريع الإسلامي ، وإنما تراعىٰ مصلحة الأمة في دينها ودنياها، وما لم يرد فيه نص اجتهد فيه الفقهاء وفق الأصول العامة

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .
(٢) سورة الأنبياء ٩٢ .
(٣) سورة الحجرات ١٣ .
(٤) رياض الصالحين ١٢٠ .

للشريعة . قال تعالى : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىٰ الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ، ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾(١) .

(٤) **المجتمع الإسلامي مجتمع آمن مطمئن** : فلا مجال للعابثين بالأمن في صفوف الأمة الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾(٢)

فالمجتمع الإسلامي آمن لأنه مؤمن بالله ، وآمن لأن الشريعة لا تسمح أبداً للمجرمين والقتلة والمفسدين بزعزعة أمنه ، وقد اتخذت أردع العقوبات ضد هؤلاء المفسدين .

(٥) **المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل** : وهذه سمة مهمة جداً في المجتمع الإسلامي نقف عندها قليلاً ، إذ [يطلب الإسلام : أن يتضامن المسلمون ، وأن يتعاونوا في البناء وفي إقامة حياة جماعية مستقرة فقال : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوىٰ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾(٣) .

وقد شرح الله معنى « البر » في آية أخرى في قوله : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتىٰ المال على حبه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ،**

---

(١) سورة النساء : ٥٩ ــ ٦٠ .

(٢) سورة المائدة : ٣٣ .

(٣) سورة المائدة : ٢ .

والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[1].

والبر إذن مجموعة من الصفات يجب أن تكتسب وتحصل ، والتعاون عليه هو تعاون على خلق السبيل القويم لاستقرار الجماعة ورفع أسباب الخصومة والإحتكاك بين الأفراد بعضهم ضد بعض .

وبداية هذه الصفات الإيمان بالله ومايتصل به من الإيمان باليوم الآخر والكتاب والملائكة والنبيين ، وشأن الإيمان بالله ومايتصل به أن يحول بين الإنسان وبين أن يطغىٰ بما يملك في هذه الحياة من جاه أو مال ، كما يحول بينه وبين أن يضعف أو ييأس ، ويحول أيضاً بين أن يخدع بزخارف هذه الحياة، ونهاية هذه المجموعة من الصفات هي التحمل عند قسوة الحياة ، فلا يفقد الإنسان نفسه ، ولا تفقد الجماعة كيانها وروابطها في أزمات الحياة وضيقها ، ومابين هذه المجموعة من الصفات ، ونهايتها من أداء العبادة والمنح والعطاء وحسن المعاملة والوفاء بالعهد هو أشبه بنتيجة الإيمان الصادق ، ثم في الوقت نفسه تمهيد نفسي للصبر وتحمل أزمات الحياة وعدم فقد الإنسان ثقته في نفسه وفي الله خالقه ، ولذلك عقب الله في هذه الآية بقوله : ﴿ **أولئك هم المتقون** ﴾ أي فإن هؤلاء الذين يحصلون هذه المجموعة من الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم واتقوا الله في سلوكهم ، فالتعاون في البر والتقوىٰ تعاون على البناء والإستقرار في حياة الأمة ، وهو تعاون أيضاً على كبت أسباب الخصومة والشحناء وذلك هو قوله جلَّ شأنه ﴿ **ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ فالإسلام لا يريد من جماعة المؤمنين به غير البناء ، والعمل المثمر لخيرهم وخير الناس جميعاً ، ويحدد طلبه لتعاونهم وتكافلهم في هذه الدائرة الإيجابية ، بأنهم لا يتجاوزون به إلىٰ مايسبب الهدم والشقاء من الإثم والعدوان ، أي مما يعد به الإنسان مذنباً أمام الله ومتجنياً أمام الناس][2]

---

(١) سورة البقرة ــ الآية ١٧٧ .

(٢) الإسلام في حياة المسلم لمحمد البهي باختصار من ص ٢٧٣ ــ ٢٧٥ .

(٦) **المجتمع الإسلامي مجتمع أخلاقي :**

فقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بأعظم الصفات الأخلاقية وأجملها ، وحضهم عليها ، ودعاهم إلى التمسك بها ، ونهاهم عن الموبقات والرذائل الخلقية التي تغرق فيها الجاهلية إلى مفرق رأسها .

ولما مدح الله عز وجل نبيه محمد ﷺ مدحه بسمو الأخلاق ورفعتها فقال تعالى : ﴿ **وإنك لعلىٰ خلق عظيم** ﴾[١] . وهذه المزية لانجدها في أي مجتمع غير المجتمع الإسلامي الذي أنشأه الإيمان .

(٧) **المجتمع الإسلامي مجتمع مجاهد :**

يجاهد الشر، ويجاهد الشيطان، ويجاهد أعداء الله من الطواغيت والفجرة والملاحدة ، يجاهدهم في الليل والنهار ،والصيف والشتاء ، فإذا ماتخلىٰ المسلمون عن الجهاد وسكنوا إلىٰ الأرض . فإن الله يضربهم بالذل ويرميهم بالمهانة ولن يرتفع عنهم ذلك إلا بإحياء هذه الفريضة وإقامتها ، قال تعالىٰ : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾[٢] .

(٨) **المجتمع الإسلامي مجتمع متحضر :**

حين تكون « إنسانية » الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع ، وتكون الخصائص « الإنسانية » فيه هي موضع التكريم والإعتبار ، يكون هذا المجتمع متحضراً[٣] .

إن الإسلام يقرر قيمه وأخلاقه هذه « الإنسانية » أي التي تنمي في الإنسان الجوانب التي تفرقه وتميزه عن الحيوان ، ويمضي في إنشائها وتثبيتها وصيانتها في كل المجتمعات التي يهيمن عليها سواء كانت هذه المجتمعات في طور الزراعة

---

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٥ .

(٣) معالم في الطريق لسيد قطب ص ١٢٠ ــ ١٢١ .

أم في طور الصناعة ، وسواء كانت هذه المجتمعات بدوية تعيش على الرعي أو مجتمعات حضرية مستقرة ، وسواء كانت هذه المجتمعات فقيرة أو غنية ، إنه يرتقي صعداً بالخصائص الإنسانية ، ويحرسها من النكسة إلى الحيوانية لأن الخط الصاعد في القيم والإعتبارات يمضي من الدرك الحيواني إلى المرتفع الإنساني .. فإذا انتكس هذا الخط ــ مع حضارة المادة ــ فلن يكون ذلك حضارة ! إنما هو (التخلف) أو هو « الجاهلية » .

ومن أجل ذلك كله تكون القيم والأخلاق والإيحاءات والضمانات الإسلامية هي اللائقة بالإنسان ، ويكون « الإسلام هو الحضارة » ويكون المجتمع الإسلامي هو المجتمع المتحضر .

بذلك المقياس الثابت الذي لا يتميع أو لا يتطور[1] .

(٩) والمجتمع الإسلامي مجتمع منتج :

فالإسلام دعانا إلىٰ العمل والكسب ، قال تعالىٰ : ﴿ **وجعلنا النهار معاشا** ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾[3] .

إن المجتمع المتحضر الإسلامي لا يحتقر المادة ، لا في صورة النظرية ولا في صور « الإنتاج المادي » فالإنتاج المادي من مقومات الخلافة في الأرض عن الله ولكنه فقط لا يعتبرها هي القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص الإنسان ومقوماته ، وتهدر فيها أخلاق المجتمع وحرماته[4] .

(١٠) والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الحر بالمعنى الحقيقي للحرية ، فحين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية تكون

---

(١) معالم في الطريق ص ١٢٢ ــ ١٢٦ ، (باختصار) .

(٢) سورة النبأ الآية ١١ .

(٣) سورة الجمعة الآية ١٠ .

(٤) معالم في الطريق ص ١٢١ . (باختصار) .

هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقاً من العبودية للبشر [1]

(١١) والمجتمع الإسلامي هو المجتمع العلمي :

يقوم على العلم يدعو للعلم ويتفوق بالعلم ، فالعلم طريق موصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وقد سبق أن نوهنا بمكانة العلم عند المسلمين في ذكرنا لكلمة زيغريد هونكه كشاهد على مانقول . والعلم يشمل العيني والكفائي والدنيا والآخرة . والعبادات والمعاملات . وقد فضل العلماء المسلمون العلم على المال فقد عد ابن قيم الجوزية ــ رحمه الله ــ أكثر من ثلاثين أمراً يفضل العلم فيها على المال وهذه بعضها :

١ ــ ان العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء .

٢ ــ ان العلم يحرس صاحبه وصاحب المال يحرس ماله .

٣ ــ ان المال تذهبه النفقات والعلم يزكو على النفقة .

٤ ــ ان المال يفارق صاحبه عند الموت والعلم يدخل مع الإنسان قبره .

٥ ــ ان العلم يحكم على المال والمال لا يحكم على العلم .

٦ ــ ان صاحب العلم يحتاج إليه الملوك ومن دونهم أما صاحب المال فيحتاج إليه أصحاب الفاقة .

٧ ــ ان العلم يدعو إلى التواضع لله أما المال فيدعو إلى الطغيان والفخر .

٨ ــ المال يستعبد صاحبه ، والعلم يستعبده لربه .

٩ ــ إن غنى العلم ذاتي وغنى المال عارض [2] .

بمثل هذه الروح عاش علماؤنا لا يريقون ماء وجوههم على عتبات الأغنياء والأمراء ويحفظون للعلم كرامته ، فاستطاعوا أن يبدعوا أيما إبداع فالمجتمع الإسلامي هو المجتمع العلمي حقيقة وليست المجتمعات الملحدة إلا مجتمعات

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨ .

(٢) باختصار وتصرف عن مفتاح دار السعادة ج ١ ص ١٢٨ .

متخلفة مهما وصفت نفسها بالعلم وغرها ماتملكه من وسائله .

(١٢) والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الصحيح :

لأنـــه يقـــم حدود الله .. ويمشي كما أراد الله له أن يسير ، وكل يوم يردد المسلـم في صلواتـــه ، سبع عشرة مرة في الفـــروض قولـــه : ﴿ **اهدنـــا الصراط المستقيم** ﴾ بل ورددهـا الامـة الاسلاميـة من طنجـة إلى جاكرتـا وفي أي مكـــان تواجد عليه المسلمون ، هذا ماعدا النوافل .. ففي كل ركعة يتكرر هذا الدعاء .

والصراط المستقيم هو للمؤمـن وحـــده .. وللمجتمـــع المؤمـــن دون بقيـــة المجتمعات .. فلن تكون باقي المجتمعات إلا أحد أمرين :

مجتمعات مغضوب عليها وأهلها هم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه .

أوَ مجتمعات ضالة وأهلها الذين لم يعرفوا الحق ومن ثم لم يتبعوه .

فالمجتمـع المسلـم خير المجتمعـــات والأمـــة المسلمـــة خير الأمم فمـــن أراد النجاة من الشعوب فليلحق بالإسلام لأنـه النموذج الصحيـح،وليلحـق بالأمـة المسلمـة في خير قرونها لأنها التطبيق الواقعي لـــلإسلام ، ومـــن أراد هلاك نفسه ومجتمعـــه فليفارق الإسلام إلى أية جهة كانت وإلى أيـة راية يشاء .. فجميعهـا تنتهي بالدمـار وتصل به إلى الثبور والهلاك .

تلك هي سمات المجتمـــع المسلـــم .. أو المجتمـــع المؤمـــن في صورتـــــه «المثلى» حين يكون مطبقاً ومنفذاً ومعتـزاً بإيمانـه وإسلامـه ...ويطبقـه عقيـدة وعبـادة وشريعة ونظاماً ، وخلقاً وسلوكاً .

٢ ـ التكافل الإجتماعي :

سبق أن ذكرنا أن التكافل الإجتماعي هو ميزة من مزايا المجتمع المسلم والآن نعرض لبعض مزايا التكافل الإجتماعي :

(١) إن التكافل يشمل أمور الدنيا والدين ، وفي هذا مايدل على مدى تماسك المجتمع الإسلامي وعلى أنه مجتمع يحترم الإنسان ، فالتكافل في أمور الدنيا وحدها خطأ لأن الدين هو المعول عليه وهو الأهم . والتكافل في أمور الدين وحدها دون الدنيا خطأ أيضاً لأن الدنيا جزء من برنامج الدين ، ولا يمكن لمؤمن مثلا أن يقبل لنفسه آن ينام شبعان وجاره جائع ، فالتكافل يشمل أمور الدنيا إذاً ، وفي هذا التكافل مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع بينما لا نجد التكافل موجوداً في المجتمعات الأخرى في الصورة المثلى التي رسمها الإسلام .

(٢) والتكافل يشمل الصغير والكبير والعبد والحر والذكر والأنثى والمؤمن والذمى وجميع مواطني المجتمع المسلم .

(٣) وصور التكافل كثيرة ذكر بعضها الدكتور عبد العزيز خياط في كتابه (المجتمع المتكافل في ضوء الإسلام) فكان مما ذكر من صور التكافل :

١ ـ توفير الحريات وتشمل : (الذات ـ الرأي ـ الإعتقاد ـ المأوى ـ التعليم ـ التملك) .

٢ ـ حق الملكية وتنمية الموارد الإقتصادية .

٣ ـ إيجاد العمل لكل مواطن .

٤ ـ حق الحياة الكريمة .

٥ ـ بناء الأسرة بناءً كريماً .

٦ ـ حراسة الرأي العام (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

٧ ـ العدل بين الناس والمساواة .

٨ ـ محاربة الإسلام للطبقية والتعصب .

٩ ـ ايجاد التوازن في المجتمع .

١٠ ـــ ايجاد التقوىٰ عند الفرد والجماعة[1] .

والسؤال الآن لمصلحة من هذا التكافل ؟ أليس لمصلحة الفرد أولاً والمجتمع ثانياً . وما الدافع إليه ؟ أليس الإيمان .. أليس التكافل أثراً من آثار الإيمان الخيرة .. رب قائل يقول أنت تتكلم عن أثر التشريع الإسلامي ولا تتكلم عن أثر الإيمان هنا.. وأعتقد أن التشريع وثيق الصلة بالإيمان والإيمان وثيق الصلة بالتشريع ، فالإيمان بالرسالة يقتضي أن نؤمن بجميع ماورد في الكتاب والسنة من أخبار وأحكام .

ومن ذلك التشريعات التي تتعلق بالفرد والمجتمع ، والإيمان بهذه الأشياء وتطبيقها في الحياة ينعكس بالأثر الطيب على الفرد والمجتمع ، فحين يكون المجتمع مؤمناً لابد أن يطبق شريعة الله فينعكس ذلك بالخير على الفرد والمجتمع .

ومن أدلة التكافل في الإسلام :

قوله تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولٰئك هم المفلحون** ﴾[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** » رواه مسلم[5] .

---

(١) المجتمع المتكافل في ضوء الاسلام د. عبد العزيز خياط ص ٨٠ .

(٢) سورة التوبة الآية ٧١ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٤١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٥) رياض الصالحين ص ٩٦ .

وقال ﷺ : « **من جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا** » متفق عليه(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **الدين النصيحة . قلنا لمن يارسول الله . قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » رواه مسلم(٢) .

وقال أيضاً : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه** » متفق عليه(٣) .

وقال ﷺ : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** » رواه الترمذي وقال حديث حسن(٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر** » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن(٥) .

وقال أيضاً : « **من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله ؟ فقال : « **وإن قضيباً من أراك** » رواه مسلم(٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه** » متفق عليه(٧) .

وقال أيضاً : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمى** » متفق عليه(٨) .

وقال ﷺ : « **كل سلامىٰ من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه**

---

(١) رياض الصالحين ٩٨ .

(٢) رياض الصالحين ٩٩ .

(٣) رياض الصالحين ٩٩ .

(٤) رياض الصالحين ١٠٤

(٥) رياض الصالحين ١٠٤ .

(٦) رياض الصالحين ١١٦ .

(٧) رياض الصالحين ١٢٠ .

(٨) رياض الصالحين ١٢٠ .

الشمس : **تعدل بين الإثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة** » متفق عليه[1] .

وقال عليه السلام : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينها رواه البخاري[2] .

من خلال النصوص السابقة يلاحظ أن التكافل الإجتماعي هو تكافل حي في المجتمع الإسلامي، تكافل يحقق الخير للفرد والخير للمجتمع، وأن الباعث الأول على هذا التكافل هو الإيمان ومن دون الإيمان لا يمكن تحقيق هذا التكافل على الصورة المثلى التي أرادها الإسلام .. أرأيت كيف جعل الإسلام التكافل سبباً موصلاً إلى الجنة . وكيف جعل هضم حقوق الناس وسيلة للنار وسبباً مؤدياً إليها ، ولكن ماهي الوسيلة لتحقيق التكافل . في الحقيقة للدولة المسلمة دور ولكن الدور الأهم هو للإيمان ، فالدولة دورها خارجي والإيمان دوره داخلي .. أي في النفوس ، والدولة لن تقدر على تلبية كل الأفراد ومساعدتهم ، مالم يساعد الأفراد بعضهم بعضاً .. إن أساس مساعدة الناس لبعضهم البعض يحتاج إلى نوع من التضحية دون مقابل .. وهذه التضحية لا يولدها إلا الإيمان .

ولقد حقق المسلمون الأوائل أعظم صور التكافل وماذلك إلا لأن إيمانهم كان أقوى مما نتصوره ، ونحب أن نشير إلى صورة من أجمل صور التكافل الإجتماعي التى حققها المسلمون هي الوقف ، وهو على أنواع :

١ ــ وقف الزبادي : وقف تشترى منه صحاف الخزف الصيني ، فكل خادم كسرت آنيته وتعرض لغضب مخدومه ، له أن يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور ويأخذ إناءً صحيحاً بدلاً منه ؛ وبهذا ينجو من غضب مخدومه عليه .

٢ ــ وقف الكلاب الضالة : وهو وقف ينفق ريعه على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب استنقاذاً لها من عذاب الجوع .

---

(١) رياض الصالحين ١٢٨

(٢) رياض الصالحين ص ١٣٧

٣ ــ وقف الأعراس : وقف لاعارة الحلي والزينة في الأفراح يستعير منه الفقراء .

٤ ــ وقف الغاضبات : وهو وقف مؤسس من ريعه بيت تذهب إليه الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور فتجلس فيه آكلة شاربة حتى تعود الى بيتها .

٥ ــ وقف مؤنس المرضى والغرباء : وقف ينفق منه على عدة مؤذنين فيرتلون القصائد طول الليل حتى الفجر إيناساً للمرضى .

٦ ــ وقف خداع المريض : وهو تكليف اثنين من الممرضين أن يقفا قريبا من المريض ، بحيث يسمعهما ولا يراهما ، فيقول أحدهما لصاحبه : ماذا قال الطبيب عن هذا المريض ، فيرد عليه الآخر يقول : إنه لابأس فهو مرجو البرء ، ولا يوجد في علته مايشغل البال وربما نهض من فراش مرضه بعد يومين أو ثلاثة أيام[1] .

أليست صور هذا الوقف أثراً من آثار الإيمان .

وهناك نقطة تدخل في التكافل وهي مسألة الفراغ .. فالمجتمع المسلم لا يمضي أوقات فراغه في اللهو والمجون وإنما هناك طرق لتعبئة الفراغ وفيها فائدة ، ومن هذه الطرق :

- المطالعة وبناء المكتبات العامة .
- الرياضة والتدريب .
- اقامة المعسكرات الكشفية .
- اقامة المسابقات الدينية والثقافية .
- الرحلات العلمية الهادفة .
- الأناشيد الدينية .

ولا تخلو فكرة إقامة أسبوع المساجد وأسبوع النظافة وأسبوع الدفاع المدني وأسبوع الشجرة وأسبوع المرور . لا تخلو هذه الفكرة من فائدة فهي تدرب الفرد على خدمة دينه ووطنه ، وهي تملأ فراغ الإنسان في المجتمع ، وعليه فالفراغ عند المسلمين يستخدم بشيء هادف مفيد للفرد والمجتمع .

---

(١) الإيمان والحياة ليوسف القرضاوي ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ .

(٣)ــ الإقتصاد الإسلامي :

للإيمان أثر في توجيه اقتصاد المجتمع الإسلامي ، فليس المقصود من الإقتصاد إلا كفاية الحاجات الأساسية للأمة وماأمكن من الكماليات بإسلوب نظيف .. ولم يكن الربح بحد ذاته هدفاً نسعى إليه في أي وسيلة كانت، ولذلك حرم الإسلام بيع الممنوعات من خمر ومخدرات وحرم الغش وحرم الكذب من أجل الربح .. كما جرم الإحتكار وطرق الكسب غير المشروع ، وأوجب الزكاة وهي حق للفقراء يأخذونها من مال الأغنياء .. إلى غير ذلك من التشريعات التي ينعكس أثرها بالخير علىٰ المجتمع وأفراده ..

فالإسلام ينظر إلى المجتمع أو الحياة على أنها متكاملة فلا ينفصل الإقتصاد عن الأخلاق ولا ينفصل العمل عن الإيمان ولايمكن أن نقبل أمراً يجلب فائدة من باب ومضرة من باب آخر ، والقاعدة الشرعية تقول : [درء المفاسد أولى من جلب المصالح][1] .

فالنظام الإقتصادي الإسلامي نظام أخلاقي وهو بهذا نظام فريد لا يشبه أياً من النظامين الشيوعي أو الرأسمالي .

فالنظام الشيوعي يسمح للمجتمع بسحق مصلحة الفرد . أما الرأسمالي فيسمح للفرد بسحق مصلحة المجتمع ، فيمكن للفرد مثلاً أن يحتكر السلع الغذائية من السوق ،ويمكن له أن يتاجر بالمخدرات والبغاء والمحرمات .

أما النظام الإقتصادي الإسلامي فتلتقي فيه مصلحة الفرد والمجتمع التقاءً طبيعيا يحقق الخير للطرفين ولا يضر بهما ، وليس هذا إلا أثراً من آثار الإيمان أولاً ثم أثر التشريع ، ولا قيمة للتشريع إذا لم يطبق ، ولا يطبق التشريع الإسلامي إلا إذا كان الإيمان متغلغلاً بالقلوب بحيث لا يلجأ الفرد إلىٰ الإضرار بمصلحة المجتمع في السر ، لأنه يعرف أن الله يراه ويراقبه وسوف يحاسبه عن كل ذرة .

---

(١) أنظر شرح القواعد الفقهية ــ للأستاذ أحمد الزرقاء ص ١٥١ . نشر دار الغرب الاسلامي ــ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

أليست حماية مصلحة المجتمع أثراً من آثار التربية الإيمانية للفرد .

أليست حماية مصلحة الفرد وتحقيق كفايته أثراً من آثار التربية الإيمانية للمجتمع .

رب قائل يقول : ماعلاقة الإقتصاد بالإيمان .. ونحن نجيب أنه عند غير المسلمين لا علاقة بينهما .. أما في الإسلام فهناك علاقة قوية بينهما .

فلا يمكن لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يحتكر .

ولا يمكن لمؤمن أن يتاجر بالخمر .

ولا يمكن لمؤمن أن يسرق أموال الناس .

ولا يمكن لمؤمن أن يأكل الربا .

ولا يمكن لمؤمن أن يأكل أموال اليتامى .

أليست هذه أموراً وثيقة الصلة بالإيمان .

ألم يحارب أبوبكر الصديق المرتدين لمنعهم الزكاة .

أليس سلوك الإنسان الإقتصادي والإجتماعي صورة عن إيمانه .

إن المؤمن الحق يأبى أن يلتمس المال بطرق غير مشروعة ، والمؤمن الصادق يرفض أن يضع مصلحته فوق مصلحة المجتمع .. فهو يعلم أن الله هو الرزاق وأن المال عارية وأن الدنيا فانية ، فلو عرضت عليه أموال الدنيا بالحرام لم يأخذها .. ولو وجد المال أمامه دون أن يراه أحد لم يأخذه ، لأن شعور المراقبة في نفسه يجعله يعف عن أموال الناس مثلما يعف عن أعراضهم . والمؤمن يحرص على ان ينفق أمواله بطاعة الله ويواسي في بعضها الفقراء والمساكين والمعذبين في الأرض . قال تعالى : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالّيل والنهار سراً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[(١)] .

وكذلك بالنسبة للمجتمع :

فالمجتمع المؤمن يرفض أن ينام بعض أفراده جياعاً أو بلا مأوىٰ .

---

(١) سورة البقرة ٢٧٤ .

والمجتمع المؤمن يحقق لأفراده فرص العمل الشريف .

والمجتمع المؤمن يرعى الفقراء والعجزة والمرضى والمساكين .

والمجتمع المؤمن ينفق على الطلبة والعلماء ويحفزهم على الإبداع .

والمجتمع المؤمن يساهم في توعية المواطن المؤمن نحو طريقة الكسب الحلال، ومهمته في الحياة ، فيعطيه الأسس الأخلاقية والمثل العليا التي تكون نبراساً له في كسبه وفي حياته ،فلا يركض إلى الدنيا بكل قواه بل يتئد ويصبر ويجاهد ليحصل على الرزق ، وبالمقابل لا يشغله الرزق عن العبادة والعلم والواجبات الأخرى .

وكذلك فإن المجتمع المؤمن يحقق الكفاية المادية للجميع .

ويقوم المجتمع المؤمن بمنع مايؤذي أفراده من غش وتجارة بالمحرمات .

والمجتمع المؤمن بعد هذا كله يضرب على أيدي الذين يعبثون بأموال الناس ويسرقونها ، أو يحتالون عليها بأية طريقة كانت للحصول عليها ففي ضرب هؤلاء مصلحة للفرد وللمجتمع .. فالعنصر الشاذ يؤذي بل يدمر المجتمع ولابد من الأخذ على أيدي الشاذين بالمجتمع .

وهكذا يساهم الإيمان في إيجاد اقتصاد قوي فعال ومجتمع منتج ونشيط وإنسان رضي سعيد .

إن الناس عندما تؤمن فإن الله يثيبها بأمرين :

١ ــ الثمرات في الدنيا والبركة والرخاء .

٢ ــ الجنة في الآخرة .

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : **﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾**(١) .

---

(١) سورة نوح ١٠ ــ ١٢ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾(١) .

وقال تعالىٰ منبهاً علىٰ ضرورة شكر النعم وأنه سبب لزيادتها : ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾(٢) .

فالإيمان سبب يوصل إلىٰ النعيم في الآخرة والرخاء والثمرات في الدنيا . وفي الحديث القدسي : « **لو أنَّ عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد** » رواه أحمد والبزار والحاكم عن أبي هريرة(٣) .

فالإيمان والإستغفار والطاعات أهم الأسباب الموصلة إلىٰ الخير والرخاء والسعادة ، كما يعد الكفر والسيئات أهم الأسباب الموصلة للفقر ، وزوال الأمم وفنائها .

قال تعالىٰ : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** ﴾(٤) .

فالله تعالى هو الغني وهو الرزاق وهو الكريم فعندما يتوجه إليه الناس بالطاعة فإنه تعالىٰ سرعان ما تتنزل رحماته عليهم وتحوط بهم عنايته ويدفع عنهم عذابه .

قال تعالى : ﴿ **مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً** ﴾(٥) .

والملاحظ أن أساس أي اقتصاد في الدنيا يقوم على أمرين :

١ ــ الزراعة .

---

(١) سورة الأعراف ــ الآية ٩٦ .

(٢) سورة ابراهيم ــ الآية ٧ .

(٣) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمحدث المناوي تحقيق محمد عفيف الزغبي ص ٧١ .

(٤) سورة البقرة ــ الآية ٢٦٨ .

(٥) سورة النساء ١٤٧ .

٢ ــ الصناعة .

وأما التجارة فهي عملية تبادل ، لا يمكن أن تتم من دون الزراعة والصناعة، فهي قائمة بهما ومن دونهما لا يمكن أن تكون . والزراعة بالأول والآخر لا تتم إلا برعاية الله فهي بحاجة إلىٰ المطر ، والمطر بيد الله .

وأما الصناعة فهي بحاجة إلى المواد الأولية واليد العاملة والخبرة والإدارة ، وبعض الصناعات قائمة على الزراعة وبعضها مستقلة ، وهذا صحيح ، لكن الإنسان محتاج إلى الله أيضاً في صناعته ، لأنه مهما بلغ من قوة فالله أقوى منه وهو مهدد بزوال معامله ومصانعه وحضارته كلها إذا كفر بالله عز وجل ، قال تعالىٰ : ﴿ **ولو يرىٰ الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ، فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيامٍ نحساتٍ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزىٰ وهم لا ينصرون** ﴾[2] .

هذه هي القاعدة العامة في الحياة ..هلاك مدمر يصيب الأمم إذا ابتعدت عن ربها، مهما ملكت تلك الأمم من قوة ومهما صنعت من معامل وآلات .

إلا أن هنالك حالات تضطرب فيها الأمور بعض الشيء فقد يملك أعداء الإيمان شيئاً كبيراً من الثروة والجاه والسلطان في الدنيا كما نجد في العالم اليوم حيث نجد دول الإلحاد والإباحية قوية وغنية بينما الدول الإسلامية فقيرة وضعيفة .

المسؤول عن هذا ليس الإيمان . بل المسؤول هم المؤمنون أنفسهم .. فلابد أنهم قد قصروا وابتعدوا عن إيمانهم .. وربما زاد هذا البعد إلى أن أصبح سافراً ، وهنا يسلط الله تعالى علينا الأمم كما تسلط الأكلة على قصعتها .. حتى نعرف أن هلاكنا محقق إذا مابقينا في خط الإنحراف ، فنعود إلى الله من جديد .

---

(١) سورة البقرة ١٦٥ .

(٢) سورة فصلت ١٥ ــ ١٦ .

وهذا ماحصل حيث ولدت الصحوة الإسلامية في أوساط الظلام الذي تعيشه الأمة .

وأما الكفرة فمهما تمتعوا في الدنيا فإن عقابهم إلى خسران .. خسران دنيوي بما ينتشر فيهم من الأمراض الاجتماعية والخلقية والنفسية والسلوكية . وخسران أخروي وهو الحرمان من الجنة والدخول إلى النار ، فلا ينبغي أن نحسدهم على ماهم فيه من متع ظاهرة مهما بلغوا من المتاع والجاه . قال تعالى : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون ، وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾[1] .

وربما تمر بالمجتمع المسلم فاقة أو فقر فهذه سنة كونية تمر بكل المجتمعات ، فليس معنىٰ هذا أن ييأس المؤمن وإنما عليه أن يصبر ويصابر، ويجاهد في عمله مع الآخرين لتجاوز هذه الفاقة أو المجاعة .

وحينما نقول عن مجتمعات الغرب بأنها فاسدة رغم الترف الذي تعيشه والبذخ الذي فيها فليس معنى هذا أن نتواكل ونتركهم وحدهم لأنهم لن يتركونا ، قال تعالى : ﴿ **ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾[2] إذ يستخدم خصوم الإسلام كل مايملكونه من عتاد وأسلحة ومال ضد المؤمنين وليس مايجري في أفغانستان وفلسطين وغيرهما .. ليس مايجري عنا ببعيد .

فالمؤمنون مطالبون بالعمل والعلم والسعي إلى أن نصل إلى ماوصلوا إليه من العلم، حتى ندافع عن أنفسنا وديننا ومعتقداتنا وتاريخنا وتراثنا من غزوهم الثقافي والعسكري .

يبقى أن نشير إلى زاوية مهمة في الإقتصاد الإسلامي وهي أنه اقتصاد ذاتي .. يقوم على موارد المجتمع المسلم والإسلام يحرم على المؤمنين غزو البلدان

---

(١) سورة الزخرف ، الآيات (٣٣ ــ ٣٥) .

(٢) سورة النساء الآية ٨٩ .

الأخرى لنهب ثرواتها مثلما يفعل الإستعمار .

إن الرخاء في المجتمع الإسلامي لا يتحقق إلا بعد الجهاد الطويل والصبر الدائم والعمل المستمر وإقامة دين الله في الأرض بينما الرخاء الذي تعيشه دول الإستعمار اليوم إنما هو من عرق الملايين من شعوب العالم الثالث ، ومن دموعهم ودمائهم .

إن الإسلام حث على الصدقة ومساعدة الآخرين وعدم الإعتداء على الأقليات وحرم الربا .. وكل هذه التشريعات يمكنها أن تملأ العالم بالسعادة لو طبقت .

بينما الإستعمار يقوم بتقديم القروض للدول الفقيرة ثم تتضاعف الديون بفضل الفوائد والربا مما يرهق كاهل هذه الدول عن أداء الديون فتقدم التنازلات الإقتصادية للشركات الإستعمارية ولا تبقي لشعوبها شيئاً .

كما يقوم الإستعمار بنشر الحروب والفتن أينما وجد ، وبكافة السبل مما يخرب الأمن والإقتصاد في البلدان التي تبتلىٰ بالإستعمار .ويحيل الأرض المزروعة إلىٰ أرض بوار تماماً كما حدث في أفريقيا التي كانت طول الدهر جنة خضراء وهي اليوم تموت من الجوع والعطش .

إن النظام الإقتصادي الإسلامي هو أولاً وآخراً لمصلحة الفرد المسلم والأمة المسلمة والعالم بأسره .. وحين يستطيع المسلمون أن يكونوا كما أراد لهم إسلامهم أن يكونوا فسوف يتغير بحق الوجه الأسود المظلم للعالم اليوم، وتصير أحزاننا أفراحاً .

أخيراً : إن كل القيم الأخلاقية للإقتصاد الإسلامي هي أثر من آثار الإيمان ، ولولا ذلك الإيمان لكان يمكن لنا أن نفعل ما يفعله الإستعمار في مراحل تاريخنا العظيم ولكن الله سلّم .. والحمد لله على ذلك .

٤)ـ الجانب السياسي :

للإيمان أثر في الحاكم والمحكوم وفي العلاقة بينهما ، فبالإضافة إلى أن هناك أصولاً للحكم في الإسلام ، وهذه الأصول نظمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم وواجبات كل منهما ، فإن هناك مجموعة من الصفات الأخلاقية التي يجب توافرها في الحاكم والمحكوم . وفي علاقة كل منهما بالآخر .

فمن صفات الحاكم المسلم الرحمة ومن صفات المجتمع المسلم الرحمة ، قال تعالى واصفاً المجتمع الإسلامي الأمثل في عصر النبوة : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[(١)] .

فالرحمة صفة من صفات المجتمع المسلم وهي أثر من آثار الإيمان ، وفي الحديث القدسي « **أنا الرحمٰن خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن ثبتها ثبته ، إن رحمتي سبقت غضبي** » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي عن ابن عوف ، والحاكم والخرائطي والخطيب عن أبي هريرة[(٢)] .

والعدل صفة من صفات الحاكم المسلم ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى** ﴾[(٣)] .

والإمام العادل هو أفضل السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . والرحمة والعدل صفتان لازمتان في شخصية الإمام المسلم وعارضتان في غيره من الحكام إن وجدتا .. ولولا الإيمان والخوف من الله لانجرف الحاكم المسلم مع هواه بحكم طبيعته البشرية . وهناك آثار كثيرة للإيمان يؤثر بها على الحاكم والمحكوم نذكرها باقتضاب ، فمن مؤثراته على الحاكم ، ماأوجب عليه من :

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٢) الإتحافات السنية ص ٤٧ .

(٣) سورة النحل الآية ٩٠ .

١ ـــ حب الرعية .
٢ ـــ رعاية مصالحها على أتم وجه .
٣ ـــ النصح للرعية .
٤ ـــ رعاية الفقراء والعجزة والمرضى .
٥ ـــ بث الهداية في المجتمع .
٦ ـــ الحجر على السفهاء والأخذ على أيدي الآثمين .
٧ ـــ بث روح الجهاد في المجتمع .
٨ ـــ الرأفة بالناس .
٩ ـــ تحكيم الشريعة في كل الأمور .
١٠ ـــ تشجيع العلم والعلماء .
١١ ـــ رعاية حقوق الأقليات غير المسلمة .
١٢ ـــ الشورىٰ .
١٣ ـــ حفظ الثغور ورعاية الأمن .
١٤ ـــ عدم تتبع عورات الناس وخلواتهم .
١٥ ـــ تطوير المجتمع والنهوض به .

والضمانة الحقيقية لكل هذه الأمور هو الإيمان ومن دونه قد لا تطبق معظم هذه الأمور أو كلها ، فإذا كان الحاكم ضعيف الإيمان أو عديم الإيمان فقد يقتل العلماء والدعاة وحصل هذا كثيراً في التاريخ الإسلامي والواقع المعاصر .

وأما بالنسبة للرعية فإن للإمام عليها حقوقاً ، منها :

١ ـــ الطاعة في غير معصية الله .
٢ ـــ النصيحة له .
٣ ـــ الدعاء له بالتوفيق والنصر .
٤ ـــ الجهاد معه إذا لاقى عدواً .
٥ ـــ التغاضي عن بعض هفواته إن وجدت وعلمت .
٦ ـــ مجافاة أعدائه .

٧ ــ تقويمه إذا أخطأ .

والضمان لتطبيق ذلك هو الإيمان ، فإذا غشت الرعية الراعي خربت الدولة والمجتمع ، فلابد من الإيمان القوي عند الجماهير حتى لا تسقط في معصية السلطان المسلم، فإن هذا يقودها إلى معصية الله . ونحن نعرف من التاريخ كم عانى علي رضي الله عنه من رعيته ــ من غير الصحابة رضي الله عنهم ــ وكم عانى الخلفاء من الخوارج والزنج والقرامطة والعبيد الذين شغلوا الخلفاء وأشعلوا الفتن في قلب العواصم الإسلامية وكثيراً ماقتلوا من جلة المؤمنين وخيرة الصالحين .

وهاهنا نشير إلى مسألة المعارضة في المجتمع المسلم . هل المعارضة مسموحة أم ممنوعة ، مرحب بها أم مقتول صاحبها ، خلافاً للأنظمة الشيوعية والرأسمالية فإن للإسلام موقفاً خاصاً من المعارضة إذ [في ظل النظام الإسلامي نجد أن العلاقة بين النظام والمعارضة تختلف اختلافاً جذرياً عن كل النظم الأرضية، فليس في الإسلام هيئات أو أحزاب متخصصة في المعارضة، بل إن كل فرد من أبناء الشعب يستطيع أن يقول للحاكم كلمة الحق مباشرة دون واسطة من هيئة أو حزب فحرية الكلمة أو التعبير والرأي في الإسلام تقوم على جوهر المعارضة الحق التي لا هدف بها إلا المصلحة العامة](١) .

فالمعارضة في الإسلام هدفها البناء لا الهدم والنصيحة لا التشهير والتسديد لا التهديم .

ومرة أخرى نقول : إن الكفيل لتطبيق هذا كله هو الإيمان ، وبلا إيمان قد تتحول صورة المعارضة إلى صورة أخرى وتكون النتائج ما لا تحمد عقباه .

ولا يحق للمسلم الخروج على الإمام إلا إذا عطل الإمام الشريعة ، واستحب الكفر على الإيمان، وأصبح الكفر بواحاً ، فيومئذٍ لا سمع ولا طاعة .

ويبقى أن نشير إلى مسألة الأقليات وكيف تعامل في المجتمع المسلم وفي هذا الصدد يقول سيد قطب ــ رحمه الله ــ [.. والإسلام لا يكفل لأهل الذمة

---

(١) مجلة الدعوة المصرية ــ العدد ٣١ السنة ٢٧ من مقال لمحمد عبد القدوس .

دماءهم فقط ثم يدعهم في عزلة اجتماعية مكتفياً بحماية أرواحهم وأموالهم وحرياتهم .. كلا إنما هو يفسح في رحابه وبين أهله أن يعيشوا مواطنين محترمين ، تربط بينهم وبين المسلمين صلات البر والتبادل الإجتماعي ، والمجاملات العامة، فلا يعزلهم في أحياء خاصة ، ولا يكلفهم أعمالاً خاصة ، ولا يمنعهم الإختلاط بالمسلمين ، على نحو مايمنع البيض والسود في أمريكا والملونون في جنوب أفريقيا . إن الذميين في الإسلام يودون ويوادون ، ويعيشون في جو اجتماعي طلق ، يدعون إلى ولائم المسلمين ، ويدعون المسلمين إلى ولائمهم ويتم بينهم ذلك التواد الإجتماعي اللطيف . قال تعالى : ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** ﴾[1] .

عن جابر بن عبد الله قال : « **مرت بنا جنازة فقام النبي وقمنا ، فقلنا : يارسول الله إنها جنازة يهودي ، فقال** : (**أو ليست نفساً ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا**) أخرجه البخاري .

إنه لشعور المبرأ من كل عصبية ، وإنه الأفق الإسلامي السامي الذي يعيي المتطلعين [2] .

فأما الذين لم يدخلوا في سلطان الإسلام من أهل الديانات الأخرى ، بل حتى ممن ليس لهم دين ، فالإسلام لا يعاديهم ولا يقاطعهم ولا يحاربهم إلا أن يبدأوا هم بالعدوان على المسلمين أو غير المسلمين ، ونظامه يسمح بالتعاون الإيجابي معهم عن طريق المعاهدات التي يحترمها الإسلام كل الإحترام[3] .

إن النظام السياسي في الإسلام روحه قائمة على الإيمان، وهو لا يتحقق تحققاً كاملاً إلا عندما يرتقي الراعي والرعية إلى المستوى الذي يرضي الإسلام . وعلى أية حال ، فإن هذا النظام السياسي الذي أتى به الإسلام ووضع عليه الإيمان

(١) سورة المائدة ٥ .

(٢) نحو مجتمع إسلامي لسيد قطب ١١٩ ــ ١٢١ باختصار بسيط .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤ .

بصماته نظام لم تعرف ولن تعرف البشرية له مثيلاً إلى الأبد . إن النظام السياسي الاسلامي يقوم على الصدق والمصارحة بين الراعي والرعية لما فيه مصلحة الطرفين ومصلحة الإسلام قبل ذلك وبعده .

وحين تنفك السياسة عن الإيمان ، وتصبح قائمة على المصلحة فسوف يحل الظلم والدمار في كل شيء .. وهذا مانجده في الواقع المعاصر .

إن (العلمنة) و (الإلحاد) و (الفلسفات المادية) يجب محاربتها ووضع الإيمان بديلاً عنها ، ومالم تفعل الإنسانية ذلك تكون قد حفرت قبورها بأيديها وسعت إلى هلاكها المحقق لأنها ابتعدت عن منهج الله .

(٥)ـ الإيمان والعلاقات الدولية (العلاقات مع دار الحرب) :

يتجلى أثر الإيمان عند المسلمين في علاقاتهم الدولية مع غير المسلمين، وهؤلاء إما أن يكونوا في هدنة مع المسلمين أو في حرب ، وفي كلا الحالتين لا تتورع الجاهلية عن الدس والكيد والإنتقام من المؤمنين ، وتنتظر أقرب فرصة لتتمكن من طعنهم وقتلهم، ولذلك حذرنا الله منهم ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً** ﴾[1] .

بينما نجد المجتمع المؤمن على العكس تماماً ، فهو يحترم المعاهدات بينه وبين الآخرين، ويحترم العلاقات الدولية المبنية على أسس مشتركة ، ويحرم استعمال الطرق غير المشروعة ضد الآخرين ، ولا يلجأ إلى الدس والمكر مع خصومه ، ويعطي للأقليات حريتها الدينية ، ولا يحاربها نفسياً مثلما تعمد الجاهلية محاربة الأقليات المسلمة في أراضيها خسة ونذالة .

وسبب الأخلاقية العالية في المعاملة الإسلامية لدول الحرب والدول المعاهدة هو الإيمان .

فالإيمان بالله هو الذي يزرع في المؤمنين القيم العليا ويثبتهم على طريق

(١) سورة النساء ــ الآية ٧١ .

الحق .

والإيمان بالله يجعل المجتمع المؤمن أكبر من النزق والغضب والإنفعالات في علاقاته مع الاخرين .

والإيمان بالله يملأ قلوب المؤمنين بالتوكل على الله فلا يخافون على مستقبل دينهم من كيد خصومه ، ولا يبالون بما أصابهم في سبيل الله إلا أن المؤمنين في النهاية بشر فإذا ماتعدىٰ الأعداء على حرمات دينهم وهددوا أمنهم تهديداً مباشراً ، فلا مجال للصفح آنئذٍ ، وإنما يغضبون إلى السيف ليؤدبوا أعداء الله بحد الحسام، فإذا انتصر المؤمنون فإنهم في خيار بين انزال العقوبات الصارمة أو العفو، وعلى أية حال فإنزال العقوبات يكون بقدر ماعاقب الكافرون به المؤمنين أو أقل ، قال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾[1] .

فانظر كيف جعل القرآن الكريم الصبر خيراً من العقاب، وعقاب من ؟ عقاب الذين كانوا في حالة القوة يعاقبون المؤمنين ويضطهدونهم وهم الآن في قبضة الإيمان، ويبيح القرآن للمؤمنين عقابهم ولكن دون إفراط ولا تجاوز ، إنما بمقدار ماقد عُوقب المؤمنون به، ثم يوجههم إلى ماهو أسمىٰ وأعلىٰ لهم وهو الصبر . هل في دساتير العالم كلها وأديانه على اختلافها نص مختصر بهذا الوضوح وهذه الشفافية وهذا التسامي، مثل هذه الآية .

إن مثل هذه الأخلاق لا نجدها إلا عند المؤمنين الصادقين وماذلك إلا بأثر الإيمان الذي تغلغل في أعماق قلوبهم .

إن الملاحدة مثلا لا يتورعون عن استعمال أنذل أساليب التعذيب مع المؤمنين كما مر معنا، وما يفعلونه الآن في أفغانستان خير شاهد على هذا، وكذلك بالنسبة للأمم الكافرة الأخرى التي تنهش من لحوم المؤمنين ، وماذاك إلا لأنهم أمم مادية ماتت قيمها فلا رفعة ولا عفو ولا أخلاق وإنما إرهاب وبطش

(١) سورة النحل ــ الآية ١٢٦ .

وجريمة لماذا ؟ والجواب معروف لدينا جميعاً ، قال تعالى : ﴿ **ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شي شهيد** ﴾[1] .

إن الإيمان نعمة كبرىٰ تتأثر به كل حركة في المجتمع المؤمن والفرد المؤمن ، وحيث لا تطيق المجتمعات الفاجرة المتهتكة أن ترى غيرها من الأمم ترفل في نعمة الإيمان، فإنها تسعى إلى هتك هذه النعمة بكل السبل والوسائل لكي تتساوىٰ جميع المجتمعات في المرض الواحد الذى اسمه الجاهلية ، ورغم مايعانيه المؤمنون من بطش وأذى وإرهاب، فإنهم لو انتصروا على أعدائهم ــ بمشيئة الله وعونه ــ فلن يقدروا على عقاب الكفرة مثلما عاقب الكفرة المؤمنين ، فلو صفد الكفرة جميعاً هل نستعمل معهم الأساليب اللاأخلاقية واللاإنسانية لاسيما التي تتعلق بالنساء والأعراض كما استعملها الكفرة معنا ؟ والجواب : حاشا وكلا .

هل نجبرهم على الدخول في الإسلام ؟ والجواب : كلا . فياسبحان الله لا نجبرهم على أمر فيه سعادة دنياهم وأخراهم ويجبروننا على أمور فيها خسارة الدارين هاهنا تظهر عظمة الإسلام ؟ نعم الإسلام لا يقوم علىٰ الإكراه ولا يظلم الناس ، ويحترم مشاعرهم وعقولهم خلافاً للجاهلية التي تحطم كل القيم والأعراف .

وفي التاريخ الإسلامي مايدلنا على عظمة الخلق الإسلامي في الجانب الدولي [فالصليبيون مثلا سحقوا أمخاخ الأطفال الصغار ، وشووا الرجال على النار ، وقد شق الصليبيون بعضهم للتحقق من أنهم لم يبتلعوا الذهب ، وفي مذبحة واحدة ذبح مايزيد عن سبعين ألف إنسان ، ولما فتح صلاح الدين القدس أطلق سراحهم، وزودهم بالمال، وسمح لمن شاء منهم أن يغادر المدينة][2] .

---

(١) سورة البروج ــ الآيتان ٨ ــ ٩ .

(٢) مجلة التربية الاسلامية العدد الأول ــ السنة التاسعة ــ من مقال الأخلاق العربية عند المسلمين لوليد الراوي .

وبهذا الطابع الإنساني العظيم في المواقف ومعاملات الخصوم والأعداء يتجلى ترفع الإنسان المؤمن عن أن يدع تصرفه يتأثر بغريزة المقاتلة أو حب الإنتقام خلافاً لغيره من الناس ، وبه أيضاً يكون مصدر خير لنفسه ولغيره على السواء .

[والمؤمن بعد ذلك لا يباشر الحرب والقتال ضد أعدائه إلا مكرهاً من أجل الحفاظ على هذه المبادىء التي يصدر عنها في الحياة الإنسانية والحرب والسلام في حياته من عوامل بناء الحضارة ، واستقامة السبيل في علاقات الناس بعضهم ببعض ، فلا يعرف السلام تمهيداً لغدر وخيانة ، كما لا يعرف الحرب طريقاً لتوسع مادى أو لتخريب مدينة ، وهدم قيم ومثل عليا ، وكذلك الرحمة والشدة في حياته تستهدف نفس الغاية وهي البناء في الحضارة الإنسانية وتحقيق القيم العليا في العلاقات والروابط بين الأفراد ، قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[1] .

هم أشداء على الأعداء المخربين لكمل ماهو إنساني ، رحماء على أولئكم الذين يساهمون بتصرفاتهم وبمواقفهم في إرساء السلوك الإنساني الكريم ، وهو السلوك الموصل الى التعاون والتوادد بين الناس جميعاً][2] .

تلك هي معالم أساسية في علاقة المسلمين مع غيرهم قدمناها ووضحنا أثر الايمان الرفيع فيها .

---

(١) سورة الفتح ـــ الآية ٢٩ .

(٢) الدين والدولة لمحمد البهي ص ٤٧٨ ـــ ٤٧٩ .

(٦) ــ الجانب القضائي والجنائي (الحدود والعقوبات) :

للإيمان أثر في الحدود والعقوبات ، فالحدود والعقوبات لم تأتِ عبثاً وإنما أتت لتطهر الإنسان من عقدة الجريمة وإثمها .

والحدود والعقوبات هي في صالح المجتمع ، فهي وسيلة يتم من خلالها حفظ الدين وحفظ العقل وحفظ النفس وحفظ العرض وحفظ المال .

والحدود والعقوبات هي في صالح الفرد أيضاً .. حيث تعيده إلى الحق وتحرره من عقدة الذنب ، وحتى حين تذهب حياة إنسان ما في القصاص مثلا فإن هذا القصاص خير له من أن يبقى على وجه الأرض وهو يحمل عقد الذنب ويهرب من العدالة ، كما أن قصاص الدنيا خير من قصاص الآخرة ، والقصاص فيه حياة للناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ **ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون** ﴾[1] .

ونحن نجد للإيمان أكبر الأثر في الحدود والعقوبات ، فالمؤمن الحق لا يستطيع أن يفر منها فهو يعلم أن عيون أهل الأرض لو غفلت عنه فإن الله لن يغفل عنه ، ولذلك يؤنبه ضميره ، ويدفعه طواعية إلى تسليم نفسه للعدالة لكي تقتص منه ، وينال عقاب الدنيا عسىٰ أن يعفو الله عنه يوم القيامة .

[فهذا رجل عربي هو ــ ماعز بن مالك ــ يأتي رسول الله ﷺ ، فيقول : يارسول الله ظلمت نفسي وزنيت ، فيقول له : لعلك لامست ؟ لعلك قبلت ؟ لعلك فاخذت ؟ ويرد الرجل مرة ومرة ومرة ، والرجل مصرٌ على الإعتراف بخطيئته مصرٌ على التطهر منها بإقامة حد الله عليه ، ولو كان الرجم بالحجر ، ويأمر رسول الله ﷺ بإقامة الحد عليه فيتقبله صابراً محتسباً ، راغباً في عفو الله ومغفرته .

وهذه امرأة أعرابية تعرف بالغامدية ، تزني ويضطرب في أحشائها جنين من الزنا ، فيأبى عليها ضميرها المؤمن وقد ارتكبت الفاحشة سراً إلا أن تتطهر منه ، وجاءت رسول الله تقول له : إني قد زنيت فطهرني ! فيردها الرسول .. فتأتي في

---

(١) سورة البقرة ــ الآية ١٧٩ .

الغد فتقول : يارسول الله لم تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً . فو الله إني لحبلى .

فيقول لها : إما لا .. فاذهبي حتى تلدي .

وتذهب المرأة تنتظر الوضع ، وتمضي عليها الأيام والأشهر دون أن تخبو جذوة ضميرها ، فما أن ولدت حتى أتت بالصبي في خرقة وقالت للرسول : هاقد ولدته . قال لها : فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه .

وتعود المرأة إلى ديارها ترضع ولدها وتمضي مدة الرضاع وهي في العادة حولان كاملان — أربعة وعشرون شهراً — لم يستطع اختلاف الليل والنهار أن ينسي المرأة ماارتكبت من خطيئة ، وبغير إعلان من محكمة ، ولا تنبيه من حاكم ، ولا حراسة من شرطي ، ترجع المرأة إلى رسول الله طائعة مختارة ، لتلقى مصيرها الذي رضيته لنفسها ، فتقدم إليه الصبي وفي يده كسرة من الخبز وتقول : هذا يانبي الله قد فطمته وأكل الطعام .

ولم يجد النبي بداً بعد هذا أن أمر بها ، فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضخ الدم على وجه خالد فسبها .. فسمع نبي الله سبه إياها فقال : « مهلاً ياخالد ، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى » القصة رواها مسلم[١] .

إن الحدود والعقوبات أيضاً تساهم في وضع الجميع سواسية أمام القانون ، فالحاكم والمحكوم سواء، وفي هذا مايشعر كل فرد في المجتمع الإسلامي بالمسؤولية ، فالأنساب والقرابات الوجاهات لاتنفع في الإسلام، فالكل أمام الشريعة سواسية،في هذا مايجعل الجميع يراقبون الله في أعمالهم، ويفكرون ألف مرة قبل الإقدام على الجريمة .

[والجرائم الكبرى التي يعاقب عليها الإسلام هي القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر والردة والإفساد في الأرض .

---

(١) الإيمان والحياة ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

وسبب معاقبة الإسلام على الجرائم السابقة هو حرصه على أمن الجماعة وراحتها، وسعادة الإنسان وراحته، فلايوجد طريق لسلامة الجماعة إلا الحفاظ على أمنها، وهذه الجرائم التي عاقب عليها إنما تفسد أمن الجماعة،وتشيع الفوضى والقلق في النفوس][1] .

والحقيقة ان الهدف الأساسي من هذه العقوبات هو التربية للفرد والمجتمع ، وهناك حديث يقول : « ادرءوا الحدود بالشبهات »[2] .

[والغربيون اليوم يتصورون في المجتمع الإسلامي مجزرة هائلة لا تهدأ عن العمل، هذا يرجم،وهذايقتل، وذاك يقطع، ولكن هذه العقوبات لقسوتها وشدتها لا تكاد تقع أبداً، فمثلاً جريمة الزنا لا تثبت إلا بشهادة أربعةشهود يرون الجريمة فعلاً، وبدرجة التثبت واليقين، بحيث لو نقصوا عن أربعة أو سحب واحد منهم شهادته لاعتبر الباقون متهمين بالبلاغ الكاذب، ووقعت عليهم العقوبة بدلاً من وقوعها على المجرم الأصل، وليس القصد من هذا تشجيع المنحلين على الفاحشة ولكن قصد به ألا يتخذ البلاغ الكاذب في هذه المسألة وسيلة للإيقاع بالناس بغير جريرة إرضاء لضغائن شخصية أو أحقاد مريضة . إن صعوبة إثبات الجريمة يجعل التبليغ عنها أمراً نادر الحدوث][3] . وكذلك الشأن بالنسبة للجرائم الأخرى .

على أية حال نستطيع أن نلخص أثر الإيمان من خلال الحدود والعقوبات بما يلي :

١ ــ إن العقوبات الصارمة ضرورية لتخويف المجرمين والمفسدين في الأرض .

٢ ــ هذه العقوبات جاءت لمصلحة الفرد والمجتمع .

٣ ــ المقصود بالعقوبات زجر الناس عامة والمجرمين خاصة .

٤ ــ الإيمان بالله هو الأساس في المجتمع الإسلامي، وهذه العقوبات تستمد شرعيتها من الإيمان، فإذا عطلها المسلمون فهذا يدل على ضعف

---

(١) الإنسان بين المادية والإسلام بتصرف ص ١٤٦ ــ ١٤٨ .

(٢) في كتاب الكامل لابن عدي انظر قبسات من الرسول ص ١٤٠ .

(٣) المرجع السابق بتصرف ص ١٦٠ .

إيمانهم .

٥ — المؤمن لا يشفع في حدود الله .

٦ — المؤمن لا يشمت بمن يقع عليه الحد إنما يتعظ .

٧ — ربما يستر المؤمن بعض الذين يقعون في الفواحش، وينصحهم ولا يشهر بهم، أملاً في توبتهم، وحتى لا يلاقوا المصير المحتوم .

٨ — المجتمع المؤمن لا يتهاون في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية .

٩ — إن المؤمن يتلقى العقوبة التي تقع عليه بالندم عما فات والخوف من الله، وهذا ربما يساعده على التوبة النصوح .

إن كل الآثار الخيرة لنظام العقوبات والحدود في الإسلام لا يمكن إلا أن تكون ثمرة من ثمار الإيمان ، ففي المجتمعات غير الإسلامية لا يطبقون هذه العقوبات ولا يؤمنون بها، وماذلك إلا لأن تلك المجتمعات خاوية من العقيدة والإيمان . فيخترعون عقوبات أخرىٰ ربما لا تمنع من الجريمة بل تغري بها .

كما أنهم لا يعاقبون إطلاقاً في بعض الجرائم كالخمر والفاحشة .

بل يرون أن الخمر والفاحشة من متطلبات النفس ولا غنى عنهما أبداً .

ولو أن الايمان موجود في تلك المجتمعات لاختلفت الأمور نهائياً وانقلبت موازينهم،إلا أن القوم غرقوا في مستنقع الجريمة والفساد بسبب عدم وجود الإيمان ، ولبس عليهم الشيطان الأمور ، وعليه فالإيمان ضروري لتنفيذ حدود الله ، وحدود الله رحمة بالناس والإنسان ، وجميع الآثار الطيبة الناتجة عن تطبيق الحدود هي في النهاية أثر من آثار الإيمان بالله عز وجل ورسالته السماوية الخالدة .

* * *

٨ ـــ أثر الإيمان في تربية الأولاد :

للأولاد مكانة خاصة في الإسلام فهم وسيلة لاستمرار وبقاء المجتمع المسلم ، وقد جعلهم القرآن زينة الحياة الدنيا فقال : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾[١] . ورغم أن القرآن حذر من فتنتهم لأن النفوس غالباً ماتأنس بالأولاد وتنسى أنهم موضع ابتلاء للإنسان يختبره الله تعالى كيف يتصرف بهم وكيف يربي أولاده، وهل تلهيه أولاده عن آخرته أو واجبات دينه مثل الجهاد في سبيل الله حيث يتقاعس كثير من الناس بسبب أولادهم وأموالهم ، ولذلك حذر الله من فتنة الأولاد فقال تعالى : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾[٢] .

وعلى أية حال فالأولاد وسيلة كما ذكرنا لاستمرار المجتمع المسلم، فإذا تحولت هذه الوسيلة عن هدفها الأساسي وهو الإسلام، يصبح التكاثر ظاهرة بيولوجية كما هو عند الكائنات الأخرى، وتصبح حياة الإنسان أشبه بحياة الحيوان .. فما قيمة الأولاد إذا لم يعرفوا ربهم ولم يلتزموا بدينهم ، ولذلك نبه الإسلام إلى ضرورة تربيتهم تربية إسلامية ووضع برنامجاً متكاملاً شاملاً لتربية الأولاد على تعاليم العقيدة السمحة وسننها . فتعامل معهم من بداية خلقهم ـــ بل قبل الزواج بأن حض الأب على اختيار الأم الصالحة، ثم تبدأ رعاية الطفل من قبل ولادته وإلى رجولته[٣] .

و لسنا هنا بصدد شرح وتبيان التشريع في هذا المجال ، وإنما نريد أن نتبع أثر الإيمان في تربية الولد ، وهذه بعض ألوان من هذا الأثر :

١ ـــ المحافظة على حقوق الله عز وجل .

٢ ـــ المحافظة على حقوق الناس .

٣ ـــ الأخلاق الكريمة لاسيما الصدق والتسامح .

---

(١) سورة الكهف الآية ١٤٦ .

(٢) سورة التغابن الآية ١٥ .

(٣) وضع الشيخ عبد الله علوان مجلدين في تربية الأولاد في الاسلام وهو كتاب مفيد وجامع في هذا الصدد .

٤ ــ البعد عن اللهو والمحرمات .

٥ ــ الوعي والفهم والذكاء .

٦ ــ النظـافة .

٧ ــ رعاية الوقت .

٨ ــ ممارسة الألعاب البريئة والمسلية .

٩ ــ الغض عن عورات الناس .

١٠ ــ المذاكرة ومتابعة الواجبات .

١١ ــ طاعة الوالدين .

١٢ ــ احترام الكبار .

تلكم بعض آثار الإيمان في الطفل المسلم ، والولد المسلم ، فإذا ماغاب الإيمان عن الأولاد وغاب الضمير الديني والشعور بالمراقبة، فلا تسأل عن الناشئة كيف ستكون آنئذٍ في تحلل وانحطاط وتخبط وضياع !

إن الناشئة المؤمنة هي بحق زهرة الحياة الدنيا بل هي زهرة الأكوان كلها . بينما الناشئة غير المؤمنة هي رمح الشر الذي يتوكأ عليه إبليس وهو يمزق بساط الخير .

٩ ـ أثر الإيمان في الأسرة المسلمة :

الأسرة المسلمة تتأثر بالإيمان في كل حركاتها وسكناتها،وجميع مظاهر الألفة والمحبة والتوافق والإنسجام التي نلاحظها في الأسرة المسلمة إنما مبعثها الأول هو الإيمان ، وقد سبق أن أشرنا إلى أثره في الفرد وكذلك إلى أثره في المرأة كما أشرنا إلى أثره في الأولاد والآن نريد هنا ألا نعيد ماقلناه وإنما ندرك أثر الإيمان على الأسرة ككل ، ويتجلى هذا الأثر فيما يلي :

١ ـ رعاية حقوق الله عز وجل .

٢ ـ التفاهم بين أطراف الأسرة والأب والأم والأولاد .

٣ ـ التعاون الإيجابي بين الأطراف السابقة .

٤ ـ المحبة والثقة بين أفراد الأسرة .

٥ ـ يقوم الأب بتوفير كفاية الأسرة لأن هذا واجب إيماني أولاً . قبل أن يكون دنيويا .

٦ ـ وللأم دور أساسي في تربية الأولاد وفق مبادىء الإيمان والشريعة .

٧ ـ الأولاد يتعاملون بمنتهى التقدير مع أبويهم .

٨ ـ تتعاون الأسرة المسلمة مع المجتمع تعاوناً إيجابياً .

٩ ـ تبتعد الأسرة المؤمنة عن الإسراف والموبقات .

وباختصار فإن الأسرة المؤمنة تعتبر نموذجاً عالياً ورائداً لما ينبغي أن تكون عليه كل أسرة في الدنيا ، وماذاك إلا بسبب نعمة الإيمان التي هي أسمى النعم و أعظمها جميعا . وبعد أن عرضنا لأثر الإيمان في الأسرة المسلمة نريد أن نعرض باختصار شديد أثر الأسرة المسلمة في تكوين الفرد .

١٠ ــ دور الأسرة في حياة الفرد :

حين يربي الآباء والأمهات أطفالهم على المبادىء الإسلامية فهم أولاً لا يكبتون رغباتهم وأشواقهم لأن الكبت منافٍ لطبيعة الإسلام ، بل يضبطون نزعاتهم الفطرية وينظمونها ويربون في نفوسهم تلك الإرادة الضابطة التي تتحكم في تصريف الطاقة الحيوية وبذلك ينقذ الأطفال مما قد يعرض سلامتهم النفسية للأخطار وكذلك سلامة المجتمع .

وهم يبذرون في نفس الطفل الأخلاق التي ترتفع بمشاعره وتتسامى عن الأنانية البغيضة التي تؤذي غيرهم حباً في أكبر قسط من الإستمتاع

ويقيمون في نفسه ضميراً حياً ، يراقب أعماله ويحاسبه عليها أولاً بأول ليضمنوا أن يطيع دافع الخير ويمتنع عن دافع الشر لا خوفاً من السلطان القاهر في الخارج، ولكن حباً في أن يعيش الإنسان مع غيره في سلام ومودة ورخاء .

ويربون فيه الأنفة والعزة التي تأبى الخضوع لإرادة بشر على ظهر الأرض إذا كانت مخالفة لإرادة الله عز وجل .

بهذه المبادىء يخرج لدينا أفراد متوازنون يُنشئون بطريقة ذاتية مجتمعاً متوازناً يقوم على الحب لا البغضاء[1] .

إن قيام الأسرة بتربية أفرادها تربية صحيحة هو أثر من آثار الإيمان .

---

(١) بتصرف عن الإنسان بين المادية والإسلام ص ١٦١ ــ ١٦٢ .

١١ ــ نماذج مؤمنة رباها الايمان وخلدها التاريخ :

سنختار نماذج قليلة نريد من ورائها أن نثبت أن الإيمان هو القادر الوحيد على تربية إنسانية راشدة رائدة، أفرادها أتقياء ورواد ، وهاك بعضها :

١ ــ من العلماء :

كان الشيخ سعيد الحلبي عالم الشام في عصره كان في درسه ماداً رجله ، فدخل عليه جبار الشام ابراهيم باشا ابن محمد علي صاحب مصر ، فلم يتحرك له ولم يقبض رجله ، ولم يبدل قعدته ، فتألم الباشا ، ولكنه كتم ألمه ، ولما خرج بعث إليه بصرة فيها ألف ليرة ذهبية ، فردها الشيخ وقال للرسول الذي جاءه بها : قل للباشا إن الذي يمد رجله لا يمد يده[١] .

ــ وروىٰ الأب انستاس الكرملي أنه رأى عالم العراق الشيخ الألوسي يلبس بعد الإحتلال حذاءً من أحذية الجند البريطاني، وكانت تباع رخيصة فقال له : يامولاى أراك تلبس في رجلك مالم يرد أن يلبسه جند الانكليز أنفسهم لضخامة هذه الأحذية وشكلها القبيح وصوتها المزعج عند المشي . فقال الشيخ : إني أقنع بما يتيسر ولم يزد علىٰ ذلك . وكان قد وصل إلى حالة من الفقر لا مزيد عليها ، فلما عرف ذلك المعتمد البريطاني الإنجليزي « برسي كوكس » أهدى إليه ثلاثمائة ليرة ذهبية انجليزية ، وكلف الكرملي بتقديمها إليه ، فرفضها رفضاً قاطعاً وقال : خير لي أن أموت جوعاً من أن آخذ مالاً لم أتعب في كسبه ، لاسيما وهو من عدو بلادي . فألح عليه إلحاحاً متواصلاً فقال له : لا تكثر من إلحاحك لئلا أطردك من بيتي طرد من لا عودة له إليه .

فسعىٰ له هو وجماعة من أصدقائه وتلاميذه ، حتى صدر الأمر بتوليته قضاء بغداد . فلما جاؤوه بالتولية قال : إن هذا المقام يستلزم علماً زاخراً ، وذمة لا غبار عليها ، ووقوفاً تاماً على الفقه ، وأنا لا أجدني مستكملاً هذه الشروط ، ولا أصلح للقضاء ورفض[٢] .

---

(١) مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام لعلي شحاته وزميله ص ٢٧٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

ـ لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام ، أخذ ينادي العلماء بأنه يجوز له أخذ مال من الرعية ليستنفر به على قتال العدو، فكتب له فقهاء الشام بذلك إلا الشيخ محيي الدين النووي ، فطلبه فحضر ، فقال له : اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع ، فقال : ماسبب امتناعك ؟ فقال الشيخ : أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (نيد قدار) وليس لك مال ، ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكاً ، وعلمت أن عندك ألف مملوك وكل مملوك له حياصة من الذهب، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلي ، فإذا أنفقت ذلك كله أفتيتك بأخذ المال من الرعية ، فغضب الظاهر من كلامه وقال : اخرج من بلدي ـ يعني دمشق ـ ، فقال : السمع والطاعة ، وخرج إلى نوى ، فقال الفقهاء : إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه فامتنع الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر بها، فمات الظاهر بعد شهر(١) .

هل تحصل مثل هذه الروح العلمية عند الأمم الأخرى ؟! لا أعتقد لأن الإيمان هو الذي صنع رجالنا وعلماءنا فأضحت قلوبهم معلقة بالسماء لا بالأرض ومناهم في الآخرة لا في الدنيا ، ويجدون عند ربهم مايغنيهم عما في أيدي الناس .

٢ ـ من الحكام :

ـ أُدخل رجل من بني مخزوم وكان زبيرياً على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أليس الله قد ردك على عقبيك ؟ فقال الرجل : ومن رد إليك ياأمير المؤمنين فقد رد على عقبيه ، فسكت عبد الملك وعلم أنه أخطأ(٢) .

يلاحظ هذه الأخلاق العالية من الخليفة:وإلا لاعتبر الرجل متطاولاً وأمر بقطع رأسه . فيما لو أراد عبد الملك أن يثأر لنفسه .

ـ بلغ هشام عن رجل كلام غليظ فأحضره ، فلما وقف بين يديه جعل يتكلم ، فقال هشام : وتتكلم أيضاً ؟ فقال : يقول الله عز وجل : « يوم تأتي كل

---

(١) مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام ص ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٤ .

نفس تجادل عن نفسها[١] . أفنجادل الله جدالاً ولا نكلمك كلاماً

فقال هشام : ويحك ! تلكم بحاجتك[٢] .

ــ قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبي مسلم وكان من أعوان الحجاج : أتظن أن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوي فيها . قال : ياأمير المؤمنين : إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه من النار حيث شئت[٣] .

من هذه النماذج نرىٰ أن الحاكم المسلم واسع الصدر، رحيم القلب ،وقد أخذت نماذجي من الحكام الأمويين الذين ظلمهم بعض المؤرخين فنسبوا إليهم كثيراً من الزور والبهتان .

فإذا ماانتقلنا إلىٰ عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين، وإلى جيل الصحابة والخلفاء الأربعة، وجدنا العجب مما لا يقدر قلم على وصفه، من فضل ذلك الجيل وروعة إيمانه وعدالته وصدقه وفضله وكرامته وسموه .

وفي اعتقادي أن الجيل الأول ــ أعني جيل الصحابة ــ وهو الذي سماه الأستاذ سيد قطب ــ جيل قرآني فريد ــ .

هذا الجيل الفريد يعد أسمى جيل عرفته الإنسانية، والخير فيه لا يحصر، والشر فيه لا يذكر ، ويكاد يصلح كل مافيه لأن يكون نموذجاً من نماذج الإيمان الخيرة التي رباها سيدنا ونبينا محمد ﷺ . ولذلك لم أذكر هنا شيئاً بهذا الصدد وقد ذكرت في البحث شيئاً عن موقف المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مع الفرس، وعلة عدم ذكري هنا لنماذج من الصحابة لأنها مشهورة شهرة الأيام ، واضحة وضوح النجوم، متألقة تألق القمر ، مشهود فضلها كالشمس، فمن ينكر صدق أبي بكر ، وعدل عمر ، وحياء عثمان ، وحكمة علي ، وحنكة خالد وزهد أبي ذر ، وشجاعة المقداد رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

---

(١) النحل ١١١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨١ .

وإنما التقطت نماذج أخرى لئلا يقال : إن الجيل القرآني انتهى ولم يبق في الأمة عبر تاريخها أناس صادقون يحملون راية الإسلام وإلى قيام الساعة .

إن الإيمان كذلك غني بآلاف النماذج قبل وبعد وفاة النبي ﷺ فمن قبله كان الأنبياء ومن معهم ، ومن بعده كانت أمته ﷺ ، وستبقى إلى قيام الساعة بإذن الله ، وفي هذه الأمة من الصالحين والأتقياء البررة مايجعلها حقاً خير أمة في هذا الوجود ، جديرة بثناء الله تعالى عليها حينما قال : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[1] .

ورغم أن الشر غلب هذه الأيام فهذا لا يعني أن الخير انتهى فلابد أن يأتي يوم تستعيد فيه هذه الأمة أمجادها ومقدساتها ــ بإذن الله ــ وذلك عندما نعود جميعاً إلى تحكيم شريعة الله في نفوسنا وواقعنا، نسأل الله أن يكون ذلك قريباً .

* * *

(١) سورة آل عمران ــ الآية ١١٠ .

الفصل الثالث

١ ـ الخاتمـة .

٢ ـ ملحق مقارنة بين الفرد المسلم والفرد الجاهلي .

٣ ـ ملحق مقارنة بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي .

٤ ـ المراجع .

٥ ـ الفهرس .

١ ـ الخاتمة

بينت فيما سبق ضرورة الإيمان كحل وحيد لمشاكل الانسانية المعذبة .

ووضحت أن الايمان قول واعتقاد والتزام، وأن آثار الايمان تشمل حياة المسلم من جميع أطرافها، وكذلك حياة الأمة والانسانية جمعاء .

كما أثبتت دراستي أن الايمان هو مفتاح السعادة وهو طريق التقدم والازدهار في الدنيا وباب الوصول إلى الجنة في الآخرة ومن أعظم مزايا الإيمان القدرة على إيجاد حضارة شامخة في ميدان الروح وفي ميدان المادة يحكمها شرع الله عز وجل .

وأوصي أمتي الاسلامية في ختام هذا البحث بما يلي : ـــ

١ ـــ محاربة الإلحاد والمذاهب الهدامة بكافة الوسائل الممكنة .

٢ ـــ بث الإيمان في جميع أوجه النشاط الإجتماعي والاقتصادي والسياسي والعلمي والفني والرياضي .

٣ ـــ تربية الأجيال في المدارس والجامعات على مبادىء ديننا الحنيف .

٤ ـــ تشجيع الدعاة إلى الله وترشيدهم وتيسير كافة الطرق أمامهم .

٥ ـــ إعداد جيوش مؤمنة وقادرة على استرجاع مقدسات المسلمين في القدس من أيدي أعداء الله . ألا هل بلغت اللهم فأشهد .

* * *

وقد أثبت بعد هذه الخاتمة ملاحق أقمتها، والغرض منها تلخيص فكرة البحث وعرض أهم قضاياه

وأثبت بعد ذلك المراجع الرئيسية للبحث ثم الفهرس .

ولا يسعنا في الخاتمة إلا أن نتضرع إلى الله تعالى أن يبدد ليل هذه الأمة ويوحدها على الحق ويخذل عنها كيد أعدائها ، فو الله ماضاعت إلا لما ضيعت دينها وتهاونت فيه، فحارت واحتارت وبين يديها مايبدد ليل الحائرين ، وصدق إقبال حين يقول ونفسه تشتعل حزناً على واقع المسلمين :

ألم يبعث لأمتكم نبي   يوحدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعاً   منارٌ للأخوة والسلام
فما لنهار إلفتكم تولى   وأمسيتم حيارى في الظلام[1]

وماعلينا إلا أن نسعى في الدعوة إلى الله لعل فرجا قريبا تحمله أقدار الله ، والله المستعان . وقد تم الفراغ من هذا البحث في ١٤٠٧/٤/١هـ بمكة المكرمة حرسها الله وديار المسلمين جميعاً من كل سوء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) اقبال الشاعر الثائر ص ٨٤ .

٢ ــ جدول مقارنة بين الفرد المسلم المؤمن والفرد الجاهلي وفيه يبدو أثر الإيمان الواضح في عقيدة المسلم وسلوكه .

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الجاهلي
تعريف	هو الذي يؤمن بالإسلام عقيدة ورسالة وشريعة ونظام حياة .	هو الذي يؤمن بأي مبدأ أو عقيدة غير الإسلام وقد لا يكون له مبدأ مثل الهيبز .
الجوانب الإيمانية والعقدية	يؤمن بقضايا الإيمان وأركانه فيعتقد بالله رباً وبمحمد نبياً ، وبالقرآن كتاباً والآخرة معاداً والملائكة جنداً لله ، وبالقدر خيره وشره ، ويتخذ إيمانه منطلقاً في حياته .	لا يلتزم بشيء من قضايا الإيمان ، قد يؤمن بوجود الله ثم ينكر اليوم الآخر وقد يؤمن بدين ما لكنه يتخذ أهواءه ورغباته منهجاً له في الحياة .
الجوانب الأخلاقية	يؤمن بالقيم العليا من صدق وأمانة وإخلاص وحب وإيثار ويسير حسب قواعد الأخلاق ولو كان في ذلك تلفه إذا ماكان المجتمع محارباً له في عقيدته .	لا يؤمن بشيء من القيم العليا . المصلحة عنده هي كل شيء قد يصدق أو يخلص في عمله بعض الأحيان بغرض المصلحة فقط .
الجانب الإقتصادي	الربح عنده وسيلة للكسب النظيف والعيش الحلال . ــ المال عنده عارية مستردة وابتلاء ، يؤتي العمال حقوقهم . لا يحتكر . لا يغش ، يسعى لفائدة المجتمع أولاً .	الربح عنده غاية يسعى إليها بأية وسيلة ولو كانت المخدرات مثلاً أو الإحتكار . ــ المال عنده غاية وهدف وكنز وكل شيء والمكرم من يملك مالاً أكثر .

		ينهب قدر استطاعته . ويسعى لفائدة نفسه أولاً وآخراً .
الجانب الإجتماعي	لا يعتدي على الآخرين . يرعى حرمات الناس والجوار ، يحرص على سلامة المجتمع ، يحرص على فائدة المجتمع . يصلح بين الناس . يقاوم الفساد الإجتماعي .	ربما يعتدي على الآخرين ، يتلصص ويتجسس على عوراتهم . لا تهمه سلامة المجتمع أو فائدته . ربما ينشر الفتن بين الناس وينشر الرذيلة بينهم .
الجانب الأسرى	يطيع والديه في غير معصية ، يتعاون مع إخوته ويرعاهم ، ويعطي زوجته حقها ، يعدل بين أولاده ، والتفاهم والتعاون أساس الأسرة .	لا تهمه طاعة الأبوين أو رعاية الأخوة ربما يتخذ خليلة أو عشيقة دون علم زوجته ، والعلاقة الأسرية مضطربة في أغلب الأحوال .
الجانب السياسي	يدفعه إيمانه إلى طاعة أولي الأمر من المؤمنين وإلى التصدي للطغاة والمعتدين والمستعمرين إذا اعتدوا على حرمة الدين والبلاد .	ينافق لأية فئة سياسية تحكم المجتمع وقد ينخرط في صفوف فئات حاقدة على أمته فيهلك نفسه ومجتمعه .
الجانب العلمي	يتخذ العلم وسيلة لبلوغه الجنة ويعمل على تطوير نفسه ومجتمعه ويبذل قصارى جهده في سبيل ذلك .	العلم هدف مادي بحت للشهرة أو للسيطرة على الآخرين وهو يعمل لمصلحته الذاتية فقط ونادراً مايعمل لتطوير مجتمعه بدافع مخلص .
السعادة	الإيمان سبب سعادته . يصبر على البلاء ويشكر	السعادة هي الغرق في الشهوات

تابع السعادة	في الرخاء ويصبر عند مواطن اللقاء ويرجو الآخرة .	المادية والإباحية السافلة فإذا حجز عن شهواته صارت الحياة عنده عبثاً .
الجانب النفسي	المؤمن مرتاح نفسياً رغم البلاء الذي يصيبه على أيدي أعداء العقيدة . والمصاعب التي قد تواجهه في الحياة .	قلق و برق ومريض رغم توفر كل المتع الحسية له ، وذاك بسبب فقده للإيمان .
الرياضة	وسيلة لبناء الجسم القوي الذي يستطيع أن يقاتل في سبيل الله .	وسيلة للرشاقة والخفة وعرض القوة أمام الآخرين .
الهدف	هدف المؤمن إقامة منهج الله في الأرض وهو يبذل نفسه من أجل دينه .	أهدافه متنوعة وكلها تنحصر في دائرة الماديات والملذات .
الدهر	كل مايصيب المؤمن هو قدر فلا يسب الدهر أبداً .	الدهر ند للإنسان وكثيراً مايشتمه وينعته بالظلم والجبروت .
الحب	الحب يشمل جميع الكائنات ومن بينها المرأة لكنه لا يتصل بها اتصالاً غير مشروع وقد يصبر على ألم الحب ولا يقترف معصية .	الحب هنا هو الجنس ولو بصورة محرمة ولا يصبر عليه بل يسعى لممارسته بأية طريقة كانت وبأقصى سرعة .
النتيجة	الفرد المسلم نظيف القلب والروح والجوارح المؤمن : نفس ملكية في صورة آدمية .	قد يكون نظيف الجوارح لكنه سيء القلب والروح .. الجاهلي : نفس بهيمية في صورة آدمية ..

٣ – جدول مقارنة بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات الجاهلية

ومن خلاله نلاحظ كم للإيمان من أثر طيب على المجتمع المسلم ملحق (٢)

عنصر المقارنة	المجتمع الرأسمالي	المجتمع الشيوعي	المجتمع المسلم
الجوانب الدينية	حرية الأديان موجودة لكن هنا المجتمع مادي علماني بعيد عن تعاليم الأديان إباحي ملىء بالكفر البواح والناس منصرفة عن الدين إلى اللهو والإباحية .	لا توجد حرية دينية . الإلحاد هو دين المجتمع المؤمن محارب سراً وجهراً جريمة الإيمان لا تُغْتَفَرُ عندهم وعقابها السجن والقتل .	الدين هو الإسلام . وحرية الأديان مكفولة للأقليات لا إكراه في الدين . المجتمع قائم على أسس سليمة وقوية من أركان الإيمان الثابتة عقلاً ونصاً . الناس تعبد الله باختيارها .
الجوانب الأخلاقية	الأخلاق هنا كلاسيكية وضئيلة .. والمجتمع فاجر لأبعد الحدود .. ومكان الأخلاق عند أكثر الشباب هو في سلة المهملات .	الأخلاق من مخلفات العصور الوسطى ومن صنع الطبقة البرجوازية ويجب التخلص منها بأية وسيلة ممكنة لأن الإنسان الثوري لا يؤمن بها .	الأخلاق ركن أساسي في المجتمع .. والرسول ﷺ متمم لمكارم الأخلاق ، فلا فجور أو كذب ولا خداع أو نفاق ولا ميوعة ولا انحلال .
الجوانب الاجتماعية	١ – الأسرة مفككة ومتحللة . ٢ – المرأة أمة يتاجر بها في الدعاية وسوق الدعارة والإعلان وقد تكنس الشوارع لتأكل . ٣ – يستطيع الفرد أن يتحكم بمصير الآلاف من مجتمعه حيث لا حدود لأنانية الفرد فقد يحتكر ويتحكم بمصالح الآلاف اقتصادياً أو نفسياً .	١ – الأسرة متفككة ومنحلة وفقيرة . ٢ – المرأة عنصر ثوري عليه أن يعمل ولا بأس أن تضحي بعرضها في سبيل الحزب الشيوعي . ٣ – الفرد هنا حشرة تافهة لا قيمة لها إزاء قوى الإنتاج في المجتمع .	١ – الأسرة متماسكة متعاونة مؤمنة . ٢ – المرأة لها كرامتها فهي أم وأخت أو زوجة ويجب سترها والمحافظة عليها ونفقتها يتكفل بها الزوج . ٣ – توجد علاقة مستمرة ومتوازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، فالفرد يعمل لصالح المجتمع والمجتمع يكفل للفرد كل شيء .

تابع ملحق (٢)

عنصر المقارنة	المجتمع الرأسمالي	المجتمع الشيوعي	المجتمع المسلم
الجوانب السياسية	ـ الديمقراطية هي الحاكمة . ـ التشريع من حق الإنسان . ـ المعارضة السياسية مسموحة والهدف من من السياسة تحقيق مصالح المجتمع المادية . الغاية تبرر الوسيلة	ـ الحزب الشيوعي هو الحاكم ويمثل الطبقة الكادحة ـ حق التشريع للحزب . ـ المعارضة ممنوعة ويعاقب صاحبها بالقتل . الغاية تبرر الوسيلة	ـ الخليفة هو إمام المسلمين يحكم بعد انتخابه بواسطة الشورى ويعزل إذا لم يعد أهلاً . ـ حق التشريع لله ، والعلماء مجتهدون من خلال نصوص القرآن والسنة لاستخراج الأحكام اللازمة . ـ المعارضة هنا تتم إذا خرج الحاكم عن حدود الله فلا سمع ولا طاعة .. والمعارضة بالنصيحة لا بالتشهير وهدف السياسة العدل . الغاية لا تبرر الوسيلة
العلم	العلم وسيلة لتطوير المجتمع وانتاج الأسلحة الفتاكة ضد الخصوم .	العلم وسيلة لانتاج الأسلحة القاتلة واستخدامها في نشر الإلحاد .	العلم وسيلة لسعادة الإنسان وسعادة المسلمين وسعادة البشرية معهم .
الحياة الدنيا	الحياة الدنيا هدف .	الحياة هدف .	الحياة وسيلة والهدف الآخرة .
الاقتصاد	هدف العمل هو الربح بأية طريقة كانت والفقير محروم .	هدف العمل تأمين غذاء البطن والمسكن والجنس ومن لا يعمل لا يأكل .	هدف العمل مصلحة الفرد والجماعة الدينية والدنيوية وابتغاء رضا الله والمجتمع يرعى المحتاجين والفقراء .
الفراغ	يملؤون الفراغ باللهو والموسيقى أو على الشواطىء . وبالملاهي والسينما واللعب .	يملؤون الفراغ في المسرح وقاعات الحزب الحاكم . وطوابير ضخمة للانتظار أمام مؤسسات الدولة لاستلام القوت .	يملؤون الفراغ باللهو البرىء أو بالرياضة أو بالنوافل والمطالعة النافعة .

تابع ملحق (٢)

عنصر المقارنة	المجتمع الرأسمالي	المجتمع الشيوعي	المجتمع المسلم
النتيجة	مجتمع متهتك تائه الخير فيه عرض. إن وجد	مجتمع قذر جوهراً ومظهراً لا خير فيه أبداً	مجتمع نظيف طاهر فى كل شىء والشر فيه عرض إن وجد .

- مراجع البحث

أولاً : الكتب :

١ ـ إحياء علوم الدين ـ للغزالي ـ طبعة دار الشعب .

٢ ـ الإسلام في حياة المسلم . د. محمد البهي ـ مكتبة وهبة ـ الطبعة الثانية .

٣ ـ الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي ـ الدار السعودية ـ الطبعة الأولى .

٤ ـ إقبال الشاعر الثائر ـ نجيب الكيلاني ـ نشر مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة .

٥ ـ الإنسان بين المادية والإسلام ـ محمد قطب ـ الطبعة الرابعة .

٦ ـ إنسانية الإنسان ـ رينيه دوبو ـ تعريب د. نبيل صبحي طويل ـ نشر مؤسسة الرسالة .

٧ ـ الله يتجلى في عصر العلم ـ مجموعة علماء أمريكان ـ نشر مؤسسة الحلبي وشركاه ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٨ .

٨ ـ الإنسان وصحته النفسية ـ د. مصطفى فهمي ـ نشر مكتبة الأنجلو المصرية .

٩ ـ الأخوة الزائفة ـ جاك تني ـ ترجمة أحمد البازورى ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية .

١٠ ـ الإسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة التاسعة .

١١ ـ الأمراض النفسية والعصبية ـ محمد رفعت ـ نشر دار المعرفة ـ لبنان .

١٢ ـ الإنسان ذلك المجهول ـ الكسيس كاريل ـ تعريب شفيق أسعد فريد ـ مكتبة المعارف بيروت .

١٣ ــ الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للمناوي ــ تحقيق محمد عفيف الزعبي ــ الطبعة ٣ .
١٤ ــ الإسلام قوة الغد العالمية ــ باول شتمز ــ ترجمة د. محمد شامة ــ نشر مكتبة وهبة .
١٥ ــ بروتوكولات حكماء صهيون ــ نشر الاتحاد الاسلامي العالمي .
١٦ ــ تربية الأولاد في الإسلام ــ عبد الله علوان ــ نشر دار السلام ــ القاهرة .
١٧ ــ تجريد البيان لتفسير القرآن . عبد الله الأنصاري ــ نشر دار احياء التراث ــ قطر .
١٨ ــ تفسير أبي السعود ــ نشر دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .
١٩ ــ التفكير فريضة إسلامية ــ عباس محمود العقاد ــ المكتبة العصرية ــ بيروت .
٢٠ ــ التصوير الفني في الحديث النبوي ــ د. محمد الصباغ ــ المكتب الإسلامي ــ طبعة أولى .
٢١ ــ خلق المسلم ــ محمد الغزالي ــ دار القلم ــ الطبعة الثانية .
٢٢ ــ الدين والدولة ــ محمد البهي ــ دار الفكر ــ الطبعة الأولى ١٩٧١ .
٢٣ ــ دراسات إسلامية ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ الطبعة الخامسة .
٢٤ ــ ديوان إيليا أبي ماضي ــ دار العودة ــ بيروت .
٢٥ ــ رياض الصالحين حققه عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق وراجعه شعيب الأرناؤوط ــ نشر دار المأمون ــ ط ٣
٢٦ ــ رباعيات الخيام ــ ترجمة أحمد رامي ــ نشر مكتبة غريب ــ مصر .
٢٧ ــ الرحيق المختوم ــ صفي الرحمن المباركفوري ــ نشر رابطة العالم الإسلامي ــ الطبعة الأولى .
٢٨ ــ الزوابع ــ وليد الأعظمي ــ دار المطبوعات الحديثة ــ جدة .
٢٩ ــ شمس العرب تسطع على الغرب ــ زيغريد هونكة ــ تعريب فاروق بيضون وكمال الدسوقي ــ الطبعة الثانية ــ دار الآفاق الجديدة .

٣٠ ــ الصنم الذي هوى ــ تعريب فؤاد حمودة ــ نشر الدار السعودية ــ الطبعة الثانية .
٣١ ــ الصحة النفسية والعلاج النفسي ــ د. حامد عبد السلام زهران ــ عالم الكتب ــ الطبعة الثانية .
٣٢ ــ الطب الحديث ــ مارجويت كلارك ــ ترجمة د. محمد نظيف ــ نشر دار الفكر العربي بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين ــ القاهرة ــ نيويورك ١٩٦٣م .
٣٣ ــ فائدة الشعر وفائدة النقد ــ ت. س. اليوت ــ ترجمة د. يوسف نور عوض . دار القلم بيروت .
٣٤ ــ في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ دار الشروق .
٣٥ ــ فقدان التوازن الاجتماعي ــ جودت سعيد ــ الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .
٣٦ ــ في الأدب الحديث ــ عمر الدسوقي ــ نشر دار الفكر العربي .
٣٧ ــ قبسات من الرسول ــ محمد قطب ــ دار الشروق ــ الطبعة التاسعة .
٣٨ ــ ديوان هاشم الرفاعي ــ مكتبة المنار ط٢ ــ ١٩٨٥ .
٣٩ ــ معالم في الطريق ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ الطبعة العاشرة .
٤٠ ــ مشكاة المصابيح . للخطيب التبريزي ــ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ــ دمشق ــ المكتب الاسلامي .
٤١ ــ مجموعة رسائل الإمام البنا ــ دار القرآن الكريم ــ بيروت .
٤٢ ــ المصباح المنير ــ للفيومي ــ المكتبة العلمية بيروت .
٤٣ ــ مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام ــ علي شحاتة وزميله ــ دار الفكر .
٤٤ ــ مايقال عن الإسلام ــ عباس العقاد ــ الطبعة الثانية .
٤٥ ــ المعجم الوسيط ــ دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر .
٤٦ ــ المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ــ براتندرسل ــ ترجمة عبد الكريم أحمد ــ نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠ .

٤٧ ــ المجتمع المتكافل في ضوء الإسلام ــ د. عبد العزيز خياط ــ مؤسسة الرسالة .
٤٨ ــ مفتاح دار السعادة ــ ابن قيم الجوزية ــ نشر دار الكتب العلمية .
٤٩ ــ منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور ــ مكتبة الخانجي ــ الطبعة الأولى .
٥٠ ــ نشيدنا ــ دار السلام ــ القاهرة .
٥١ ــ نحو مجتمع إسلامي ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ الطبعة الرابعة .
٥٢ ــ واقعنا المعاصر ــ محمد قطب ــ نشر مؤسسة المدينة ــ الطبعة الأولى .

والمراجع التي أشرت إليها ولم أذكرها اكتفيت بمجرد اثباتها في الهوامش ، وقد أشرت إلى طبعاتها هناك .

ثانياً ــ الدوريات :

١ ــ مجلة البلاغ ــ العدد ٥٧٤ .

٢ ــ مجلة الوطن العربي ــ العدد ٤٨٥ ــ ٢٧٢ .

٣ ــ مجلة الدعوة ــ العدد ٣١ ــ السنة ٢٧ .

٤ ــ مجلة حضارة الإسلام ــ السنة الثانية ــ العدد ٩ .

٥ ــ مجلة الوعي الإسلامي ــ العدد ١١٩ .

الفهـــــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الفصـل الثـالث

فسح بطباعة هذا الكتاب من قبل
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
برقم ١٨٨٠ وتاريخ ٢٨/١٠/١٤٠٧هـ